

جامعة عين شمس

كلية الآداب

قسم التاريخ

شعبة التاريخ الإسلامي

موقف المغول الإيلخانيين من العقائد والمذاهب الدينية من وفاة هولاكو إلى نهاية حكم أبي سعيد بهادر خان

٦٦٣-٧٣٦هـ / ١٢٦٥ - ١٣٣٥م

رسالة مقدمة من الطالبة

نرجس أسعد كدرو

معيدة في جامعة حلب

لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إشراف

أ.د. فتحي عبد الفتاح أبو سيف

ريخ الإسلامي - قسم التاريخ

جامعة عين شمس

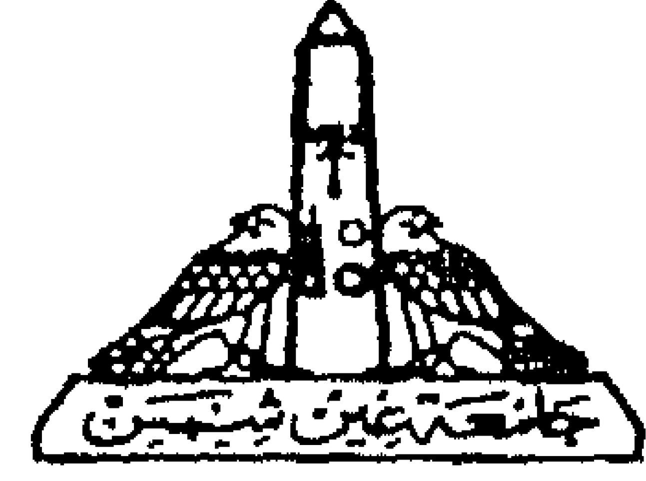
أ.د. أحمد رمضان أحمد

أستاذ التاريخ الإسلامي - قسم التاريخ

جامعة عين شمس

القاهرة

٢٠٠٩م



جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم التاريخ
شعبة التاريخ الإسلامي

موقف المغول الإيلخانيين من العقائد والمذاهب الدينية من وفاة هولاكو إلى نهاية حكم أبي سعيد بهادر خان ٦٦٣-٧٣٦ هـ / ١٢٦٥-١٣٣٥م

رسالة مقدمة من الطالبة

نرجس أسعد كدرو
معيدة في جامعة حلب

لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إشراف

أ- د فتحي عبد الفتاح أبو سيف
أستاذ التاريخ الإسلامي – قسم التاريخ
جامعة عين شمس

أ-د أحمد رمضان أحمد
أستاذ التاريخ الإسلامي- قسم التاريخ
جامعة عين شمس

القاهرة
٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

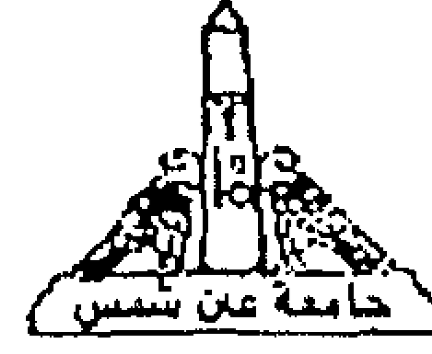
" وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولايلقاها إلا الصابرون"

سورة القصص الآية (٨٠)

" بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون"

سورة العنكبوت الآية (٤٩)

صدق الله العظيم



جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم التاريخ

اسم الطالبة: نرجس أسعد كدرو

الدرجة العلمية: ماجستير في التاريخ الإسلامي

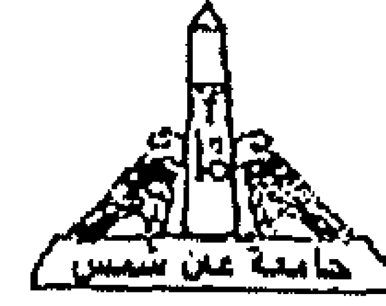
القسم : التاريخ

اسم الكلية: الآداب

الجامعة: عين شمس

سنة التخرج: ٢٠٠٣ كلية االآداب جامعة حلب

سنة المنح: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٩ م



جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم التاريخ

رسالة ماجستير

اســم الباحثة : **نرجس أسعد كدرو**

اســم الرسالة: **موقف المغول الإيلخانيين من العقائد والمذاهب الدينية من وفاة هولاكو إلى نهاية حكم أبي سعيد بهادر خان٦٦٣-٧٣٦هـ /١٢٦٥- ١٣٣٥م**

لجنة الإشراف والحكم:

الأستاذ الدكتور /*أحمد رمضان أحمد*

أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب – جامعة عين شمس **مشرفاً ورئيساً**

الأستاذ الدكتور يحيى داود عباس

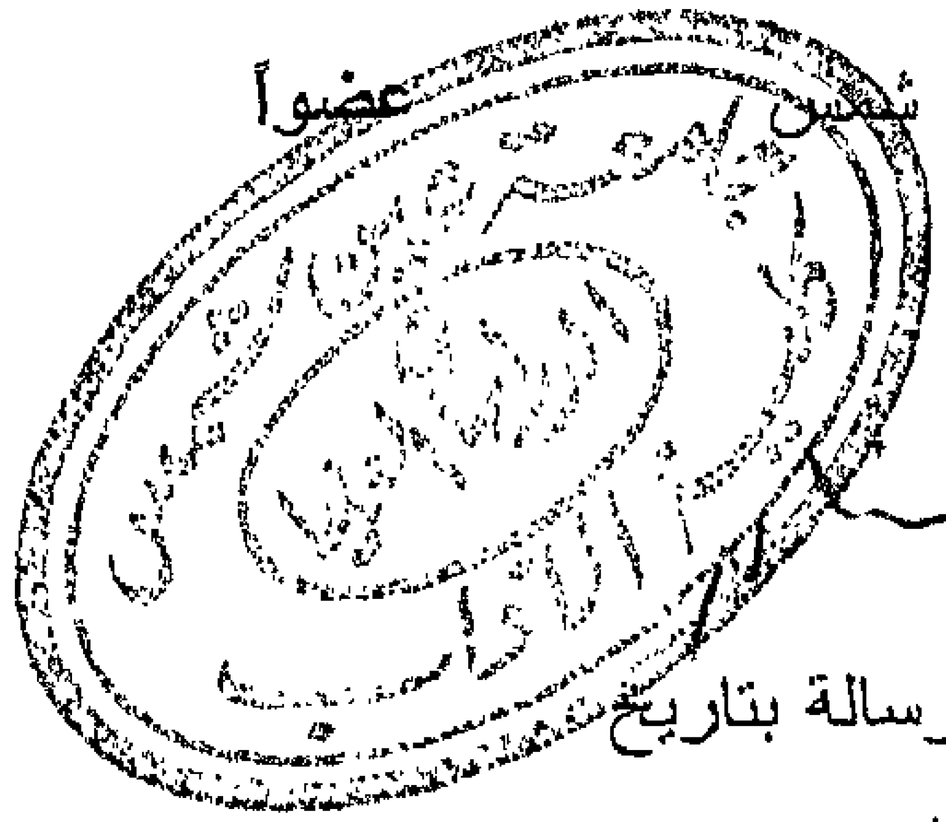
أستاذ اللغة الفارسية بكلية اللغات والترجمة عضواً

الأستاذ الدكتور *فتحي عبد الفتاح أبو سيف*

أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب – جامعة عين شمس **مشرفاً**

الدكتورة محاسن محمد علي الوقاد

أستاذ مساعد قسم التاريخ بكلية الآداب- جامعة عين شمس **عضواً**



تاريخ مناقشة الرسالة ٢٩ / ٢ / ٢٠٠٩

الدراسات العليا

ختم الإجازة	أجيزت الرسالة بتاريخ
/ / ٢٠٠٩	/ / ٢٠٠٩
موافقة مجلس الكلية	موافقة مجلس الجامعة
/ /٢٠٠٩	/ /٢٠٠٩

إهداء إلى

إلى من ظلني بعنايته ورعايته وبذل الغالي والرخيص لأجلي
إلى من حفر اسمه عميقاً في أعماق قلبي

"أبي"

إلى نبع الحنان الذي لاينضب ،إلى الشامخة
التي لاتنحني. . . إلى المتفانية من أجلنا

" أمي"

إلى ياسمينة القلب وتوأم الروح . . .
إلى من تمدني بالقوة والثبات لأجل الله. . .

"بيان"

إلى من آزرني ووقف إلى جانبي في كل لحظة
واحتمل غربتي . . . أحبتي أخوتي

" فائز ، محمد ، أحمد ، علي "

إلى من أرسم فيه مستقبلي الزاهر وأملي في حياة أفضل

" عيسى"

إلى من صدقتني وأمدتني برعايتها وحنانها وآنستني بدفئها

" رانيا"

إلى أصدقائي الصادقين ،إلى من كانوا لي أخوة في غربتي
إلى الأوفياء. . .

"منى،بتول ،مياده ،ضحى ،نسرين ،رنا،ندى"

"أحمد ،عبد الله،وليد"

إلى الغاليات القريبات البعيدات،إلى رفاق دربي

في ماضي وحاضري ومستقبلي. . .

"مروة،سناء ،شيرين، شيماء ،وصال،منال،نور"

إلى الدافئة التي غمرتني بعطفها والتي لم تبخل عليّ بعلمها

"د:شكران خربطلي"

إلى المخلصة التي تقف دائماً إلى جانبي

"عمتي منال"

إلى من أفادني بعمق خبرته وفتح قلبه ومكتبته لي ولكل الباحثين

" د:سهيل زكار"

كما تتوجه الباحثة بجزيل الشكر وفائق الاحترام إلى الدكتورة محاسن الوقاد لوقوفها إلى جانبي ولمساندتها لي ، والدكتورة ثريا محمد علي التي كان لها دور في مساعدتي على اختيار الموضوع.

وكل الشكر وكل الحب وكل التقدير إلى أساتذتي في جامعة عين شمس،كلية الآداب ،قسم التاريخ الذين تعلمت منهم طيب المعاملة ،والإخلاص في العمل ،وحب العلم.

وأولاً وأخيراً،إن أصبت فأهدي عملي مخلصاً لله،وإن أسأت فلنفسي ،وأسأل الله العفو وإعانتي على الصواب

شكر و تقدير

الحمد لله رب العالمين و أفضل الصلاة و أتم التسليم على سيدنا محمد وآلـه وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد ...

يسعدني ويشرفني وقد وفقني الله لإنجاز هذا العمل أن أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنـان والتقدير إلى :

السيد الفاضل الأستاذ الدكتور / **فتحي عبد الفتاح أبو سيف** أستاذ التاريخ الإسلامي فـي كلية الآداب بجامعة عين شمس لتكرمه بقبول الإشراف على هـذه الرسالة ولما أبداه من اهتمـام ومتابعة علمية جادة وصادقة خلال كافة مراحل إعداد الرسالة ولما أحاطني به من فيض علمـه و عمق خبرته وسعة صدره و لما قدمه لي من عون و إرشاد مما يجعلني مدينة له بكـل التقـدير و الإحترام والوفاء متضرعة إلى الله أن يمتعه بالصحة والعافية جزاه الله تعالى عني وعـن جميـع الباحثين خير جزاء.

السيد الفاضل الأستاذ الدكتور/ **أحمد رمضان أحمد** أستاذ التاريخ الإسلامي في كليـة الآداب بجامعة عين شمس لتكرمه بقبول المشاركة في الإشراف على الرسـالة ، فلسـيادته كـل الشـكر والامتنان وجزاه الله تعالى عني وعن جميع الباحثين خير جزاء ومتعه بوافر الصحة والعافية.

السيد الفاضل الأستاذ الدكتور / **يحيى داود عباس** أستاذ اللغـة الفارسـية بكليـة اللغـات والترجمة ورئيس قسم اللغة الفارسية لتكرمه بقبول المشاركة في لجنة الحكم على هـذه الرسـالة فلسيادته كل الشكر والامتنان وجزاه الله تعالى عني وعن جميع الباحثين خير جزاء ومتعه بـوافر الصحة والعافية.

السيدة الفاضلة الدكتورة / **محاسن محمد علي الوقاد** أستاذ مساعد في قسم التـاريخ ،شـعبة التاريخ الإسلامي في كلية الآداب بجامعة عين شمس لتفضلها بالاشتراك في لجنة الحكم على هـذه الرسالة, فلسيادتها كل الشكر والتقدير, وجزاها الله تعالى عني وعن جميع الباحثين خير جزاء ومتعها بوافر الصحة والعافية.

وأخيرا تتقدم الباحـثة بخالص الشكر والتقديـر والامتنان لكل مـن ساعدها ووقف إلى جانبها في جميع مراحل إعداد هذا البحث ، كما تتقدم الباحثة بالشكر والتقدير لشعب مصـر و لأسرة كلية الآداب بجامعة عين شمس و الشكر كل الشكر إلى الغالية بلدي سوريا حماها الله.

والشكر لله أولاً وآخراً والحمد لله رب العالمين...

الباحـــثة

ملخص البحث

موضوع البحث :موقف المغول الإيلخانيين من العقائد والمذاهب الدينية من وفاة هولاكو إلى نهاية حكم أبي سعيد بهادر خان ٦٦٣-٧٣٦هـ /١٢٦٥-١٣٣٥م

وقد اشتمل البحث على: **مقدمة** ،**تمهيد** ، **وأربعة فصول** ،**وخاتمة**.وقد تناولت الباحثة في **التمهيد** وعنوانه:" المغول واجتياحهم للعالم الإسلامي"،فتناول أولاً حال العالم الإسلامي المتفكك قبيل اجتياح المغول للعالم الإسلامي،ومن ثم الحديث عن أصل المغول،ومن ثم توجه جنكيز خان إلى العالم الإسلامي وسقوط المدن الهامة بأيدي المغول ،ومن ثم استكمال الاجتياح في عهد خلفائه والقضاء على الإسماعيلية ، ومن ثم سقوط الدولة العباسية ، وبعد ذلك استكمال اجتياحهم للعالم الإسلامي حتى هزيمتهم في عين جالوت .

وفي **الفصل الأول** وعنوانه : "المعتقدات الدينية عند المغول وموقف الخانات المغول الأوائل من العقائد" ، تناولت فيه الباحثة الحديث عن عقيدة المغول الشامانية ،ومن ثم الحديث عن جنكيز خان وموقفه من المعتقدات الدينية ،وبعد ذلك الحديث عن خلفاء جنكيز خان وموقفهم من المعتقدات الدينية وهم أوكتاي قاآن ،وكيوك قاآن، ومنكوقاآن، وقوبيلاي قاآن، الذين كان لهم مواقف متباينة من المعتقدات الدينية السائدة في المناطق الواقعة تحت حكمهم ،ثم الحديث عن محاولات الغرب الأوربي لتنصير المغول.

أما **الفصل الثاني** وعنوانه : " موقف المغول الإيلخانيين غير المسلمين من المعتقدات الدينية " فقد تناولت فيه الباحثة الحديث عن المغول الإيلخانيين وسبب تسميتهم بهذا الاسم ومن ثم حدود دولتهم التي حكموها ،وكذلك الحديث عن هولاكو وديانته وموقفه من الطوائف المختلفة والسفارات الأوربية في عهده ،وكذلك أباقا وديانته وموقفه من العقائد الدينية وعن الأسرة

الجوينية وتحالفه مع مسيحيي أوربا ضد المسلمين ،وأيضاً الحديث عن أحمد تكودار ورغم كونه مسلماً فقد آثرت الباحثة وضعه ضمن المغول الإيلخانيين غير المسلمين كونه يقع ضمن هذه السلسلة في الترتيب الزمني ولأن فترة حكمه كانت قصيرة لم يتحقق من خلالها أي تأثير من الناحية العقائدية وستتحدث الباحثة عن إسلامه وعن أعماله في سبيل نصرة الإسلام وموقفه من الأسرة الجوينية وعلاقته بالمماليك حكام مصر والشام في تلك الفترة،وكذلك أرغون خان وقضائه على الأسرة الجوينية وأيضاً موقفه من المعتقدات الدينية وبروز النشاط اليهودي ممثلاً بالوزير سعد الدولة اليهودي الذي ارتفعت مكانته في عهد أرغون وكذلك الحديث عن النشاط الشيعي في عهده ،وكذلك نشاط السفارات الأوربية في عهده ، ومن ثم الحديث عن كيخاتو وموقفه عن المعتقدات الدينية ،وأخيراً الحديث عن بايدو وموقفه من المعتقدات الدينية .

أما **الفصل الثالث** وعنوانه : " موقف المغول الإيلخانيين المسلمين من المعتقدات الدينية " تناولت فيه الباحثة الإيلخانيين المسلمين وأولهم السلطان غازان خان والحديث عن كيفية إسلامه وإعلانه الإسلام ديناً رسمياً للدولة ومن ثم أعماله في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين ،والتخلص من بعض الشخصيات الهامة ،من ثم علاقته بالمماليك والحروب التي خاضها ضدهم،وموقفه من الغرب المسيحي ،ومن ثم الحديث عن السلطان أولجايتو وموقفه من المذاهب الإسلامية السائدة ومن ثم الحديث عن تشيعه والصراعات المذهبية بين المسلمين في عهده ،وأخيراً الحديث عن آخر الخانات المسلمين وهو السلطان أبو سعيد بهادر خان ومذهبه والمشكلات التي واجهته وموقفه من المماليك وأمراء الحجاز .

أما **الفصل الرابع** وعنوانه : "أثر سياسة المغول الإيلخانيين من الناحية الإقتصادية والإجتماعية والثقافية " ويتضمن التأثيرات التي أصابت الناحية الإقتصادية عند دخول المغول إلى العالم الإسلامي ، ومن ثم الحديث عن الحياة الإقتصادية في عهد كل شخص منهم وماهي الآثار التي خلفوها على الناحية الإقتصادية ،وبعد ذلك الحديث عن الحياة الإجتماعية ومدى

تأثيرها على البلاد الواقعة تحت حكمهم ،فالخانات غير المسلمين كان لهم تأثيرات سلبية على الناحية الإجتماعية ،والخانات المسلمين كان لهم تأثيرات إيجابية نتيجـة التـأثر بالحضـارة الإسلامية ،ومن ثم الحديث على الناحية الثقافية والنشاط الثقافي في عهد المغول الإيلخـانيين فرغم ماوصفوا به من همجية إلا أننا سنلاحظ نشاط الحركة الثقافية في عهدهم وذلك نتيجـة تشربهم للحضارة الإسلامية التي تصهر جميع الشعوب الغازية في بوتقتها.

بعد ذلك الخاتمة والتي اشتملت على نتائج البحث .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	**و – ن**
التمهيد:المغول واجتياحهم العالم الإسلامي	**٢ – ٤١**
وضع العالم الإسلامي قبيل مجيئ المغول إلى البلاد الإسلامية	٢ - ٨
أصل المغول	٩ – ١١
توجه جنكيز خان إلى العالم الإسلامي	١١ – ١٦
سقوط بخارى	١٦ - ١٧
سقوط سمرقند	١٨ – ١٩
الهجوم على إقليم خوارزم	١٩ – ٢٠
الهجوم على إقليم خراسان	٢٠ – ٢٢
جلال الدين منكبرتي	٢٢ – ٢٤
القضاء على الإسماعيلية	٢٤ – ٢٨
القضاء على الدولة العباسية	٢٨ – ٣٧
توجه المغول إلى بلاد الشام	٣٧ – ٤١
الفصل الأول: المعتقدات الدينية عند المغول وموقف الخانات المغول الأوائل من العقائد	**٤٢ - ٨٣**
عقيدة المغول الشامانية	٤٣ – ٥٥
موقف جنكيز خان من المعتقدات الدينية	٥٥ – ٦٥
موقف خلفاء جنكيزخان العظام من المعتقدات الدينية	٦٥ – ٧٩
موقف أوكتاي من المعتقدات الدينية	٦٥ – ٦٧
موقف جغتاي من المعتقدات الدينية	٦٧ – ٦٨
موقف كيوك من المعتقدات الدينية	٦٩ – ٧٢
موقف منكوقان من المعتقدات الدينية	٧٣ – ٧٦
موقف قوبيلاي من المعتقدات الدينية	٧٦ - ٧٩
محاولة الغرب الأوربي تنصير المغول	٧٩ – ٨٢
الفصل الثاني:موقف المغول الإيلخانيين غير المسلمين من المعتقدات الدينية	**٨٤ - ١٤١**
التعريف بالدولة الإيلخانية	٨٤ – ٨٧
هولاكو خان	٨٧ – ٩٣

أباقا خان	٩٣ – ١٠٨
أحمد تكودار	١٠٨ – ١١٦
أرغون خان	١١٦ – ١٣٢
كيخاتو خان	١٣٢ - ١٣٨
بايدو خان	١٣٨ – ١٤١
الفصل الثالث:موقف المغول الإيلخانيين المسلمين من المعتقدات الدينية	**١٤٢ – ١٨٥**
غازان خان ٦٩٤-٧٠٤هـ/١٢٩٤-١٣٠٣م	١٤٢- ١٦١
أولجايتو(محمد خدابنده)٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٣-١٣١٦م	١٦١ – ١٧٤
أبوسعيد(بهادر خان)٧١٦-٧٣٦هـ/١٣١٦-١٣٣٥م	١٧٥ – ١٨٥
الفصل الرابع :أثر سياسة المغول الإيلخانيين من الناحية الإقتصادية والاجتماعية والثقافية	**١٨٦- ٢١٨**
أثر سياسة المغول الإيلخانيين من الناحية الإقتصادية	١٨٢- ١٩٧
أثر سياسة المغول الإيلخانيين من الناحية الإجتماعية	١٩٨ – ٢٠٦
أثر سياسة المغول الإيلخانيين من الناحية الثقافية	٢٠٧- ٢١٧
الخاتمة	٢١٩- ٢٢١
الملاحق	٢٢٢- ٢٥١
قائمة المصادر والمراجع	٢٥٢- ٢٧١

المقدمة

لكل حضارة إنسانية مراحل من القوة والضعف،فبعد أن كانت الدولة الإسلامية في أقوى مراحلها وتسيطر على مناطق مترامية الأطراف،تعرضت للضعف نتيجة التشتت والتجزئة بين بعضها البعض ،وهذا مادفع بكثير من القوى الطامعة للانقضاض على أملاك هذه الدولة بل وحتى الطمع في الوصول إليها أيضاً .

وقد برز ذلك الضعف في أواخر عهد الدولة العباسية التي انشغل خلفاؤها باللهو والانصراف عن أمور الدولة الهامة إلى حياة الترف والبذخ ،كما بدأ خلفاؤها بالتنازع فيما بينهم مما أطمع بعض الدويلات للانفصال عن جسم الدولة العباسية معلنة الاستقلال عنها ،ولم تكتف الدول الإسلامية بالانفصال بل قامت بالاستعانة بأعداء الإسلام لتحافظ على ملكها ، فبعد أن اعتمدت الدولة العباسية على السلاجقة مالبثت أن دخلت معها في صراع وعندما وجدت نفسها عاجزة عن التصدي لها استعانت بالخوارزميين للقضاء على السلاجقة ،ثم دخلت في نزاع مع الخوارزميين أيضاً لطمعهم في الهيمنة على ممتلكات الخلافة العباسية ،وحتى تتخلص الخلافة من الخوارزميين استعانت بعنصر جديد هو العنصر المغولي الذي تميز بقسوته ووحشيته ووضعت نفسها تحت ضرباته الموجعة سنة ٦٥٦هـ /١٢٥٨م ،ولأول مرة في التاريخ الإسلامي يتعرض جزء كبير من العالم الإسلامي ممثلاً في العراق وإيران وآسيا الصغرى وبلاد ماوراء النهر للخضوع لحكام غير مسلمين ،وقد قام هؤلاء بإبادة كل مايرونه في طريقهم وتحطيم معالم الحضارة العربية الإسلامية التي كانت منارة لكل العالم ينهل منها الجميع ،وكعادة كل من يدخل في هذه الحضارة لابد من أن يتأثر بها فكان لهؤلاء الغازين نصيب كبير من هذا التأثر ،فما نعرفه عن المغول أنهم كانوا شعوب همجية ووحشية بعيدة كل البعد عن التحضر ولكن بعد امتزاجهم بهذا الخليط الكبير من التعدد العقائدي سواء البوذي أو

المسيحي أو الإسلامي ،هذا التعدد كان له أثر كبير في التأثير على واقع المنطقة الأمر الـذي **دفعني لاختيار موضوع البحث** لأتعرف من خلاله على المغول الإيلخانيين وموقفهم من العقائد الدينية من وفاة هولاكو حتى نهاية حكم أبـي سـعيد بهـادر خـان ٦٦٣هـ/١٢٦٣م-٧٣٦هـ/١٣٣٥م فقد وجدت أنه موضوع غني يثير الاهتمام ويكشف عن كثير من الأمـور التي قد تبدو غامضة في منطقة حارة وملتهبة بالأحداث والكشف أيضاً عن الدور الذي لعبوه في التأثير على واقع المنطقة وعن مدى تأثرهم بهذه العقائد،وتكمن أهمية الموضوع في أنـه سيعرض للمنطقة التي حكم فيها المغول الإيلخانيين وعن كيفية تعاملهم مع هذا الخلـيط مـن العقائد علني أجد جديداً لم يتطرق إليه الباحثون أثناء دراستهم لهذه الفترة الهامة مـن تـاريخ الإيلخانيين .

أما عن الصعوبات التي واجهت الباحثة : فهي عديدة منها أن المصادر التاريخيـة تناولـت بشكل كبير التاريخ السياسي للمغول الإيلخانيين ولم تتطرق إلى موقفهم العقائدي وإن أشارت إليه فبشكل محدود جداً لذا حاولت استقراء المصادر واستحصلت المادة من خلال السطور وأيضاً فإن أغلب الدراسات المتخصصة بالمغول كانت باللغة الفارسية وهذا مادفع بالباحثة إلى الاعتماد على الترجمات الفارسية لإغناء الموضوع الذي لاتكتمل عناصره إلا بالمادة الفارسية وتطلب ذلك محاولة تعلم المبادىء الأولية للغة والاستعانة بالمترجمين المتخصصـين باللغـة الفارسية وعندهم إلمام بالتاريخ والدين لمحاولة إعطاء المعنى المراد معرفتـه عـن عقائـد المغول ،أضف إلى ذلك الترجمة عن اللغات الأوربية.

أما طريقة البحث :فقد اعتمدت على المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي في دراسـة عقائـد المغول الإيلخانيين.

وقد اشتمل البحث على: **مقدمة** ،**تمهيد** ، **وأربعة فصول** ،**وخاتمة**.وقد تناولت الباحثة فـي **التمهيد** وعنوانه:" المغول واجتياحهم للعالم الإسلامي"،فتناول أولاً حـال العـالم الإسـلامي

المتفكك قبيل اجتياح المغول للعالم الإسلامي،ومن ثم الحديث عن أصل المغول،ومن ثم توجه جنكيز خان إلى العالم الإسلامي وسقوط المدن الهامة بأيدي المغول ،ومن ثم استكمال الاجتياح في عهد خلفائه والقضاء على الإسماعيلية ، ومن ثم سقوط الدولـة العباسـية ، وبعـد ذلـك استكمال اجتياحهم للعالم الإسلامي حتى هزيمتهم في عين جالوت .

وفي **الفصل الأول** وعنوانه : "المعتقدات الدينية عند المغول وموقف الخانات المغول الأوائـل من العقائد" ، تناولت فيه الباحثة الحديث عن عقيدة المغول الشامانية ،ومن ثم الحـديث عـن جنكيز خان وموقفه من المعتقدات الدينية ،وبعد ذلك الحديث عن خلفاء جنكيز خان ومـوقفهم من المعتقدات الدينية وهم أوكتاي قاآن ،وكيوك قاآن،وجغتاي، ومنكوقاآن، وقوبيلاي قـاآن، الذين كان لهم مواقف متباينة من المعتقدات الدينية السائدة في المناطق الواقعة تحت حكمهـم ،ثم الحديث عن محاولات الغرب الأوربي لتنصير المغول.

أما **الفصل الثاني** وعنوانه : " موقف المغول الإيلخانيين غير المسلمين من المعتقدات الدينية " فقد تناولت فيه الباحثة الحديث عن المغول الإيلخانيين وسبب تسميتهم بهذا الاسم ومن ثم حدود دولتهم التي حكموها ،وكذلك الحديث عن هولاكو وديانته وموقفه مـن الطوائـف المختلفـة والسفارات الأوربية في عهده ،وكذلك أباقا وديانته وموقفه من العقائد الدينية وعـن الأسـرة الجوينية وتحالفه مع مسيحيي أوربا ضد المسلمين ،وأيضاً الحديث عن أحمد تكودار ورغـم كونه مسلماً فقد آثرت الباحثة وضعه ضمن المغول الإيلخانيين غير المسلمين كونه يقع ضمن هذه السلسلة في الترتيب الزمني ولأن فترة حكمه كانت قصيرة لم يتحقق من خلالها أي تأثير من الناحية العقائدية وستتحدث الباحثة عن إسلامه وعن أعماله في سـبيل نصـرة الإسـلام وموقفه من الأسرة الجوينية وعلاقته بالمماليك حكام مصر والشام فـي تلـك الفترة،وكـذلك أرغون خان وقضائه على الأسرة الجوينية وأيضاً موقفه من المعتقدات الدينية وبروز النشاط اليهودي ممثلاً بالوزير سعد الدولة اليهودي الذي ارتفعت مكانته في عهـد أرغـون وكـذلك الحديث عن النشاط الشيعي في عهده ،وكذلك نشاط السفارات الأوربية في عهده ، ومـن ثـم

الحديث عن كيخاتو وموقفه عن المعتقدات الدينية ،وأخيراً الحديث عن بايدو وموقفه من المعتقدات الدينية .

أما **الفصل الثالث** وعنوانه : " موقف المغول الإيلخانيين المسلمين من المعتقدات الدينية " تناولت فيه الباحثة الإيلخانيين المسلمين وأولهم السلطان غازان خان والحديث عن كيفية إسلامه وإعلانه الإسلام ديناً رسمياً للدولة ومن ثم أعماله في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين ،والتخلص من بعض الشخصيات الهامة ،من ثم علاقته بالمماليك والحروب التي خاضها ضدهم،وموقفه من الغرب المسيحي ،ومن ثم الحديث عن السلطان أولجايتو وموقفه من المذاهب الإسلامية السائدة ومن ثم الحديث عن تشيعه والصراعات المذهبية بين المسلمين في عهده ،وأخيراً الحديث عن آخر الخانات المسلمين وهو السلطان أبو سعيد بهادر خان ومذهبه والمشكلات التي واجهته وموقفه من المماليك وأمراء الحجاز .

أما **الفصل الرابع** وعنوانه : "أثر سياسة المغول الإيلخانيين من الناحية الإقتصادية والإجتماعية والثقافية " ويتضمن التأثيرات التي أصابت الناحية الإقتصادية عند دخول المغول إلى العالم الإسلامي ، ومن ثم الحديث عن الحياة الإقتصادية في عهد كل شخص منهم وماهي الآثار التي خلفوها على الناحية الإقتصادية ،وبعد ذلك الحديث عن الحياة الإجتماعية ومدى تأثيرها على البلاد الواقعة تحت حكمهم ،فالخانات غير المسلمين كان لهم تأثيرات سلبية على الناحية الإجتماعية ،والخانات المسلمين كان لهم تأثيرات إيجابية نتيجة التأثر بالحضارة الإسلامية ،ومن ثم الحديث على الناحية الثقافية والنشاط الثقافي في عهد المغول الإيلخانيين فرغم ماوصفوا به من همجية إلا أننا سنلاحظ نشاط الحركة الثقافية في عهدهم وذلك نتيجة تشربهم للحضارة الإسلامية التي تصهر جميع الشعوب الغازية في بوتقتها.

بعد ذلك **الخاتمة** والتي اشتملت على نتائج البحث .

وهناك بعض الاختصارات في البحث منها :

تح :اختصار لكلمة تحقيق

ت :اختصار لكلمة ترجمة

هـ :اختصار لكلمة هجري

م :اختصار لكلمة ميلادي

عرض لأهم المصادر والمراجع

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر وكذلك على مجموعة من المراجع العربية والفارسية

المصادر:

تميزت المصادر العربية بضآلة المادة عن المعتقدات الدينية عند المغول الإيلخانيين كما ذكرنا من قبل فقد اقتصرت غالباً على إظهار الجانب السياسي والصراع الذي كان قائماً بين المغول والمماليك،ولكن بعض المصادر العربية تناولت الجانب العقدي ولو بشكل بسيط ومن هذه المصادر.

ابن العبري (ت٦٨٥هـ /١٢٨٦م وكتابه بعنوان "تاريخ مختصر الدول " وهو مؤرخ معاصر للغزو المغولي للعالم الإسلامي ،حيث أن عائلته اضطرت للفرار هرباً من المغول وقد تحدث في جزء من كتابه عن المغول وغزوهم للعالم الإسلامي وخانات المغول الأوائل ومن ثم تحدث عن هولاكو وأعماله وموقفه من المسيحين كما تحدث عن خلفائه حتى عهد أرغون حيث لم يكتمل الكتاب بسبب وفاته.

وكتابه الثاني بعنوان "تاريخ الزمان "وقد بين في مواضع منه موقف المغول الإيلخانيين من المسيحيين وكيفية تعاملهم معهم وقد أفاد هذين الكتابين البحث.

ابن الفوطي(ت٧٢٣هـ /١٣٢٣م)وكتابه بعنوان " الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة" وهو مؤرخ معاصر لفترة البحث يتحدث فيه عن بغداد وعن الحياة العامة في بغداد ومن ثم سقوط الدولة العباسية على أيدي المغول ويشير في مواضع كثيرة من كتابه على مواقف الخانات الإيلخانيين من الطوائف الموجودة في بغداد وقد أفاد البحث في هذه النواحي .

النويري (ت٧٣٣هـ /١٣٣٢م) وكتابه" نهاية الأرب في فنون الأدب" وخاصة الجزء السابع والعشرين منه وقد تناول فيه الحديث عن جنكيز خان حتى أبي سعيد وموقف الإيلخانيين من المماليك حكام مصر.

القلقشندي(ت٨٢١هـ /١٤١٨م) وكتابه بعنوان " صبح الأعشى في صناعة الإنشا" وقد وصف فيه بإسهاب ممتلكات المغول وامتداد دولهم بشكل عام كما تحدث فيه عن ممتلكات الإيلخانيين وتحدث فيه وإن بشكل بسيط على الياسا التي أصدرها جنكيز خان وماتضمنته من قواعد كما استفادت منه الباحثة في توضيح بعض المصطلحات التي تخص المغول وقد استفادت الباحثة من ذلك في البحث .

وأيضاً من المصادر العربية التي أفادت البحث كتب الجغرافيا والرحلات ويأتي في مقدمتها ياقوت الحموي _ت٦٢٦هـ /١٢٢٨م)وهو من أشهر الكتب الجغرافية وهو يعطي وصفاً لكثير من مدن المشرق.

الحميري وكتابه بعنوان "الروض المعطار في خبر الأقطار"وأيضاً يصف لأهم مدن المشرق ويعرض للأحداث التي تلي فترة ياقوت الحموي .

المصادر الفارسية:

وتتميز أكثرها بالمعاصرة لفترة البحث ومن أهم هذه المصادر:

- الجويني(ت٦٨١هـ /١٢٨٢م) وكتابه بعنوان "تاريخ فاتح العالم جهانكشاى" وقد شغل وظيفة صاحب الديوان في البلاط الإيلخاني وتحدث فيه بإسهاب عن قبائل المغول وخاناتهم الأوائل ،كما تحدث عن غزو جنكيز خام للعالم الإسلامي ،وعن الدولة الخوارزمية ،كما تحدث بشكل كبير عن الإسماعيلية وعن إحراق مكتبتهم الضخمة على يد المغول .

- رشيد الدين فضل الله الهمذاني(ت٧١٨هـ /١٣١٨م)وقد اعتمدت عليه الباحثة بشكل كبير وأيضاً كان يشغل وظيفة هامة في البلاط الإيلخاني ومن أهم كتبه "جامع التواريخ ،مج٢،ج١،مج٢،ج٢" ويتحدث في المجلد الأول عن هولاكو خان وغزوه للعالم الإسلامي ،كما يتحدث في المجلد الثاني عن خلفاء جنكيز خان ،وأيضاً كتاب جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) ويتحدث فيه بإسهاب عن غازان خان وأعماله ،وقد اعتمدت الباحثة بشكل كبير على ذلك المصدر لإعطائه معلومات هامة تفيد البحث .

- القاشاني وكتابه بعنوان "تاريخ أولجايتو" يتحدث فيه عن موقف كل من غازان وأولجايتو من المذاهب الإسلامية وعلاقتهم بالتشيع وينحاز هذا المؤرخ بشكل كبير إلى الشيعة كونه شيعياً وقد اعتمد البحث عليه في ذكر بعض الأحداث الهامة في عهد كل من غازان وأولجايتو.

- خواندمير (همام الدين بن غياث الدين الحسيني)وكتابه بعنوان "تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد البشر" وقد استفادت منه الباحثة من خلال إبراز دور كل الإيلخانات موضوع البحث من العقائد الدينية.

- الجوزجاني وكتابه بعنوان "طبقات ناصري"وتناول فيه المؤرخ الحديث عن الخانات المغول الأوائل وموقفهم من المعتقدات الدينية وبعض الحكايات التي تصف تعاملهم مع الطوائف الموجودة في المناطق التي سيطروا عليها.

ومن **المصادر الأوربية** المترجمة كتاب ماركوبولو(ت٧٢٥هـ /١٣٢٤م) وعنوانه "رحلات ماركوبولو" وهو رحالة بندقي زار في صحبة والده بلاط الخان الأعظم قوبيلاي وقد تعلم لغة المغول وقد وصف في كتابه الكثير عن عقائد المغول وعاداتهم وقد أفاد البحث في هذه الناحية

ومن **المراجع العربية** الهامة والتي أفادت البحث مؤلفات الدكتور فؤاد الصياد ومنها كتاب

" المغول في التاريخ" ويتحدث في هذا الكتاب عن قبائل المغول وعن جنكيز خان وخلفائه العظام وعن اجتياحهم للعالم الإسلامي وعن سقوط قلاع الإسماعيلية ،كما يتحدث عن حياة المغول وتأثير الياسا على حياتهم.

"الشرق الإسلامي في عهد المغول الإيلخانيين" وفيه يستكمل المؤرخ مابدأه في كتابه الأول وهو كتاب هام يستعرض فيه المؤرخ إيلخانات المغول ويتحدث عن أعمالهم في مختلف الاتجاهات ،السياسية والحضارية والدينية .

"مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني " يتحدث فيه عن رشيد الدولة الهمذاني وعن حياته السياسية ، وعن نهايته ،كما تحدث فيه عن أهم المؤرخين المعاصرين له وعن مؤلفاته وأهميتها.

ومن **المراجع الأجنبية** الهامة الهامة كتاب برتولد شبولر وعنوانه "العالم الإسلامي في العصر المغولي" ويتحدث فيه عن الامبراطورية المغولية وجنكيز خان وعن هولاكو وقدومه للعالم الإسلامي ،كما يتحدث عن المغول الإيلخانيين حتى عهد أبي سعيد وفيه ذكر كبير لبعض الجوانب الحضارية وإشارات على معتقداتهم .

كتاب" تاريخ إيران" وهو غير مترجم للمؤرخ BOYLE ويعرض فيه لتاريخ إيران في عهد المغول ،وكذلك عرض للحياة الدينية عند المغول وتحدث عن أهم الأحداث في عهد كل إيلخان وعن المذهب الذي اعتنقه كل إيلخان .

وقد استفادت الباحثة من بعض **الرسائل العلمية** التي تمت إلى البحث بصلة ومنها :

- رسالة دكتوراه مقدمة من صبري عبد اللطيف سليم بعنوان "الصراع السياسي والمذهبي بين السنة والشيعة في عصر سيطرة إيلخانات المغول في إيران " وقد تضمنت الحديث عن المغول والسنة والشيعة ،وحملة هولاكو على ديار المسلمين ،وعن المغول الإيلخانيين الوثنيين والمسلمين وقد أفادت البحث في بعض الجوانب .

- رسالة دكتوراه مقدمة من أحمد عبد العزيز بقوش بعنوان "المجتمع المغولي في عصر الإيلخانيين "تحدث فيها عن أوضاع المغول الإجتماعية والمعيشية كما تحدث فيها عن الإدارة والنظم الإقتصادية عند المغول ،كما تحدث عن الياسا ،ثم تحدث عن تحول المغول إلى الإسلام .

- رسالة ماجستير مقدمة من إيمان محمد ذكى بعنوان "الأسرة الجوينية ودورها في الحياة الإدارية والثقافية في زمن العصر المغولي "وتحدثت فيها عن الأسرة الجوينية وعن دورهم في مختلف الجوانب الإقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية في ظل حكم المغول الإيلخانيين .

التمهيد

المغول واجتياحهم العالم الإسلامي

- وضع العالم الإسلامي قبيل مجيء المغول إلى البلاد الإسلامية
- أصل المغول
- توجه جنكيز خان إلى العالم الإسلامي
- أ- سقوط بخارى
- ب - سقوط سمرقند
- ج- الهجوم على إقليم خوارزم
- جلال الدين منكبرتي
- القضاء على الإسماعيلية
- القضاء على الدولة العباسية
- توجه المغول إلى بلاد الشام

عانى العالم الإسلامي الكثير من الأزمات خلال تاريخه المديد، لكن أهم هذه الأزمات التي مرت على تاريخه الطويل هو الغزو المغولي الوحشي الذي مني به العالم الإسلامي؛ فكانت تلك الفاجعة التي هزت كيانه من أهم ما تعرض له؛ فقد كان دخول المغول إلى العالم الإسلامي من الأمور الخطيرة التي وقف لها الكثيرون مذهولين من عظم الفاجعة التي يصعب على العقل أن يصدقها بسهولة حتى أن المؤرخ ابن الأثير بقي سنيناً عديدة معرضاً عن هذه الحادثة (استعظاماً لها)"[1]" لأنه كان من الصعب عليه أن يذكر نعي الإسلام والمسلمين، كما أنه تمنى لو أن أمه لم تلده لهول ما رأى من عظائم الأمور التي هزت كيان الأمة الإسلامية، وأيضاً لما قاموا به من الأعمال الوحشية وقتلهم النساء والأطفال وشقهم بطون الحوامل وقتل الأجنة حيث قال "ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا"[2]" .

وهنا نعتقد أن عبارات ابن الأثير تكاد تكفي لوصف ما حدث من مصائب ألمت بالعالم الإسلامي من جراء ما قام به المغول من تدمير وتخريب وقتل وإبادة لمعالم الحضارة الإسلامية وبذلك عبروا عن قسوتهم وهمجيتهم في معاملة الشعوب التي دخلوا بلادها.

كما كان المغول حين يحتلون مدينة من المدن يعرّضون سكانها للقتل الوحشي الجماعي باستثناء طبقة العمال المهرة التي احتاجها الغزاة"[3]".

وهنا لا بد من تساؤل هو كيف كان **وضع العالم الإسلامي قبيل مجيء المغول إلى البلاد الإسلامية؟** وهل كان لهم دور في تمهيد الطريق للمغول؟.

-١ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تح:خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت ،ج١٠، ص ٤٠٤.

٢-ابن الأثير :المصدر نفسه، ص ٤٠٤.

٣- برنارد لويس: الإسلام في التاريخ: ت: مدحت طه، تقديم احمد كمال الدين أبو المجد، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٣٠٨.

وللإجابة على هذا التساؤل لا بد من أن نذكر أن الضعف الذي حل بالعالم الإسلامي والتنازع بين الحكام المسلمين كان له أكبر الأثر في تمزيق الدولة الإسلامية، فقد كانت البلاد الإسلامية في أوائل القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي مقسمة إلى دويلات، وكانت سلطة الخليفة العباسي تقتصر على المظهر الديني وكانت هذه الدويلات قد انشغل حكامها بالتوسع الواحد على حساب الآخر"[1]،فقد كان الشرق الإسلامي في حالة شديدة من الضعف تصطرع فيه المذاهب والآراء ويسيطر عليه حكام متنازعون تسيطر عليهم الأهواء والمصالح الشخصية، وكانت أهم الدول التي تمثل الشرق الإسلامي تقوم في إيران والعراق والشام ومصر، وفي إيران كانت ***الدولة الخوارزمية***"[2]" "[3]" وقد أخذت هذه الدولة تتسع شيئاً

١- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ج٤، ص ١٢٩.

٢ -هذه الدولة من جملة فروع الدولة السلجوقية لأن أصل البيت الخوارزمي من مماليك أحد أفراد الدولة السلجوقية وكان مؤسسها أنوشتكين الذي كان في أول أمره عبداً اشتراه أحد الأمراء السلاجقة من غرجستان، ثم شغل منصب الطشت دار (مركب من لفظين طست والعامة يسمونها طشت ودار معناه ممسك على ماتقدم فيكون معناه ممسك الطست وهو من أرباب الخدم) إلى أن نصب حاكماً على خوارزم وتلقب بخوارزمشاه، وقد حكم من بعده أولاده وهم قطب الدين محمد ٤٩٠هـ-٥٢١هـ /١٠٩٦-١١٢٧م ثم جاء من بعده ابنه أتسز ٥٢١-٥٥١هـ /١١٢٧-١١٥٦م ثم جاء من بعده ابنه إيل أرسلان بن أتسز بن محمد الذي استمر في ولايته حتى سنة ٥٦٨هـ /١١٧٢م وبعد وفاته تولى ابنه الأصغر جلال الدين محمود سلطانشاه، وفي عهد هذا السلطان حدث صراع بينه وبين أخيه تكش وأدت إلى انتصاره وقد استعان الخليفة العباسي الناصر لدين الله بتكش ضد سلاجقة العراق و انتصر على طغرل السلجوقي بالقرب من الري سنة ٥٩٠هـ /١١٩٤م وحمل رأسه على رمح إلى بغداد، وبعد وفاة تكش تولى ابنه علاء الدين محمد وقد هددت ممتلكاته أخطار خارجية كبرى من جانب الغوريين والخطا والخلافة العباسية، وقد بلغت الدولة الخوارزمية ذروة اتساعها في عهده حيث امتدت من حد العراق إلى تركستان وغزنة وسجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وخراسان وفي عهده كان الاجتياح المغولي للعالم الإسلامي واستلم بعده ابنه جلال الدين منكبرتي الذي أبلى بلاءً حسناً في محاربة المغول .(ابن الأثير :الكامل ،ج١٠،ص٢٣٦، ابن الشحنة :روضة المناظر في علم الأوائل والأواخر(تاريخ تيمور)،مخطوط رقم ١٥١١،دار الكتب المصرية ،القاهرة،ص١٨٦،النويري :نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: سعيد عاشور، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م، ج٢٧،ص ١٩٧، ٢٠١-٢٠٢ ، الذهبي :العبر في خبر من غبر ،تحقيق:صلاح الدين المنجد ،الكويت ،١٩٨٤،ج٤،ص٢٧١، ٢٩٠، فؤاد عبد المعطي الصياد:المغول في التاريخ،دار النهضة العربية ،بيروت ،ص٦١،شعبان ربيع طرطور :موجز تاريخ إيران في العصر المغولي ،القاهرة ،١٩٩٧م،ص١١،نافع توفيق العبود :الدولة الخوارزمية،ط١ ،مطبعة بغداد ،١٩٧٨م ،ص٣٥-٤٠،صبري سليم :الأتراك الخوارزميون في الشرق الأدنى الإسلامي ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،٢٠٠٠م ،ص٢١،عثمان محمود مهني :فن القصيدة الفارسية في العصر الإيلخاني ،رسالة دكتوراة ،جامعة عين شمس ،كلية الآداب ،٢٠٠٨م ،ص١.

٣ - فؤاد الصياد :المغول ،ص٦١.

فشيئاً على حساب الدول المجاورة وزاد نفوذها في أيام حكم علاء الدين محمد خوارزمشاه ٥٩٦-٦١٧هـ / ١٢٠٠-١٢٢٠م وهذا السلطان هو الذي كان معاصراً لجنكيز خان"[١]". وسنتحدث بالتفصيل عن هذا السلطان في معرض حديثنا عن الدولة الخوارزمية والمغول.

أما في العراق: فقد كان للخليفة العباسي في بغداد السيادة الروحية، أما القوة السياسية والعسكرية فقد زالت عن هذه الخلافة ولم يعد لهذا الخليفة من القوة إلا طلب الدعوة له على المنابر في صلاة الجمعة أو المناسبات أو الأزمات بأن يوفق الله المسلمين، أو الاستنفار للجهاد"[٢]".

فبعْد أن شعر الناصر لدين الله"[٣]" ٥٧٥-٦٢٢هـ /١١٧٩-١٢٢٥م بضعف السلاجقة وضع أمله في الدولة الخوارزمية وأراد أن يتخلص من السلاجقة"[٤]" فكان له ما أراد ولكن ذلك وضعه تحت أطماع الدولة الخوارزمية، وقد تجلى ذلك بوضوح في عهد السلطان محمد خوارزم شاه"[٥]" وقد طالبه الخوارزميون بالمزايا نفسها التي كان يتمتع بها السلاجقة في بغداد"[٦]" ومنها الخطبة والسكة ودار السلطنة وخاصة بعد القضاء على طغرل السلجوقي في

---

١ - محمد سهيل طقوش :تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، ط١، دار النفائس، بيروت، ص٥٢.

٢- محمود سعيد عمران، المغول وأوربا، دار المعرفة، القاهرة، ص ١٣.

٣ - الناصر لدين الله:هو أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين ولد ببغداد سنة ٥٥٣هـ /١١٥٨م وبويع بالخلافة ٥٧٥هـ /١١٧٩م، وكانت مدة خلافته سبعاً وأربعين سنة إلا شهراً خربت في أيامه العراق وتفرق أهله في البلاد وكان قبيح السيرة.(.ابن كثير ،البداية والنهاية ،تحقيق:خيري سعيد،المكتبة التوفيقية ،القاهرة ،ج٨،ص ٥٨٣-٥٨٤، المقريزي :السلوك لمعرفة دول الملوك ،نشره محمد مصطفى زيادة ،القسم الأول ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة ،القاهرة ،ص٢١٨).

٤ - السلاجقة :وهم ينتمون إلى مجموعة من القبائل التركية عرفت باسم الغز وقد كانوا يسكنون سهول التركستان ثم هاجروا إلى بلاد ماوراء النهر وسموا نسبة إلى جدهم الأعلى سلجوق بن دقاق الذي وحد كلمتهم. (الحسيني :زبدة التواريخ ،دار إقرأ،بيروت ،١٩٨٥م ،ص١-٣،البنداري :تاريخ دول آل سلجوق ،ط٣، دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،١٩٨٠،ص٧-٨).

٥- فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول ،ص٦٩.

٦- بغداد :مدينة محدثة في الإسلام لم تكن بها عمارة فابتنى أبو جعفر المنصور المدينة في الجانب الغربي وهي دار خلفاء بني العباس وبغداد بالفارسية عطية الصنم لأن بغ صنم وداد عطية ومنهم من قال أن بغ تعني البستان الكثير الشجر وداذ معطي فمعناه معطي البساتين وسميت كذلك بهذا الاسم لأنه أهدي إلى كسرى خصي من المشرق وكان له=

عهد السلطان خوارزم شاه تكش"[1]"، وعلى هذا كان السلطان علاء الدين محمد يرى في الخليفة العباسي الناصر لدين الله خطراً يتهدد دولته فرأى أن يزيحه عن طريقة ويستولي على ما تحت يديه"[2]".

وبالفعل سار خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش إلى بلاد الجبل فملكها وكان يهوى أن يخطب له ببغداد ويلقب بالسلطان"[3]"، وحتى يحقق ذلك قام بعدد من الإجراءات وهي أنه اعتنق مبادئ الشيعة وصرح بأن الغرض من إزالة الدولة العباسية هو إقامة دولة علوية"[4]"، وقد وقع اختياره على علوي من ترمذ"[5]" يدعى علاء الملك كمنافس للخليفة، ومن ثم شرع في إعداد العدة لفتح بغداد ورفع علاء الملك إلى عرش الخلافة"[6]".

وبناء على هذا أصدر السلطان علاء الدين أمراً بعزل الخليفة، وأسقط اسمه من السكة والخطبة ونادى بعلاء الملك خليفة للمسلمين وخطب له على المنابر"[7]".

ونتيجة لذلك فكر الناصر لدين الله بالتخلص من الخوارزميين حيث ذكر ابن الأثير أن ما نسبه العجم للناصر لدين الله كان صحيحاً من أنه هو الذي أطمع التتر في بلاد الإسلام حيث راسل

=صنم يقال له بغ فقال الخصي بغداذي :أي أعطاني إلهي يعني الصنم (الاصطخري :مسالك الممالك ،طبع مدينة بريل ليدن ،١٩٣٧م،دار صادر،بيروت ،ص٨٣،الحميري :الروض المعطار في خبر الأقطار ،تح:إحسان عباس،ط٢، مؤسسة ناصر ،القاهرة،١٩٨٠، ،ص١٠٩-١١٠)

١- ابن الساعي :الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ،المطبعة السريانية الكاثوليكية ،بغداد ،١٩٣٤م،ج٩،ص٣٥،صبري عبد اللطيف سليم: تاريخ نشأة دولة المماليك في مصر بين الصليبيين والمغول، مجلة دار العلوم بالفيوم، جامعة القاهرة.

٢- فؤاد الصياد:المغول في التاريخ ، ص ٧٠.

٣- ابن الأثير: الكامل ،ج١٠، ص ٣٧٦.

٤ - فؤاد عبد المعطي الصياد: المرجع السابق ص ٧٠.

٥ - ترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن واقعة على نهر جيحون من جانبه الشرقي(ياقوت الحموي :معجم البلدان ، دار الفكر ،بيروت ،د.ت ، ج٢،ص٢٦).

٦ - كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ت :نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ص ٣٨٠.

٧ - فؤاد عبد المعطي الصياد:المغول في التاريخ ، ص ٧١.

جنكيز خان وذلك لتخليص بلاده من الدولة الخوارزمية"[1]".

أما الخطر الآخر الذي هدد كيان العالم الإسلامي وجعله عرضة سهلة للغزو المغولي فتمثل في *الإسماعيلية*"[2]"، وقد ازدهرت تلك الفرقة خلال العصر السلجوقي ورفضوا الاعتراف بالابن الثاني للإمام جعفر كما فعل غالبية الشيعة"[3]".

وبعد أن استتب الأمر للفاطميين في مصر بدأوا يروجون للمذهب الشيعي في المشرق وذلك من أجل إضعاف الخلافة العباسية إذا لم يتمكنوا من القضاء عليها، وقد حدث انقسام بين أنصار هذه الدعوة منذ أيام الخليفة المستنصر الفاطمي ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م فادعى أنه أوصى بالخلافة لابنه نزار،ورأى بعضهم الآخر بأنه أوصى بها للمستعلي"[4]"،وقد تزعم الفرقة النزارية في إيران الحسن الصباح الذي أقام دولة للإسماعيلية في الشمال الغربي من إيران سنة ٤٨٣هـ /١٠٩٠م وقد سمى دعوته بالدعوة الجديدة، تمييزاً لها عن الدعوة القديمة، وهي الدعوة الإسماعيلية الفاطمية"[5]"، وقد استغل ضعف الخلافة العباسية ليقوي مذهبه فكان هذا

١- ابن الأثير: الكامل،ج١٠، ص ٤٥٧، المقريزي :السلوك ،القسم الأول،ص٢١٨.

٢ – الإسماعيلية : ويسمون بالباطنية وربما يلقبون بالملاحدة وسموا بالإسماعيلية لأنهم نادوا بإسماعيل بن جعفر الصادق والباطنية لقولهم كل ظاهر له باطن يكون ذلك الباطن مصدراً له وذلك الظاهر مظهراً له ،أي أن لظاهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظاهر مجرى اللب من القشر، ولقبوا أيضاً بالملاحدة لعدولهم عن ظاهر الشريعة إلى بواطنها في بعض الأحوال كما أطلق عليهم لفظ الحشيشية لأنهم كانوا يستعينون بالحشيش لترويج مذهبهم ، وقد أنكر الإسماعيلية موت إسماعيل بن جعفر الصادق وبأنه لا يموت حتى يملك الأرض ويقوم بأمر الناس وأنه هو القائم لأن أباه أشار إليه بالإمامة"[2]" (الشهرستاني :الملل والنحل ،تح:أمير مهنا ،دار المعرفة ،بيروت ،ج١،ص٢٢٦، أبي حامد الغزالي ،فضائح الباطنية ،راجعه :محمد علي القطب ،المكتبة العصرية ،بيروت ،٢٠٠١م ،ص٢١،نصير الدين الطوسي :رسالة في قواعد العقائد :تحقيق :علي حسن حازم ،ط١ ،دار الغربة ،لبنان ،١٩٩٢م ،ص٨٥ ،فؤاد الصياد :المغول ،ص٧٥، محمد السعيد جمال الدين: دولة الإسماعيلية في إيران، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٢٣).

٣- النوبختي :فرق الشيعة ،المطبعة الحيدرية ،النجف،١٩٣٦م ،ص٦٧-٦٨.

Richard N. Frye: Iran, London,1954,p54.

٤ – حافظ حمدي :الدولة الخوارزمية والمغول ،دار الفكر ،القاهرة ،١٩٤٩م،ص١١٥.

٥ – محمد السعيد جمال الدين :موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الإسلامي ،وزارة الأوقاف ،القاهرة ،٢٠٠٧م ،ص٤٨.

عامل من عوامل إضعاف المسلمين أدى إلى زيادة الضعف والتفكك"[1]، وقد اتخذوا من قلعة ألموت"[2]" مركزاً لهم وقد بثوا الرعب في النفوس وأفسدوا البلاد كما كان لهم جهاز رهيب وتنظيم سري خطير وكانت العادة عندهم أنه إذا ظهر حاكم قوي في البلاد الإسلامية أسرع الفدائيون منهم إلى اغتياله ليأمنوا جانبه"[3]"، وقد عمل على بث الرعب من خلال إرسال أتباعه [1,2,3]لقتل القادة السياسيين البارزين الذين يعارضون الإسماعيلية"[4]"، كما إنهم لم يتوانوا في محاربة الدولة الخوارزمية الفتية ومناهضتها فنراهم يتقربون إلى المغول الذين بدأوا يظهرون على المسرح التاريخي"[5]".

مصر وبلاد الشام : كانت مصر وبلاد الشام تحت تهديد الخطر الصليبي كما كانت تتنازع فيما بينها؛ فبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي تمزقت الوحدة التي أقامها، فاستقلت كل الأقاليم، وترتب على ذلك أن أصاب بلاد الشام التفكك والانقسام"[6]"،فلما مات صلاح الدين"[7]" انقسمت

---

١ - حافظ أحمد حمدي:الدولة الخوارزمية والمغول ،ص ١١٥.

٢ - ألموت: يقال إن معناها عش العقاب أو ماوجده العقاب وهي على بعد ستة فراسخ من قزوين ،وقد تمركز فيها الحسن الصباح وكان قد سافر إلى مصر لدراسة المذهب الفاطمي وعاد بعد سنتين ليصبح من دعاة المذهب الإسماعيلي وقد استولى على هذه القلعة :(كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ،تر:بشير فرنسيس ،كوركيس عواد ،مؤسسة الرسالة ،بيروت،.إيمان ذكي :الأسرة الجوينية ودورها في الحياة الإدارية والثقافية في زمن العصر المغولي ،رسالة ماجستير ،كلية الآداب ،جامعة عين شمس ،القاهرة ،٢٠٠٨م،ص٣١).

٣ - فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ص ٨١- ٨٢.

4-Richerd N.Frye: Iran , p54.

٥ – حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية، ص ١١٨.

٦- السيد الباز العريني: المغول: دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٧م، ص ٨٥.

٧- صلاح الدين:(٥٦٧-٥٨٩هـ/١١٧١-١١٩٣م) يوسف بن نجم الدين أيوب الكردي الأصل رحلت أسرته عن تكريت سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م وقد دخل في خدمة نور الدين زنكي سلطان حلب وقد استعان نور الدين به وبعمه أسد الدين شيركوه في تحقيق أغراضه في مصر وتمكن بمعونتهما من ضم مصر إلى أملاكه ،وقد تمكن صلاح الدين الذي كان وزيراً للعاضد في مصر من إقامة الخطبة للخليفة العباسي المستضيء.(أحمد بن إبراهيم الحنبلي :شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ،تحقيق :مديحة الشرقاوي ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،١٩٩٦م ،ص٦-٨(السيوطي جلال الدين عبد الرحمن):حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ،تح:محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،ج٢ ،ص٤-٥).

السلطنة الأيوبية بين أبنائه الثلاثة وأخيه وبعض أقاربه؛ فقد كان ابنه الأفضل"[1]" حاكماً على دمشق وأواسط سوريا، وابنه العزيز في مصر، كما كان الظاهر يحكم حلب، أما أخوه العادل"[2]"فقد حكم العراق و ديار بكر"[3]" والرها"[4]" " وعلى هذا المنوال وزع بقية أعضاء البيت الأيوبي أنفسهم على حماة"[5]" وحمص"[6]" "وبعلبك"[7]" وبلاد ما بين النهرين"[8]"،وازداد هذا الانقسام بعد وفاة الملك العادل أخي صلاح الدين سنة ٦١٥هـ /١٢١٨م فانشغل أولاده بالمنازعات والحروب وتعرضوا لتهديد الدويلات الصليبية التي كانت لا تزال قائمة في سوريا وفلسطين ومصر، كل ذلك حال دون إقامة حلف إسلامي يستطيع الوقوف في وجه المغول"[9]".

وكما ذكرنا سابقاً فقد كان لهؤلاء دور كبير في إضعاف الدولة الإسلامية وبالتالي تمهيد الطريق للمغول لاحتلال العالم الإسلامي المتنازع مع بعضه وذلك بسبب تفرقه وضعفه.

---

١ – الأفضل :علي بن يوسف بن أيوب بن شاذى الملك الأفضل بن الملك الناصر ولد بمصر سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م وهو أكبر الأخوة والمعهود إليه بالسلطنة.(أحمد الحنبلي :شفاء القلوب ،مقدمة المحقق ،ص٢٢٦).

٢ – العادل :٥٩٦-٦١٥هـ /١٢٠٠-١٢١٨ كان من أعظم سلاطين الأيوبيين في مصر بعد صلاح الدين اشترك مع أخيه صلاح الدين في غزواته ومفاوضاته إذ وكل إليه معاونة العزيز في حكم مصر عندما كان يحارب الصليبيين في الشام ،كما عهد إليه بحكم حلب ثم العراق ،ذاع صيته بين ملوك أوروبا فكان صديقاً لريتشارد "قلب الأسد"ووسطاً بينه وبين أخيه صلاح الدين ،استغل الصراع بين أبناء صلاح الدين وناصر أحدهم على الآخر ليمهد الطريق لنفسه ونجح في ذلك.(أحمد الحنبلي :المصدر نفسه ،المقدمة ،ص٢٤-٢٥).

٣ – ديار بكر:بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديله بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وحدها من غرب دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين . (ياقوت الحموي :معجم البلدان،ج٢،ص٤٩٤).

٤– الرها: مدينة في الجزيرة بين الموصل والشام ، سميت باسم الذي استحدثها وهو الرهاء ابن اللبذي ابن مالك ابن دعر واسمها بالرومية آذاسا.(ياقوت الحموي: المصدر نفسه،ج٣،ص١٠٦).

٥ حماة :من كور حمص بالشام وهي مدينة طيبة في وسطها نهر العاصي. (الحميري:الروض المعطار،ص١٩٩).

٦ – حمص:بلد مشهور قديم مسور تقع بين دمشق وحلب في نصف الطريق. (الحموي :معجم البلدان ،ج٥،ص٣٩).

٧– بعلبك:مدينة بالشام وهي حصينة في سفح جبل وعليها سور حصين بينها وبين دمشق ثلاثة أيام (الحموي :المصدر نفسه،ج١،ص٤٥٣،الحميري :الروض،ص١٠٩).

٨ – أحمد بن إبراهيم الحنبلي : شفاء القلوب ،ص٢١،حافظ أحمد حمدي:الدولة الخوارزمية ، ص ١٢٣.

٩– حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ، ص١٣٠

أصل المغول:

نشأ المغول في الهضبة المعروفة باسم منغوليا شمال صحراء جوبي"[١]" وهي تمتد في أواسط آسيا جنوبي سيبيريا وشمال التبت وغربي منشوريا وشرقي تركستان"[٢]" بين جبال ألتاي غرباً وجبال خنجان شرقاً"[٣]"ومناخ هذه الهضبة قاري مما يؤدي إلى تجمد أنهارها وبحيراتها فترة طويلة من أشهر السنة بالإضافة إلى الرياح الشديدة التي تهب من المنطقة الجليدية من سيبيريا الواقعة في شمالها وتنعكس هذه الحالةفي فصل الصيف حيث ترتفع الحرارة وتهب الأعاصير المحملة بالرمال في مثل هذه البيئة القاسية"[٤]" .

ومن جرّاء قسوة المناخ هذه أصبح الإقليم إقليماً غير ذي زرع"[٥]"،ففرض عليهم ذلك حياة التنقل بحثاً عن منابت العشب من أجل حيواناتهم"[٦]"، كما فرضت عليهم هذه البيئة القاسية عيشة كلها نزاع وصراع بسبب التنازع على البقاء؛ ففرضت تلك الأوضاع حالة من الفوضى السياسية والاجتماعية التي كانت تعيشها هذه القبائل المغولية "[٧]"، ولم يكن ثمة حاكم يجمعهم فقد كانوا قبائل متفرقة لكل قبيلة أو قبيلتين رئيس، ولم يكن هؤلاء الرؤساء في سلم فيما بينهم بل على العكس كانت الخصومة والبغضاء تفرقهم، وكانوا يعيشون على السرقة والعنف والفسق والفجور"[٨]"، وكانت هذه الحالة تستلزم ظهور شخصية قوية توحد القبائل المغولية من جهة وتسيطر على سائر القبائل المتبعثرة هنا وهناك من جهة أخرى، ولم تكن هذه الشخصية

١- عادل إسماعيل محمد هلال: العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها على العالم الإسلامي، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٣٣.

٢- تركستان :اسم جامع لجميع بلاد الترك.(الحموي :معجم البلدان ، ج٢ ،ص٢٣).

٣ – مهاب درويش البكري: العملة الإسلامية في العهد الإيلخاني ،مجلة سومر ،بغداد ،مج٢٢،ج١-٢، ١٩٩٦م،ص٩٥.

٤- محمد صالح داوود القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١.

٥ – عطا ملك الجويني :تاريخ فاتح العالم جهانكشاي ،ت:محمد ألتونجي ،ط١،دار الملاح ،دمشق ،مج١،ص٦٠.

٦ – مصطفى طه بدر: تحفة الإسلام الكبرى (أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول)، ط ٢، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٧٨-٧٩.

٧ – محمد السعيد جمال الدين: دراسات في تاريخ المغول والعالم الإسلامي، ط١، القاهرة، ص ٢.

٨ – الجويني: تاريخ فاتح العالم، ص ٦٠.

إلا شخصية تموجين"[1]"، ويقال إن اسمه بالأصل تمرجين"[2]"[3]" وهو الشخص الذي قيضت له الأقدار قيادة قبائل المغول عبر آسيا"[4]" وكان أبوه يسمى يسوكي بهادر من قبيلة من التتر تسمى قيات"[5]" وتعتبر هذه القبيلة من أكبر القبائل المغولية وأكثرها أصالة، ومقدمة على جميع القبائل وإليها يعود نسب جنكيز خان"[6]"وأجداده "[7]".

ولقد توفي والده وهو في الثالثة عشرة من عمره فتغير حاله وانفض عنه أكثر الناس واضطر نتيجة ذلك أن يظل دائم التنقل منذ نعومة أظفاره لتأمين حقوقه الوراثية ولكي يحقق ادعائه كان مجبراً على الالتجاء إلى أصدقاء أقوياء ذوي نفوذ"[8]" وقد كان نتيجة لذلك ملازماً لأونك خان وهو من قبيلة كرايت"[9]" التي تعتبر من القبائل الكبيرة "[10]".

١- حافظ أحمد حمدي:الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ،ط١،دارالفكر العربي ،القاهرة ،٢٠٠٠م ،ص١٢٩.

٢- القلقشندي :صبح الأعشى في صناعة الإنشا،تح: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٣٠٥.

٣ – تيموجين :لفظة صينية معناها الصلب الفائق ومنها تيمورج بمعنى الحداد ومن معانيها أيضاً الفارس الكامل.(صبري عبد اللطيف سليم :الصراع السياسي والمذهبي بين السنة والشيعة في عصر سيطرة إيلخانات المغول في إيران ،رسالة دكتوراة ،كلية دار العلوم،القاهرة ،١٩٩٦م ،ص٦).

٤ - دونالدولبر: إيران ماضيها وحاضرها،ت:عبد النعيم محمد حسنين ،القاهرة ،١٩٥٨م ،ص٦٥.

٥ القلقشندي:صبح الأعشى ، ص ٣٠٥.)

٦ – جنكيز خان :مشتقة من اللفظة الصينية المغولية تشينغ ومعناها الصلب القوي وهي لفظة أويغورية مكونة من مقطعين الأول جنك بمعنى قوي والثاني جيز بمعنى جبار فيكون معنى اللفظة الإجمالي الشديد القوي (محمد سهيل طقوش :تاريخ المغول العظام والإيلخانيين،ص٣٢،حاشية١)

٧- عطا ملك الجويني: تاريخ فاتح ، ص ٦٩،صبري سليم: الصراع السياسي ،ص٥.

٨ – سهيل زكار: تاريخ الدولة العربية في العصر العباسي الثاني، ط٤، منشورات جامعة دمشق، سورية، ١٩٩٨، ص ٣٤.

٩ – الكرايت :قبائل تسكن الواحات الشرقية لصحراء جوبى وجنوب بحيرة بايكال حتى سور الصين وكانت هذه القبيلة أقوى قبائل المغول قاطبة في القرنين الخامس والسادس الهجريين وقد اعتنق رئيسها المسيحية٣٩٨هـ /١٠٠٧م ومنذ ذلك الحين دخلت المسيحية.عباس إقبال :تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية،تر: محمدعلاء الدين منصور ،دار الثقافة ،القاهرة ،١٩٨٩م ،ص٣٤٦.

١٠ – ابن العبري :تاريخ مختصر الدول ،تصحيح :الأب إنطوان الصالحاني اليسوعي ، دار الرائد اللبناني ،بيروت، ١٩٩٣م ،ص٣٩٤.

وقد كان أونك خان هذا أعظم صديق ومساعد له، وكان يعدّ بمثابة الأب بالتبني له، وقد أعانه كثيراً في زمن ضعفه"[١]، وقد اشتهر تيموجين بقسوته وشدة بأسه فحسده الأقران ووشوا بـه إلى أونك خان وقد نجحوا في ذلك "[٢]، وقد وجد أونك خان أنه من المتعذر عليه أن يحـارب تيموجين علناً ففكر في حيلة للقضاء عليه سراً واستقر رأيه على مهاجمته وقت السحر"[٣]، لكن تيموجين استطاع أن يكشف هذه المؤامرة ويتمكن من الهرب عن طريق اثنـين مـن الخـدم أعلماه بالخبر، فعندما قام أونك خان بمهاجمة بيوت تموجين وجدها خالية من الرجال وكمـن مع رجاله بالقرب من البيوت حيث قام تيموجين بمهاجمته ورجاله وقتالهم وبـذلك اسـتطاع الانتصار على أونك خان واستولى على أمواله وذخائره في سنة ٥٩٩هـ /١٢٠٢م"[٤]" وبعـد هذا الانتصار تمكن تيموجين من توحيد القبائل المتفرقة الساكنة في شمال بلاد الصين، وبعـد أن تم له ما أراد أبدل اسمه باسم جنكيز خان أي أعظم الحكام"[٥]".

توجه جنكيز خان إلى العالم الإسلامي:

بعد أن توسعت أملاك الدولة المغولية نتيجة الفتوحات أصبحت أملاكهم تجـاور أمـلاك الخوارزميين، ونتيجة ذلك جاور الخوارزميون عدواً قوياً مرهوب الجانب، وفي البداية سادت علاقة الجوار بين المغول والخوارزميين والتي صبغها طابع السلام، ثم تطور الأمر بعد ذلك وحلت الكارثة العظمى لا للدولة الخوارزمية بل للعالم الإسلامي أجمع"[٦]"، ففي نهايـة عهـد جنكيزخان عمَّ الأمن وهدأت البلاد وصار التجار يجوبون المقاطعات من أقصى الغرب إلـى

١- شيرين بياني: التاريخ السري للمغول أو "يوآن جائوبى شه"،مقالة ترجمها عن الفارسية محمد حسن عبـد الكـريم العمادي،حوليات كلية الآداب ،جامعة عين شمس ،مج٢٥،ج٢، ١٩٩٧م،ص١٤٤.

٢- ابن العبري: تاريخ مختصر، ص ٣٩.

٣ – فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول، ص ٤٧.

٤- ابن العبري: تاريخ مختصر، ص ٣٩٤. القرماني : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق أحمـد حطـيط- فهمي سعد، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٤٨٨.

٥-حافظ حمدي :الشرق الإسلامي ،ص١٢٩-١٣٠.

٦- حافظ أحمد حمدي:الدولة الخوارزمية ، ص ٨٠.

أقصى الشرق"[١]"، وقد حرص جنكيز خان على تأمين طرق التجارة بين أملاكه ودول العـالم الأخرى"[٢]"، وفي الوقت الذي كان فيه جنكيز خان مقيماً في العاصمة الصينية وصله وفدٌ أرسله السلطان محمد خوارزمشاه للتفاوض مع المغول، وكان ملحقاً بالوفد تجار مسلمون وقد أساء أحدهم عندما طلب أسعاراًعالية لبضائعه مما أثار حفيظة الخان فأهانهم ثم أرجعهم إلى بلادهم بسلام"[٣]" وقد حملهم رسالة ليبلغوها إلى السلطان الخوارزمي وكانت الرسالة تشتمل على طلب المسالمة والموادعة وقد خاطب جنكيز خان خوارزمشاه بقوله " أنت عندي مثل أعز أولادي" كما طلب منه أن تستمر قوافل التجارة بين البلدين"[٤]".

وقد أغضبت هذه الرسالة السلطان الخوارزمي وخاصة أن جنكيز خان اعتبره بمثابة الابن وهذه المقولة تعني أن ذلك السلطان ليس إلا مجرد تابع لجنكيز خان.

وذكر ابن خلدون أن السلطان استدعى محمود الخوارزمي (وهو أحد التجار) واستخبره عمّا قاله في رسالته من أنه ملك على الصين واستولى على طمغاج"[٥]" وهل هو صادق فيما قاله"[٦]"وكيف يخاطبه بالولد وما مقدار ما معه من العساكر فلما شاهد محمود الخوارزمي آثار الغيظ بادية على السلطان تبدل لطف الكلام بالخصام وأعرض عن النصح"[٧]" ولكن السلطان عندما سمع بقوة جنكيز خان واستيلائه على الصين وقضائه على كوشلوك خان"[٨]" وما تبقى

١ –عطا ملك الجويني: تاريخ فاتح العالم، ص ٩٧.

٢ – إسماعيل عبد العزيز الخالدي: العالم الإسلامي والغزو المغولي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٩٨٤م، ص ٧٨.

٣– عبد المنعم رشاد: الرعب الذي أحدثه الغزو المغولي، مجلة آداب الرافدين، بغداد، العدد الثاني، ١٩٧١م، ص٦.

٤– النسوي (محمد بن أحمد): سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،تح:حافظ أحمد حمدي ،دار الفكر العربي ،القاهرة ، ص٨٣.

٥– طمغاج :من أرض الصين بينها وبين بلاد التركستان مايزيد على ستة أشهر .(المقريزي :السلوك لمعرفة دول الملوك، ق١،ص٢٠٤).

٦– ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، تقديم عبادة كحيلة، ط١، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧م، ج٥، ص ١١١.

٧– النسوي: سيرة السلطان ، ص٨٥.

٨ – كوشلوك خان: هو ابن زعيم قبائل النايمان التي هزمت على يد جنكيزخان،وكان قد فرّ مع أتباعه إلى القراخطائيين وقد انتهز فرصة العداء بين الخوارزميين والقراخطائيين واتفق مع السلطان الخوارزمي محمد خوارزمشاه

من النايمان"[1]" وافق على إبرام المعاهدة، وقد سر جنكيز خان بهذه المعاهدة"[2]" وقد مر على تلك المعاهدة ثلاث سنوات والتجار والزوار مترددون في أثناء تلك المدة فيما بين تلك الديار آمنين مطمئنين"[3]".

واستمر الحال على المسالمة إلى أن حدثت حادثة أترار"[4]" وهي آخر ولاية خوارزم شاه ومؤداها أن جنكيز خان أرسل إلى بلاد ما وراء النهر(سمرقند"[5]"وبخارى"[6]")تجاراً ومعهم أموالاً كثيرة إلى بلاد خوارزم شاه وذلك من أجل شراء ثياب للكسوة"[7]"،فعندما وصل التجار إلى مدينة أترار طمع أميرها غاير خان فيما معهم من الأموال"[8]"، حيث قام باحتجاز كل رجال القافلة ولم يلبث أن أمر بقتلهم جميعاً بتهمة أنهم جواسيس، وأقر السلطان تصرف والي أترار ووزع السلع على تجار بخارى وسمرقند وحاز أثمانها لنفسه"[9]"، ولم ينجح من هؤلاء التجار غير واحد رجع إلى جنكيز خان وأخبره بالواقعة، فأرسل جنكيز خان إلى خوارزمشاه يخبره

على إزالة= =هذه الدولة، وكان قد تزوج من ابنة كورخان زعيم القراخطائيين وأجبرها على ترك المسيحية وقبول عبادة الأوثان وقد قام بأعمال تعسفية ضد المسلمين وأجبرهم على ترك دينهم فتمرد عليه الناس في كاشغر وختن وقد قتل على يد جنكيز خان .(الجويني :تاريخ فاتح ،ص٨٦-٨٩، رشيد الدين الهمذاني :التاريخ الغازاني من جامع التواريخ (تاريخ المغول)، تح :سهيل زكار ،دمشق ،٢٠٠٥م،ص٢٢٢-٢٢٤،،فؤاد الصياد :المغول في التاريخ ،ص٥٤-٥٥).

١ – النايمان:كانت تسكن في الوادي الأعلى لنهر أورخون والسهول حول جبال آلتاي وقد اعتنقت المسيحية كالكرايت ومع ذلك فقد كانت في نزاع دائم معها .(عباس إقبال :تاريخ إيران ،ص٣٤٧).

٢ – محمد سهيل طقوش: تاريخ المغول العظام، ص ٥٥.

٣– الرمزي: تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، تعليق إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٣٥٣.

٤ – أترار:اسم مدينة حصينة وولاية واسعة في أول حدود الترك بماوراء النهر على نهر سيحون قرب فاراب(ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج١،ص٢١٨).

٥– سمرقند :مدينة من خراسان ،يقال إنها بنيت أيام الاسكندر وهي مدينة حسنة جنوب واد الصغد.(الحميري :الروض المعطار ،ص٣٢٢).

٦– بخارى: من أعظم مدن ماوراء النهر وأجلها يعبر إليها من آمل الشط بينها وبين جيحون يومان وكانت قاعدة ملك السامانية.(ياقوت :معجم البلدان ،ج١،ص٣٥٣).

٧ –ابن الأثير: الكامل،ج١٠، ص٤٠٦.

٨– ابن العبري: تاريخ مختصر، ص ٤٠٠.

٩– السيد الباز العريني: المغول، ١٩٦٧م، ص ١١٨.

عما جرى لتجاره؟ ويطلب منه غاير خان الغادر ليقتص منه"[1]، فأمسك السلطان عن تسيير غاير خان فهو لا يستطيع تسليمه لأن أكثر العساكر والأمراء من أقاربه، ولم يكتف السلطان بعدم إرساله بل قام بقتل رسل جنكيز خان"[2]،فكان لزاماً على جنكيز خان أن يوجه حملة لقتال خوارزمشاه"[3].

من خلال هذا العرض الموجز يتبادر إلى الذهن سؤال؟ هل كانت حادثة قتل التجار هي الدافع الوحيد الذي حدا بجنكيز خان للقضاء على الدولة الخوارزمية أي أنه لولا هذا الحادث لما فكر جنكيز خان بغزو البلاد الإسلامية؟ طبعاً هذا الكلام غير صحيح، فإن هذا الحادث لم يكن السبب في تفكير جنكيز خان بغزو ومهاجمة الدولة الخوارزمية التي أخذت في الاتساع ولكن يمكن أن نعدّ هذا الحادث السبب المباشر لقيام جنكيز خان بهذا العمل، ولكن هذا الأمر لا ينفي الخطأ عن السلطان محمد خوارزمشاه حيث أخطأ في قتل التجار كما أخطأ أيضاً في قتله للرسل الذين قاموا بإرسال هذه الرسالة إلى السلطان وقد أيد ذلك الأمر المؤرخ ابن كثير حيث قال بشأن حادثة قتل التجار "ولم يكن ما فعله خوارزم شاه فعلاً جيداً"[4].

وذكر الجويني أن جنكيز خان لما سمع بحادث قتل التجار غضب وزمجر وأعلن أن لن يهدأ له بال أو تطفأ جذوة ثورته إلا بإراقة الدماء؛ فخرج إلى تل وحيداً وهو حاسر الرأس واستمر على هذا الحال ثلاثة أيام بلياليها وقرر الاستعداد للحرب وأرسل رسله إلى الأطراف ليستحثهم على رد الوصمة والعار التي جلبها قتل التجار"[5]" وقد اتخذ جنكيز خان استعداداته وسار مع جميع أبنائه وجيوشه متجهاً إلى ما وراء النهر وبدأ هذا التصميم في خريف ٦١٦هـ /١٢١٩م وقد وضع جنكيز خان خطة للاستيلاء على إقليم ما وراء النهر في غزوه من أربع

١- الرمزي: تلفيق الأخبار، ص ٣٥٤.
٢- النسوي :سيرة السلطان، ص ٨٨.
٣- السيد الباز العريني: المغول، ص ١٨٩.
٤ -البداية والنهاية،ج٨، ص ٥٦٠.
٥ - تاريخ فاتح العالم ،ص ٩٩-١٠٠، الرمزي: تلفيق الأخبار،ص ٣٥٤.

جهات،الجيش الأول كانت مهمته فتح مدينة أترار، والثاني ومهمته فتح البلاد التي تقع علـى ساحل نهر جيحون، والثالث عبارة عن فرقة صغيرة تتكون من ٥٠٠٠ جندي وقد أمـرت أن تفتح مدينتي بناكت"[١]" وخجند"[٢] "وكانت أهم المنافذ على نهر سيحون، والرابع يتكون من أغلب قوات المغول وعلى رأسه جنكيز خان كما سار معه ابنه تولوي وكان قاصداً إقليم مـا وراء النهر وخاصة بخارى"[٣]".

اتسمت غارات المغول على الدولة الخوارزمية بالهمجية والوحشية وتدمير المـدن والقـرى وكان مظهر المغول يدعو إلى الفزع والجزع ويلقي الرعب في النفوس وهذا ماسنلاحظه من خلال عرضنا لعملية هجومهم على تلك المدن.

وقد قام الجيش الأول بمحاصرة أترار حصاراً متيناً دام خمسة شهور استسلمت المدينة"[٤]" على إثره بعد أن كانوا قد جمعوا فيها العدد الوافر من آلات الحرب اللازمة وغاير خان ينظم أمور الحرب من داخل المدينة ومن على الأسوار"[٥]".

وقد دام القتال على أترار ليلاً ونهاراً حتى استولى عليها جنكيز خان وأحضر غاير خان بين يديه فأمر بسبك الفضة وصبها في أذنيه وعينيه تعذيباً له جزاءً عن فعله الفظيع"[٦]".

١- بناكت :مدينة في ماوراء النهر في الإقليم الرابع تقع على ضفة سيحون اليمنى ،كانت موضعاً كبير الشأن حتى خربها جنكيز خان.(الحموي :معجم البلدان ،ج١،ص٤٩٦،كي لسترنج :بلدان الخلافة ،٥٢٥).

٢-خجند :أول مدن فرغانة من الغرب تقع على ضفة سيحون اليسرى وهي مدينة نزهة وأهلها لهم سفن يسافرون فيها من سيحون.(كي لسترنج:المرجع نفسه ،ص٥٢٢).

٣- فؤاد الصياد: المغول في التاريخ، ص ١١٢.

٤ -عصام عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٣٠١.

٥ -عطا ملك الجويني: تاريخ فاتح العالم، ص ١٠١.

٦ – النسوي: سيرة السلطان، ص ٩١.

وهكذا نفذ جنكيز خان وعيده في قاتل تجاره ورسله،وبسقوط مدينة أترار سقط مفتاح بلاد ما وراء النهر وكان ذلك في سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م"[١]".

وقد قام المغول بعد ذلك بدخول العالم الإسلامي وإبادة السكان والتنكيل بهم، وبدأت المدن تسقط أمامهم الواحدة تلو الأخرى، وسوف نستعرض أهم هذه المدن وأولها بخارى.

أ- سقوط بخارى:

سار الجيش المغولي بقيادة جنكيز خان من أترار جنوباً إلى بخارى حيث وصل جنكيز خان مع عساكره إلى مدينة بخارى وأحاطوا بها من جميع جوانبها"[٢]" وكانت هناك طائفة من العسكر موجودة في بخارى للدفاع عنها وكانت مكونة من عشرين ألف فارس، وقد حاصر المغول المدينة ثلاثة أيام وقاتلوا أهلها قتالاً شديداً، ولم يكن للجيش الذي بقي في بخارى قوة للدفاع عنها فترك الجيش البلد وأصبح أهلها غير قادرين على الدفاع عنها"[٣]" فقرروا عند ذلك التسليم، وبعثوا برسول إلى المغول يطلب منهم الأمان لأهل بخارى فأعطوهم الأمان"[٤]"، وقد فتحت المدينة أبوابها يوم الثلاثاء في الرابع من ذي الحجة من سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، فدخل المغول بخارى ولم يتعرضوا لأهلها بأذى وطلبوا من أهل المدينة مساعدتهم على التخلص ممن في القلعة "[٥]" ،غير أن جنكيز خان بعد أن افتتح القلعة أخذ الأموال وسبى النساء والأطفال و خرب الدور"[٦]".

وبعد ذلك دخل جنكيز خان مسجد مدينة بخارى ووقف في المقصورة وهو على جواده فسأل أهذا قصر السلطان فقالوا له هذا بيت الله، فنزل عن جواده وصعد بضع درجات من درجات

---

١ - حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية، ص ١٣٩.

٢- ابن العبري: تاريخ مختصر، ص ٤٠٧.

٣ - ابن الأثير: الكامل،ج١٠، ص ٤٠٩.

٤ - حسن الأمين: المغول بين الوثنية والنصرنية والإسلام، دار المعارف للمطبوعات، سوريا، ١٩٩٣م،ص ٦٣.

٥- ابن الأثير: الكامل ،ج١٠، ص ٤٠٩.

٦- ابن كثير: البداية، ج٨، ص ٥٦٦.

المنبر وقال لقد خلت السهول من المراعي والأعلاف فافتحوا مخازن البلدة واملـؤوا بطـون جيادكم، وكانوا قد أفرغوا صناديق المصاحف على أرض الجامع وداسوها ثم صنعوا من هذه الصناديق أوعية للأعلاف ثم شربوا الخمور في الجامع"[١].

هذا هو حال الفاتح المغولي الهمجي الذي لا يعرف شرعة ولا منهاجاً ولا يعرف ماذا يعني بيت الله بأي دين من الأديان وإلا لما أقدم على القيام بمثل هذا الفعل الشنيع الذي تقشعر منـه الأبدان، وهنا أيضاً يخطر ببالنا سؤال هو كيف يقوم جنكيز خان بنقض العهود فبعد أن يمنح الأمان لسكان المدن لا يلبث أن ينقض عهود الأمان، فما إن سقطت القلعة بيده حتـى أعمـل السيوف في رقاب الناس، ولم يكتف بذلك بل أهان الإسلام والمسلمين بانتهاكه حرمة بيت الله وتحويل هذا المقام الطاهر إلى إسطبل للحيوانات حيث ذكر الجويني بأنهم قاموا برفس أوراق المصاحف بأقدامهم وحولوها إلى مواضع للقاذورات "[٢].

ووصف ابن الأثير حالة أهل بخارى بقوله: دخل الكفار البلد فنهبوه وقتلوا من وجـدوا فيـه، وأحاط جنكيز خان بالمسلمين فأمر أصحابه أن يقتسموهم فاقتسموهم، وكان يوماً عظيماً مـن كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان، وكان المغول قد اقتسموا النساء أيضاً، وأصـبحت بخارى خاوية على عروشها"[٣]

وهكذا فإنهم خربوا الديار وأحرقوها وأفنوا السكان، وأراق جنكيز خان فاتح العالم سيولاً مـن الدماء كأنها أنهار تجتاز السهول والوديان.

١- الجويني: تاريخ فاتح العالم، ص ١١٦.
٢- المصدر نفسه ،ص١١٧.
٣ - الكامل،ج١٠، ص ٤٠٩.

ب- سقوط سمرقند:

كانت مدينة سمرقند تعدّ المفتاح لكل المدن الإسلامية الواقعة داخل أراضي السلطان محمدخوارزمشاه في إقليم ما وراء النهر، وكانت تعدّ المدينة الأقوى دفاعاً وتحصيناً"[1]"؛ فبعد أن انتهى جنكيز خان من فتح بخارى قام المغول باصطحاب من سلم من أهل بخارى وأخذوهم أسرى، وساروا بهم مشاة على أقبح صورة وكل من أعيا وعجز عن المشي قتلوه"[2]".

وقد أحاط المغول بسمرقند وكان فيها خمسون ألفاً من الخوارزميين وما لا يحصى كثرة من عوام البلد، فأحجم العسكر الخوارزمي عن الخروج إليهم، وخرجت العامة بالسلاح فأطمعهم المغول في أنفسهم وتقهقروا عنهم، وكانوا قد أعدّوا لهم كميناً، فلما جاؤوا الكمين خرج عليهم المغول فقتلوهم عن آخرهم، ثم دخلوا المدينة ونادوا بالبلد برئت الذمة ممن لم يخرج ومن خرج فهو آمن؛ فخرج الناس إليهم بأجمعهم فقاموا بقتلهم، وكان ذلك في محرم سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م"[3]"، وبعد سمرقند أرسل جنكيز خان عشرين ألف فارس في أثر خوارزم شاه، وهذه الطائفة تعرف في التاريخ باسم التتر المغربة لأن اتجاههم كان إلى غرب خراسان، وكانوا قد وصلوا إلى مكان يسمى بنج آب"[4]" ومعناه خمس مياه"[5]" وهو يمنع العبور، ولم يجدوا به سفناً

---

١ - سعد بن حذيفة الغامدي: سقوط الدولة العباسية(ودور الشيعة بين الحقيقة والاتهام)، ط٣، دار ابن حذيفة، الرياض، ٢٠٠٤، ص ١٢١-١٢٢.

٢ - ابن الأثير: الكامل، ص ٤١٠.

٣- ابن أبي الحديد المدائني: حملات الغزو المغولي للشرق (٥٨٩-٦٥٦هـ/١١٩٠-١٢٥٨م)، فصل من شرح نهج البلاغة ترجمه إلى الفرنسية مختار جبلي، دار لارماتون، باريس، ١٩٩٥، ص ٣٤-٣٥.

٤- بنج آب :وهو ماء السند وبنج معناه خمسة وآب معناه الماء فمعنى ذلك الأودية الخمسة وهي تصب في النهر الأعظم.(ابن بطوطة:تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ،علق عليه:محمد السعيد محمد الزيني،المكتبةالتوفيقية، القاهرة ،ج١،ص٤٣٨).

٥ - ابن الأثير: الكامل، ص ٤١١، أبي الفداء : المختصر في أخبار البشر،تح:محمد زينهم عزب،دار المعارف،القاهرة،ج٣، ص١٥٨-١٥٩، ابن الوردي (زين الدين عمر بن مظفر): تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢، ص ١٣٨.

فعملوا من الخشب مثل الأحواض الكبار وألبسوه جلود البقر وأمسكوا بأذناب الخيول وتلك الأحواض مشدودة إليها فكان الفرس يجذب الرجل والرجل يجذب الحوض، فعبروا كلهم ذلك الماء دفعة واحدة فلم يشعر خوارزم شاه بهم إلا وهم معه على أرض واحدة"[1]، وكان السلطان يفر من مكان إلى آخر والمغول يلاحقونه حتى انتهى إلى بحر الخزر المعروف ببحر قزوين ونزل قلعة كانت له ، ولم يكن المغول مهيئين لركوب البحر فتوقفوا عند الشاطئ، وكان ذلك آخر العهد بعلاء الدين خوارزم شاه"[2].

وقد ذكر الجويني أن علاء الدين عندما كان في السفينة هارباً من التتار وهو في غاية الاكتئاب والحزن يقول لم يبق لنا مما ملكناه من أقاليم الأرض قدر ذراعين فنقبر فما الدنيا لساكنها بدار ولا ركونة إليها سوى انخداع واغتراب ما هي إلا رباط يدخل من باب ويخرج من باب فاعتبروا يا أولي الألباب"[3] .

وقد توفي خوارزم شاه بهذه القلعة، وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة وشهوراً وكان ذلك في سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٢م"[4]، وعندما توفي لم يجد أتباعه كفناً يكفنونه به فكفنه أحدهم بقميصه"[5].

ج- الهجوم على إقليم خوارزم:

وكانت عاصمة هذا الإقليم مدينة جرجانية"[6]، ويدعوها أهلها أوركنج، وكانت مقر الدولة

١- النسوي: سيرة السلطان، ص ٤١٢.

٢ - حسن الأمين:المغول ، ص ٧٠.

٣ - تاريخ فاتح العالم،ص١٠٦-١٠٧.

٤- الذهبي: دول الإسلام،تح :حسن إسماعيل زاده ،ط١،دار صادر ،بيروت ،١٩٩٩م،ج٢ ص ١٣٨.

٥- النسوي: سيرة السلطان، ص ١٠٨.

٦ - الجرجانية :هي المدينة الكبرى والقاعدة العظمى من خوارزم وهي مدينتان على ضفة النهر يجاز بينهما بالمراكب واسم المدينة الشرقية منها درغاش والغربية الجرجانية وهي كبيرة ذات أسواق وربض.(الحميري :الروض المعطار،ص١٦٢).

الخوارزمية"[١]"، وقد حوصرت المدينة في ذي القعدة سنة ٦١٧هـ/١٢١٩م واستولوا عليها في صفر سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م"[٢]".

وكان الرجال والنساء والصبيان يقاتلون وقد استمروا على ذلك حتى استولى المغول على البلاد جميعها وقتلوا كل من كان فيها ثم أغرقوا البلد بماء نهر جيحون فأصبحت المدينة خراباً"[٣]".

وهكذا زالت هذه المدينة من عالم الوجود وهي التي كانت زينة المدن اتساعاً وعمراناً واكتظاظاً بالسكان"[٤]".

د- الهجوم على خراسان:

بعد أن انتهى المغول من القضاء على إقليم خوارزم وجه جنكيز خان اهتمامه للهجوم على خراسان واحتلها مدينة تلو المدينة، وقد توجه تولوي"[٥]" إلى مدينة الطالقان فوجد أن أهلها قد حصنوها تحصيناً جيداً وكان عليها رجال يحرسونها، وكانوا قد أعلنوا الحرب على القادمين، وقام المغول بنصب المنجنيقات حول القلعة، واحتدم القتال بين الطرفين، وسقط الكثير من القتلى والجرحى إلى أن سقطت المدينة في النهاية"[٦]".

وبعد ذلك ساق التتار الناس إلى مكان وراء البساتين كأنهم قطعان ماشية تسوقهم الرعاة ولم يمد التتار أيديهم إلى سلب ونهب إلى أن حشروهم إلى ذلك الفضاء الواسع صغاراً ونساءً، ثم أمروا الناس بأن يكتف بعضهم بعضاً ففعلوا ذلك خذلاناً ولو أرادوا الهرب لاستطاعوا وذلك

---

١ - الجويني: تاريخ فاتح العالم، ص ١٣٢.

٢- النسوي: سيرة السلطان، ص ١٧٠.

٣- ابن الأثير: الكامل ،ج١٠، ص ٤٢٧.

٤ - الصياد: المغول في التاريخ، ص ١٢٨.

٥ - تولوي :هو ابن جنكيز خان وقد خصه والده بترتيب الجيوش وإعداد الجنود.(الجويني :تاريخ فاتح العالم ،ص٧٢).

٦- الجويني: المصدر نفسه،ص ١٣٩.

بسبب كثرتهم وقرب الجبل منهم حيث يستطيعون الاختباء خلفه ولكنهم لم يفعلوا بسبب خوفهم منهم، وقد قام المغول بتكتيفهم وأضجعوهم على الأرض وأطعموهم لسباع الأرض وطيورها فمن دماء مسفوكة وستور منهوكة وصغار على ثدي أمهاتهم متروكة وكان عدد من قتل بلسان أهلها حوالي سبعون ألفاً"[1]".

وهنا نلاحظ شراهة المغول لسفك الدماء وحبهم لتعذيب البشر وخشونة سلوكهم الذي لايعرف رحمة أو شفقة وقدرتهم على إدخال الذعر والرعب في قلوب الناس لدرجة أنه حتى لو أتيح للناس الهرب فإنهم لا يستطيعون فعل ذلك خوفاً من المغول وبطشهم.

وبعد ذلك أكمل تولوي عملية الفتح استولى على مرو"[2]" في محرم سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢١م، ونيسابور"[3]"، وهراة"[4]""[5]"، ومما هو جدير بالذكر أن المغول حين استولوا على نيسابور طلب تولوي أن تتحول المدينة إلى سهل لا يبقى فيها حجر على حجر، فقاموا بفصل رؤوس القتلى عن أجسادهم، وجمعوا رؤوس الرجال من ناحية والنساء من ناحية والأطفال من ناحية أخرى"[6]" وبذلك ضمنوا ألا ينج مخلوق من سيوفهم بادعائه الموت أو ارتمائه بين الأشلاء"[7]".

---

١ – النسوي: سيرة السلطان، ص ١١٥.

٢ – مرو:من خراسان وتسمى أم خراسان وفيها قتل يزدجرد آخر ملوك الفرس . (الحميري :الروض المعطار ،ص٥٣٢).

٣– نيسابور :وتسميه العامة نشاوور وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء ومنبع العلماء واختلف في أصل تسميتها؛ فمنهم من قال سميت بذلك لأن سابور مر بها وفيها قصب كثير فقال يصلح أن يكون هناك مدينة فقيل لها نيسابور، ومن أسماء نيسابور ايرانشهر، والصحيح أن إيرانشهر هي مابين جيحون إلى القادسية وكان المسلمون قد فتحوها في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقيل أيضاً أنها فتحت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على

يد الأحنف بن قيس وإنما انتقضت في أيام عثمان فأرسل إليها عبدالله بن عامر وفتحها ثانية(.ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ج٥ ،ص٣٣١-٣٣٢).

٤– هراة:مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان فيها بساتين كثيرة ومياه كثيرة خربت على يد التتر, وهراة أيضاً مدينة بفارس قرب اصطخر كثيرة البساتين والخيرات فيها مسجد كبير حسن البناء وفيها من فقهاء المسلمين وعلمائهم خلق كثير.(ياقوت الحموي: معجم البلدان مج ٥ ص ٣٩٦, الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،ط١،عالم الكتب ،بيروت،١٩٨٩م،ج١ ص ٤٧٠).

٥ – محمد سهيل طقوش: تاريخ المغول، ص ٦٧.

٦- الجويني: تاريخ فاتح العالم ، ص ١٧١.

٧- براون: تاريخ الأدب في إيران(من الفردوسي إلى السعدي)،ج٢، ص ٥٦٠.

جلال الدين منكبرتي:

بعد وفاة محمد خوارزم شاه حمل لواء المقاومة ضد المغول ابنه جـلال الـدين منكبرتـي وعندما وصل إلى غزنة في سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م"[١]" انضم إليه كثير من الناس بالإضافة إلى عدد كبير من الجنود الخوارزميين المشتتين، وقد التقى جلال الدين مع المغول عند بيـروان واستطاع أن ينتصر عليهم"[٢]"، لكن هذا الانتصار لم يستمر طويلاً حيث حدث خلاف بين اثنين من قادة جلال الدين على توزيع الغنائم"[٣]" فانسحب أحدهم إلى الهند فتبعه من الجنود ثلاثـون ألفاً وقد حاول جلال الدين إعادته بكل طريقة وذكره بالجهاد فلم يرجـع، فهـزم المسـلمون وضعفوا، ولما رأى جلال الدين ضعف المسلمين وخاصة بعد أن تركه الجنود،قرر المغـادرة إلى بلاد الهند"[٤]".

وحين وصلت جيوش المغول إلى نهر السند كان السلطان جلال الدين يعد نفسه لعبور النهر، فاضطر لخوض معركة لم يكن مستعد لها وذلك في شوال سنة ٦١٨هـ/نـوفمبر ١٢٢١م"[٥]"، فجرى اقتتال شديد لم يسمع بمثله، وصبر الفريقان، ثم تأخر كل منهما عن الآخر وقد عبـر جلال الدين النهر إلى جهة الهند، وقد انتقم جنكيز خان من سـكان غزنـة"[٦]" فقـام بقـتلهم ونهبهم"[٧]".

١- النسوي: سيرة السلطان، ص ٦٥٤.

٢- ابن الشحنة :روضة المناظر ،ص١٨٦،محمد سهيل طقوش:تاريخ المغول ، ص ٦٨.

٣- محمد السعيد جمال الدين: دراسات في تاريخ المغول والعالم الإسلامي، ص ٥٦.

6 – ابن الأثير :الكامل،ج١٠،ص٤٢٨،ابن الشحنة : روضة المناظر،ص١٨٦.

٥- ابن الشحنة :المصدر نفسه،ص١٨٦،محمد سهيل طقوش: تاريخ المغول العظام، ص ٦٩.

٦ – غزنة: مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان وهي الحد بين خراسان والهند (ياقوت الحمـوي :معجـم البلدان ،ج٤،ص٢٠١).

٧- ابن الوردي: تاريخه، ج٢، ص ١٣٩.

ومما هو جدير بالذكر أن جلال الدين عندما غادر إلى حافة ماء السند رأى والدته وأم ولده وجماعة من حرمه يصحن بأعلى صوتهن بالله عليك اقتلنا وخلصنا من الأسر فأمر بإغراقهن فغرقن وهذه من عجائب البلاد ونوادر المصائب"[١]".

وكان إقليم غزنة آخر حصون الخوارزميين التي غزاها المغول، وبإخضاع هذا الإقليم لم يعد هناك ما يحول بينهم وبين السيطرة التامة على جميع أراضي الدولة الخوارزمية التي ألحق بها المغول التخريب من كل جانب"[٢]".

بعد أن احتل المغول غزنة وسيطروا سيطرة كاملة على بلاد الدولة الخوارزمية، ولما أطمأن جنكيز خان إلى تحقيق أهدافه صمم على العودة إلى منغوليا خصوصاً عندما علم أن ثورة ضده قامت في منغوليا وشمال التبت"[٣]" وقد توفي بعد عودته إلى بلاده سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م وكانت مدة حكمه خمساً وعشرين سنة"[٤]".

وكان جنكيز خان قد اختار أوكتاي لتولي العرش المغولي، وقد حاول أوكتاي الاعتذار عن هذا المنصب بحجة أنه غير أهل لتوليه غير أن إخوته وأقاربه أغلقوا أمامه كل باب للاعتذار وأصروا أن يقبل هذا المنصب نزولاً عند وصية والده بهذا الشأن وبذلك أُعلن أوكتاي خاناً أعظم للإمبراطورية المغولية وذلك في القوريلتاي"[٥]" الذي عقد لهذا الغرض في ربيع سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م"[٦]"، وبعد أن انتهت مراسم تعيينه قام بضبط أمور المملكة وكفاية مهماتها،

١- النسوي: سيرة السلطان، ص ١٥٩.

٢- حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية، ص ١٩٢.

٣- فؤاد الصياد: المغول في التاريخ، ص ١٣٦.

٤- ابن العبري: تاريخ مختصر، ص ٤١٢،ابن العماد الحنبلي :شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،مكتبة القدسي ،القاهرة ،ج٥،ص١١٣.

٥- القوريلتاي :هي السلطة العليا في الامبراطورية المغولية ،أي هوالاجتماع العام للمغول والذي يجب أن يحضره الصغير والكبير من ذوي المسؤولية في دولة المغول وعقاب من يتخلف عنه الموت إلا بعذر مقبول وقاهر، ومن اختصاص هذا الاجتماع انتخاب الحاكم الجديد للمغول. (أحمد عبد العزيز بقوش :المجتمع المغولي في عصر الإيلخانيين ،رسالة دكتوراة ،كلية الآداب ،جامعة عين شمس ،٢٠٠٤م ،ص٢٧).

٦- فؤاد الصياد: المغول في التاريخ، ص ١٦٦-١٦٧.

وأمر بأن تستمر الأوامر السابقة التي كانت في عهد جنكيز خان"[١]"، أما جلال الدين فقد غادر الهند سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م عائداً إلى أقاليم الدولة الخوارزمية وبعد جهد تمكن من أن يستقر على عرش أبيه"[٢]"،لكن أوكتاي أخذ على عاتقه إعادة غزو البلاد الإسلامية فجهز جيشاً من ٣٠٠٠٠ مقاتل بقيادة جرماغون بغية مطاردة ذلك السلطان وقد تمكن المغول من هزيمته هزيمة منكرة اضطر بعدها أن يلجأ إلى جبال كردستان"[٣]""[٤]".

وقد شك فيه بعض الأكراد فقام رجل كردي بقتله سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م بعد أن تعرف عليه ثأراً لأخيه الذي قتل على يد هذا السلطان "[٥]"، وقد دامت دولته اثنتي عشرة سنة"[٦]".

القضاء على الإسماعيلية:

بعد سقوط الدول الخوارزمية ومقتل جلال الدين منكبرتي آخر ملوكها كان من السهل على المغول أن يتوغلوا في غرب آسيا وأن يزيلوا دون عناء ما بقي في أيدي المسلمين من أملاك وخاصة ما كان بيد الخلافة العباسية في العراق العربي"[٧]"، لأن الدولة العباسية كانت بمثابة حاجز منيع يحول بين الشعوب والقبائل المتبربرة في شرق نهر سيحون وبين أملاك الخلافة العباسية بوجه خاص وأقاليم غرب آسيا بوجه عام"[٨]".

١- الجويني: تاريخ فاتح العالم، ص ١٧٨- ١٨٠.

٢ - حافظ حمدي: الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، ص ١٤٥.

٣- حافظ حمدي: المرجع نفسه، ص ١٤٦.

٤- جبال كردستان : يروى أنه في منتصف المائة السادسة /الثانية عشرة اقتطع السلطان سنجر السلجوقي القسم الغربي من إقليم الجبال أي ماكان منه من أعمال كرمانشاه وسماه كردستان وولى عليه ابن أخيه سليمان شاه وهي مدينة على بعد ثمانية أميال شمال همذان.(كي لسترنج:بلدان الخلافة ،ص٢٢٧-٢٢٨).

٥- عصام الفقي: الدول الإسلامية ، ض ٣٠٩.

٦- الذهبي: تاريخ دول الإسلام، ص١٤٠.

٧- حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، ص ٢٦٨.

٨- حافظ حمدي :الشرق الإسلامي ،ص١٤٧.

ولما قتل السلطان جلال الدين دخل جماعة على الملك الأشرف موسى"[1]" فهنئوه بموته فقال: "تهنئوني به وتفرحون؟ سوف ترون غبه، والله لتكونن هذه الكسرة سبباً لدخول التتار إلى بلاد الإسلام، ما كان الخوارزمي إلا مثل السد الذي بيننا وبين يأجوج ومأجوج"[2].

حقاً لقد أدرك الأشرف موسى أهمية هذه الدولة التي كانت بمثابة الحصن المنيع الذي يحول بين دولة المغول وبينهم، فما إن أزال المغول الدولة الخوارزمية حتى وجهوا أنظارهم إلى غزو باقي دول العالم الإسلامي.

وقد ظهر الخطر المغولي في عهد منكوقا آن حفيد جنكيز خان فعندما أصبح خاناً على جميع المغول وجه عنايته إلى ضبط مصالح الممالك وترتيبها"[3]"، وكان قد حدد بعد ذلك لنفسه هدفين وهما القضاء على الإسماعيلية ومن ثم القضاء على الخلافة العباسية.

وكان السبب في تفكير منكوقا آن أيضاً بالقضاء على الإسماعيلية هو شكوى بايجونويان حيث اشتكى إليه الإسماعيلية وخليفة بغداد"[4]".

كما ذكر ابن خلدون أنه وفد على منكوقا آن جماعة من أهل قزوين وبلاد الجبل يشكون ما نزل بهم من ضرر الإسماعيلية وفسادهم فجهز أخاه هولاكو لقتالهم واستئصال شأفتهم"[5]".

١- الأشرف موسى بن أبي بكر بن أيوب بن شاذى ولد بالقاهرة وقيل بالكرك سنة ٥٧٨هـ /١١٨٢م كان أول أمره بالقدس ثم ملك الرها ثم حران دخل في صراع مع جلال الدين خوارزم شاه في مدينة خلاط وانتهت بانتصار الأشرف. (أحمد الحنبلي :شفاء القلوب ،ص٢٥١-٢٥٥).

٢- ابن تغري بردي(جمال الدين أبي المحاسن) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ،القاهرة ،ج٦، ص ٢٧٧.

٣- رشيد الدين الهمداني: جامع التواريخ ، تاريخ المغول ،مج٢ ،ج١ ،تاريخ هولاكو مع مقدمة رشيد الدين، نقله عن الفارسية :فؤاد الصياد وآخرون ،القاهرة ،١٩٦٠م،ص٢٣٣،صبري سليم :نشأة دولة المماليك،ص٢٣٥.

٤- الهمذاني: جامع التواريخ، ص٢٣٣، صبري عبد اللطيف سليم: نشأة دولة المماليك،ص٢٣٥.

٥- العبر وديوان المبتدأ والخبر: ،ج٥، ص ٢٥٩، الرمزي: تلفيق الأخبار ص ٤٠٩.

وفي سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م توجه هولاكو من نواحي قراقورم"[١]" إلى البلاد الغربية وسير معه أخاه منكوقا آن عدداً كبيراً من الجيوش كما أرسل إلى بلاد الخطا"[٢]" كي يرسلوا إليه ألف أسرة من صناع المنجنيقات وآلات الحرب"[٣]".

ونتيجة لذلك وصل الجيش المغولي الذي حشد وعبئ لإخضاع آسيا الغربية إلى ذروة القوة والمجد التي يمكن أن يصل إليها جيش في تلك الفترة"[٤]"،وقبل أن يذهب هولاكو لتنفيذ مهمته قام أخوه بنصحه حيث طالبه بالمحافظة على تقاليد جنكيزخان وقوانينه في الكليات والجزئيات وطلب منه أن يخص كل من يطيعه في الرقعة الممتدة من جيحون حتى أقاصي بلاد مصر بلطفه وكل من يعصيه أن يغرقه في المهانة، وأن يبدأ بإقليم قهستان في خراسان ويخرب القلاع والحصون وإذا فرغ من هذه المهمة أن يتوجه إلى العراق"[٥]".

إن هذا الكلام يعني أنه كانت هناك خطة واضحة لمسير جيوش هولاكو وليس مجرد القضاء على الإسماعيلية، بل كان الهدف من هذه الحملة إكمال النشاط التوسعي الذي بدأه جنكيز خان وهو السيطرة على العالم، فطالبه بالقضاء على الإسماعيلية، ثم التوجه إلى العراق وإخضاعها إما بالطرق السلمية أو بالحرب،حيث قال له منكوقا آن (إذا بادر خليفة بغداد بتقديم فروض الطاعة فلا تتعرض له مطلقاً أما إذا تكبر وعصى فألحقه بالآخرين)"[٦]".

١- قراقورم في أقاصي بلاد الترك وهي كلمة تركية بمعنى الرمال السوداء وتقع على نهر أورخون من مدن الصين المشهورة ،كانت عاصمة الأتراك الكرايت قبل ن ينتصر عليهم جنكيز خان ظلت بيوتها مبنية بالطين والقش حتى جددها أوكتاي .(القلقشندي :صبح الأعشى ،ج٤ ،ص ٤٧٨، صبري سليم :الصراع السياسي ،ص٥١).

٢- الخطا :جنس من الترك بلادهم في متاخمة الصين .(القلقشندي ،المصدر السابق ،ج٤ ،ص٤٨١).

٣- رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ،ص٥٢٩، الرمزي ،تلفيق الأخبار ،ص٤٠٩.

٤ – برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي،تر:خالد أسعد عيسى ،ط١،دارحسان،دمشق،١٩٨٢، ص ٤٥.

٥- رشيد الدين الهمداني: جامع التواريخ، ص ٢٣٦- ٢٣٧.

٦- رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ،ص ٢٣٨.

وفي شهر شعبان نزل هولاكو مدينة سمرقند وأقام بها أربعين يوماً"[١]"،و قد أرسل عدة رسائل للملوك والسلاطين في إيران طالباً منهم المساعدة على تحطيم قلاع الإسماعيلية، وكان قد هددهم بأنهم إذا تهاونوا في الامتثال لأوامره وأهملوها فإنه حين يفرغ من أمر الإسماعيلية فإنه لن يقبل عذرهم وسيتوجه إليهم ويحاربهم"[٢]".

وكان هولاكو قد أرسل الرسل في الطليعة توضح عزيمته ونيته، وكانت مهمة هذه الطليعة التعرف على قلاع الإسماعيلية حيث كان الإسماعيلية يقيمون هذه القلاع على قمم الجبال بحيث يصبح المهاجمون لهم تحت سيطرتهم فلا يستطيعون أن يصلوا إليهم"[٣]"، وكان للإسماعيلية قلاع حصينة أشهرها وأمنعها ألموت وميمون دز ولمبسر وكان الإسماعيلية يتخذون ألموت عاصمة لهم وقاعدة لملكهم وقد استطاع المغول الاستيلاء على هذه القلاع وتحطيمها"[٤]"، وذلك بمساعدة الخواجة نصير الدين الطوسي"[٥]" وجماعة من الأطباء كانوا يقيمون لدى الإسماعيلية مكرهين وقد مالوا إلى هولاكو خان وصاروا يتشاورون سرّا حتى يجعلوا ركن الدين خورشاه يخضع لهولاكو"[٦]"، وقد خضع في النهاية ركن الدين ومعه ولده وخواصه إلى عبودية هولاكو وأظهر الخجلة بل الندامة بما اقترفه في الأيام الماضية من الجرائم والآثام فشملته لطائف عواطف هولاكو"[٧]"،وقبل أن يسلم ركن الدين خور شاه نفسه إلى هولاكو وفى بوعده وخرب أجزاء من قلاع ميمون دز وآلموت ولمبسر وحطم أبراجها وخرب أسوارها وحصونها ولم يشأ هولاكو أن ينكث بعهده لركن الدين خورشاه وذلك لأنه قد أمنه على حياته وبعد أن أكرمه هولاكو ثم أرسله إلى بلاط منكوقا آن "[٨]"، وحين وصل

١- ابن العبري: تاريخ مختصر، ص ٤٦٢.

٢- الهمذاني: جامع التواريخ، ص ٢٣٩.

٣- الجويني :تاريخ فاتح العالم ،ص٢٤٨،محمد السعيد جمال الدين: دراسات في تاريخ المغول ، ص ٦١.

٤- فؤاد الصياد :المغول ،ص٢٣٩-٢٤٠.

٥ – سيرد الحديث عنه مفصلاً في الفصل الرابع عند الحديث عن الناحية الثقافية.

٦- رشيد الدين الهمداني: جامع التواريخ، ص ٢٤٩.

٧- ابن العبري:تاريخ مختصر،ص٤٦٤.

٨- رشيد الدين الهمذاني :جامع التواريخ ،ص٢٥٠.

ركن الدين إلى قراقورم أمر منكوقا آن بأن يهيئوا له فرصة الهرب ليلحقوا به ويذيقوه وبال الموت وبالفعل قاموا بقتله والتخلص منه "[1]"

القضاء على الدولة العباسية:

كانت الخلافة العباسية قد أصابتها الشيخوخة وتطاول عليها الزمن بعد أن تقلص دور العنصر العربي نتيجة لازدياد نفوذ الفرس أولاً، ثم بعد ذلك لازدياد نفوذ الأتراك على الخلفاء"[2]" ومما لا شك فيه أن تهاون العباسيين وانصرافهم عن العرب كان من العوامل التي تسببت في سقوط هيبة الخلافة، الأمر الذي أطمع ولاة الأمصار في الاستقلال بولاياتهم وعلى هذا نشأت دول عديدة وإمارات مستقلة في قلب الخلافة وعلى أطراف مناطقها"[3]".

وكانت الدولة العباسية تشكو أيضاً من الصراعات المذهبية بين السنة والشيعة، وهذه الصراعات المذهبية كان لها دور كبير في إضعاف الخلافة العباسية، وبالتالي فإن ذلك سهل على المغول دخول بغداد بيسر وسهولة.

فقد ذكر ابن الفوطي أنه حدثت في سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م فتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة قتل فيها عدد كبير من الفريقين حيث أنه كانت تقع بين محال أهل بغداد فتن من أجل المذهب وكان العسكر يخرج لصد هذه الفتن وكان يقتل الكثير من الناس"[4]".

---

١ -الجويني :تاريخ فاتح العالم ،ج٢،ص٣٧٨،محمد السعيد جمال الدين:دولة الإسماعيلية،ص٢٥٤-٢٥٥.

٢- محمد السعيد جمال الدين:دراسات في تاريخ المغول، ص ٦٢.

٣- فؤاد الصياد: المغول في التاريخ،ص ٢٤٩.

٤ - الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، بغداد، ١٩٣٢، ص ٣٧٦- ٣٧٧.

كما ذكر أبو الفدا أن هولاكو ملك التتر قصد بغداد وقتل الخليفة المستعصم بالله"[1] وسبب ذلك أن وزير الخليفة مؤيد الدين ابن العلقمي"[2]" كان رافضياً وكان أهل الكرخ من الروافض فجرت فتنة بين السنة والشيعة ببغداد على جاري عادتهم فأمر أبو بكر ابن الخليفة وركن الدين الدوادار العسكر فنهبوا الكرخ وهتكوا أعراض النساء"[3]"

وقد وصل المستعصم بالله ٦٤٠- ٦٥٦هـ/ ١٢٤٢-١٢٥٨م إلى الخلافة وهي في أحلك ظرف واجهته الدولة العباسية"[4]"، وقد كان رجلاً خيراً متديناً لكنه ضعيف الرأي قليل الخبرة بأمور المملكة"[5]"، كما إنه كان غارقاً في الفتن والملذات وكان ندماؤه وحاشيته منهمكين بالتنعم والملذات ناسين صراخ الناس وطلبهم للنجدة "[6]".

ووصف المستعصم بعدم جديته في مواجهة المغول فقد كانت الأخبار تصله باقتراب جيش المغول ومع ذلك لم يستعد لمواجهتهم كما إنه كان يرسل هدايا صغيرة إلى هولاكو وذلك لحرصه على المال وقد أرسل رسولاً إلى هولاكو يذكره بقوة الخلافة وخلودها، حيث ذكر الهمذاني أنه أرسل لهولاكو قائلاً له "لو غاب عن الملك فله أن يسأل المطلعين على الأحوال إذ أن كل ملك حتى هذا العهد قصد أسرة بني العباس ودار السلام بغداد كانت عاقبته وخيمة

١ – المستعصم بالله:أمير المؤمنين وهو آخر خلفاء بني العباس ببغداد ولد سنة٦٠٩هـ/١٢١٣م وهو الخليفة الشهيد الذي قتله التتار بأمر هولاكو سنة ٦٥٦هـ /١٢٥٨م وكان عمره يوم قتل سبعاً وأربعين سنة ،ابن كثير :البداية ،ج٩ ،ص ٨٢).

٢– ابن العلقمي :مؤيد الدين أبا طالب محمد بن أحمد بن علي بن محمد العلقمي وزير المستعصم وهو الذي أعان على المسلمين في قضية هولاكو ثم حصل له الذل بعد ذلك على أيدي التتار.(ابن كثير :البداية ،ج٩ ،ص٩٠).

٣ – :المختصر ،ج٣،ص٢٣٣،الديار بكري :تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس،ج٢ ،مؤسسة شعبان ،بيروت،ص٣٧٦.

٤ – جعفر حسين خصباك: العراق في عهد المغول الإيلخانيين ، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٦،ص ١٦.

٥ – ابن طباطبا (محمد بن علي) المعروف بابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مراجعة محمد عوض إبراهيم بك، دار المعارف، القاهرة، ص ٢٦٦.

٦ – ابن طباطبا :المصدر نفسه ،ص٢٤٢.

ومهما قصدهم ذوو السطوة من الملوك وأصحاب الشوكة من السلاطين فإن بناء هذا البيت محكم للغاية وسيبقى إلى يوم القيامة"[1]".

هنا نلاحظ أن الخليفة العباسي لم يكن مقدراً لخطورة الغزو المغولي ولم يهتم بالتحصين اللازم والإعداد الجيد للجيوش وذلك لمواجهة المغول بل تمسك بالحق الأبدي للخلافة وأنها ستبقى للأبد محفوظة بقدرة الله ولكن الخليفة أخطأ في هذا الأمر لأن لكل شيء زوال فكيف ستصمد دولة الخلافة المنهارة القوى والمفككة أمام جيوش المغول المنظمة والموحدة وهذه الأمور مجتمعة سهلت لهولاكوعملية دخول بغداد.

حملة هولاكو على بغداد:

عندما وصل هولاكو إلى همذان"[2]" سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م وذلك بعد أن فتح قلاع الإسماعيلية أرسل إلى الخليفة رسولاً يهدده ويتوعده وذلك لأن الخليفة العباسي لم يرسل مدداً من الجنود إلى هولاكو حيث قال له "لقد أرسلنا إليك رسلنا وقت فتح قلاع الإسماعيلية وطلبنا مدداً من الجند ولكنك أظهرت الطاعة ولم تبعث الجند وكانت آية الطاعة والاتحاد أن تمدنا بالجيش عند مسيرنا إلى الطغاة فلم ترسل إلينا الجند والتمست العذر"[3]" ونتيجة لذلك شاور الخليفة الوزير فيما يجب فعله فقال "لا وجه غير إرضاء هذا الملك الجبار ببذل الأموال والهدايا والتحف له ولخواصه"[4]".

وعندما شرع الخليفة بتنفيذ ذلك ثناه الدويدار وغيره قائلين إن غرض الوزير من نصيحته تلك خطب ود السلطان، فوافقهم واقتصر على إنفاذ شيء يسير لا قدر له"[5]".

---

١ – رشيد الدين الهمذاني:جامع التواريخ ،مج١،ج١،ص٢٧٥.

٢ – همذان :في الإقليم الرابع فتحها المغيرة بن شعبة سنة ٤٢هـ/٦٦٢م .(الحموي :معجم البلدان ،ج٥ ،ص٤١٠).

٣- رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، ص ٢٦٨.

٤- ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٤٧١.

٥- ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٣٢٠.

وكان هولاكو قد أرسل إلى الخليفة أن يهدم الحصون والقلاع ويسلم البلاد لابنه ويحضر لمقابلته أو يرسل كلاً من الوزير وسليمان شاه والدويدار ليحملوا رسالته إليه لكن الخليفة لم يركن إلى قوله ووصف هولاكو بالشاب الحدث وبعدم معرفته أن جميع الناس عبيد لبلاطه وجنود له وأنه متى يشير يستطيع جمع الشتات ويتمكن من حسم الأمور في إيران لكنه لا يريد أن يثير الحقد والخصام"[1]".

وهنا نلاحظ أن الخليفة قد رد على رسالة هولاكو بنفس التهديد الذي كان قد بدأه هولاكو ويمكن أن يكون سبب ذلك هو محاولة الخليفة تخويف هولاكو بقوة الخلافة وسيادتها الروحية وأنها مؤَيَّدة ومتماسكة وأن الخليفة متى يريد يستطيع أن يلم شمل الأمة الإسلامية التي كانت متفرقة، لكن الحقيقة أن الخليفة كان قد تسرع في هذا الأمر لأن العالم الإسلامي في ذلك الوقت كان غارقاً في حالة من الفوضى والصراعات التي يصعب على أي شخص مهما كانت سلطته أن يجمع ذلك الشتات.

كما أن آماله كانت خادعة إذ إن الأيوبيين بالشام والمماليك في مصر توافر عندهم من المشاكل ما يمنعهم من النهوض لمساعدة بغداد"[2]".

ونتيجة لكل هذه الأمور غضب هولاكو من الخليفة وأرسل إليه أن يكون مستعداً للحرب والقتال وإنه سيتوجه إلى بغداد بجيش كالنمل والجراد"[3]".

وفي سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م توجه السلطان هولاكو من بلاده إلى بغداد، وكان قد أمر الأمير بايجو بأن يسير إلى إربل"[4]" وأن يعبر دجلة ويتجه إلى بغداد من الجانب الغربي ففعل ذلك،

١- رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، ص ٢٦٤.

٢ - السيد الباز العريني :المغول ،ص٢١٦-٢١٧.

٣- رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، ص ٢٧١، فؤاد الصياد: المغول في التاريخ، ص ٢٥٨.

٤- إربل :بين الزابين من أعمال الموصل .(الحموي :معجم البلدان ،ج١،ص١٣٨).

فلما بلغ الخليفة وصوله طلب إلى الدويدار الصغير مجاهد الدين أيبك وجماعة من الأمراء بالتوجه إلى لقائه"[1]، وقد اقتتلوا على مرحلتين من بغداد قتالاً شديداً فانهزم عسكر الخليفة"[2].

وكان الخان يتشاور مع أركان الدولة وأعيان الحضرة في أمر تصميمه على الزحف إلى بغداد فكان كل منهم يبدي رأيه حسب ما يعتقد ثم طلب حسام الدين المنجم"[3]" ولما كان سنياً يعطف على الخليفة العباسي أكد له بأن هذه الحادثة سوف تكون وبالاً على الخان نفسه"[4]"، وقد قال بأنه سوف تموت الخيول ويمرض الجنود وأن الشمس لا تطلع وتحدث الزلازل ويجف النبات ويموت الملك الأعظم في تلك السنة"[5]".

بعد ذلك استدعى هولاكو نصير الدين الطوسي واستشاره فقال له: لن تقع أية واقعة من هذه الأحداث، وأن هولاكو سيحل محل الخليفة"[6]" وذلك لأن نصير الدين الطوسي كان شيعياً لا يهمه من أمر هذه الخلافة شيئاً"[7]".

وهكذا نصبت على بغداد المجانيق استعداداً لحربها وأحاط المغول بدار الخلافة وبدأوا يرشقونها بالنبال من كل جانب، وكان الخليفة في ذلك الوقت جالساً في رواقه وبين يديه صغيرة من مولدات العرب تسمى عرفة، فأصابها سهم دخل من بعض الشبابيك فقتلها فانزعج الخليفة لذلك، وأحضر السهم بين يديه فإذا مكتوب عليه (إذا أراد الله أن ينفذ قضاءه سلب من

١- ابن الفوطي: الحوادث، ص ٣٢٣، النويري: نهاية الأرب، ص ٣٨١.

٢- ابن الوردي: تاريخه،ج٢، ص ١٩٠.

٣- رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، ص ٢٧٩.

٤- فؤاد الصياد: المغول، ص ٢٥٩.

٥- رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، ص ٢٧٩.

٦- رشيد الدين الهمذاني: المصدر نفسه، ص ٢٨٠.

٧- محمد السعيد جمال الدين: دولة الإسماعيلية، ص ٦٣.

ذوي العقول عقولهم) فأمر عند ذلك بعمل ما يحول بين شبابيك الدار وبين الرماة فعملت ستائر من ألواح الخشب"[١]".

هكذا كان حال الخليفة العباسي الذي كان منشغلاً عن المغول باللهو والطرب ناسياً الكوارث المحيطة به وبالخلافة ولو درى لما استطاع أن يعمل شيئاً من أجل الإسلام وكل الذي فعله هو تحصين هذه الشبابيك ليحول دون دخول السهام"[٢]".

وقد تدفق جيش المغول كالنمل والجراد من كل جهة وناحية فحاصروا أسوار بغداد"[٣]"، وقد ذكر اليونيني أن التتار قد جاؤوا في جحفل عظيم"[٤]".

وكان قد بدأ القتال في الثاني والعشرين من المحرم، فلما عاين الخليفة العجز في نفسه والخذلان من أصحابه أرسل وزيره ابن العلقمي وذلك بناء على طلب من هولاكو الذي كان يريد أحد الثلاثة الدويدار وسليمان شاه والوزير، لكن هولاكو أجابه أن هذا الشرط كان طلبه وهو مقيم في همذان، أما الآن فلم يعد يقنع بواحد وإنما يريد الثلاثة"[٥]".

وفي الرابع عشر من محرم سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م خرج الوزير مؤيد الدين بن العلقمي إلى خدمة السلطان في جماعة من مماليكه وأتباعه للتفاوض معه، وعاد الوزير إلى بغداد يوم الأحد ١٧ من المحرم وقال للخليفة إن هولاكو طلب أن تخرج إليه، كما أن هولاكو يريد أن يزوج ابنته من ابنك أبي بكر فحسّن له الخروج إلى هولاكو فخرج إليه المستعصم في جمع من أكابر أصحابه"[٦]"، وكان قد أنزل في خيمة ثم استدعى الوزير والفقهاء فاجتمع هناك جميع سادات بغداد والمدرسون، وكذلك بقي المغول يخرجون الناس طائفة بعد طائفة فلما تكاملوا

١- ابن كثير: البداية، ص ٧٨،ابن الفوطي :،ص٣٢٥.

٢-الذهبي :دول الإسلام ،ج٢،ص١٧١

٣- رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، ص ٢٨٦.

٤- ذيل مرآة الزمان،ط١،مج١،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند، ١٩٥٤م ،ص٨٧.

٥- ابن العبري :تاريخ مختصر ،ص٤٧٤..

٦ – ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص ١٩١،ابن العماد الحنبلي:شذرات الذهب،ج٥ ،ص٢٧١.

قتلوهم جميعهم، ثم عبروا الجسر وأعملوا السيف في أهل بغداد وهجموا علـــى دار الخلافـــة وقتلوا كل من كان فيها"[١]".

وهكذا سقطت دولة الخلافة حيث ذكر اليونيني أن الإسلام ما دهي بداهية أعظـــم مـــن هـــذه الداهية ولا أفظع ولم يسلم من الموت إلا من هرب ،ومن كان صغيراً فإنـــه أخـــذ أســـيراً، واستمر القتل والنهب نحو أربعين يوماً ثم نودي بالأمان فظهر من اختفى"[٢]".

كما ذكر ابن طباطبا أن بعض أهل بغداد قام بالهرب حيث قال: "كان الرجل والمرأة يقذف أحدهم بنفسه في الماء، وكان الملاح إذا عبر أحد في سفينة من جانب إلى جانب يأخذ أجرتـــه سواراً من ذهب أو طرازاً مزركشاً أو عدة من الدنانير"[٣]".

أما عن الخليفة المستعصم فهناك عدة روايات تتحدث عن مقتله: فقد ذكر ابن الفوطي بأن دمه لم يهرق بل جعل في غرارة ورفس حتى مات ودفن وعفي أثره"[٤]"، أما أبو الفدا فذكر أنه لـــم يقع الإطلاع على كيفية قتله فقيل خنق وقيل وضع في عدل ورفسوه حتى مات وقيل غرق في دجلة والله أعلم بتحقيق ذلك"[٥]".

أما النويري فذكر أنه جيء بالخليفة إلى هولاكو فأمر بأن يجعل في جولق وأن يداس بأرجـــل الخيل ففعل ذلك حتى مات"[٦]".

أما ابن خلدون فذكر أنه شدخ بالمعاول في عدل تجافياً من سفك دمه"[٧]" وهذه كلها إشارات تدل تدل على أن المغول لم يقوموا بسفك دم الخليفة وإنما كان الدافع إلى هذا الحكم العجيب هو أنه

---

١ – أبو الفدا: المختصر،ج٣،ص٢٣٣، الديار بكري: تاريخ الخميس، ص ٣٧٦.

٢ – ذيل مرآة الزمان،مج١،ص ٨٥–٨٩.

٣ –الفخري،ص٢٤٤.

٤– الحوادث الجامعة، ص ٣٢٧.

٥ – المختصر:ج٣ ، ص٢٣٣.

٦ –نهاية الأرب ،ج٢٧، ص ٣٨٢.

٧ –العبر وديوان المبتدأ والخبر،ج٥، ص ٥٤٢.

لم يكن يجوز للشمس ولا للهواء في عرف التتار أن يشهد سفك دم شخص ينتمي إلى الأسرة الإمبراطورية"[١] وإن هذا القائد المغولي لم يكن إلا متقيداً بعادات وتقاليد أجداده ومنفذاً لها"[٢]،ويورد بعض المؤرخين أن الذي أسهم في سقوط بغداد أيضاً خيانة ابن العلقمي للخليفة ومكاتبته للمغول وتسهيله لهم دخول بغداد.

فقد ذكر اليونيني أن ابن العلقمي أشار على المستعصم بقطع أرزاق أكثر الجند وأنه بمصانعة التتار وإكرامهم يحصل المقصود ولا حاجة لكثرة عدد الجنود "[٣]"،وقال السيوطي وقد ظن أنه إذا تم هذا الأمر فإنه يقيم خليفة علوياً"[٤]".

وقد اتفق أكثر المؤرخين على خيانة ابن العلقمي ولكن بعضهم مال إلى الدفاع عنه وبأنه لم يصانع المغول أو يحرضهم على دخول بغداد ومن هؤلاء المؤرخين ابن طباطبا حيث وصف العلقمي بأنه كان من أعيان الناس وعقلاء الرجال"[٥]" كما ذكر بأن الخليفة المستعصم لم يبد أي عمل تجاه وصول عسكر المغول إلى قرب بغداد، وأن الوزير ابن العلقمي كان يعرف خطورة هذه الحال ويحاول تحذير الخليفة ويطلب منه أن يحتاط لذلك لكنه لم يكن يهتم بهذه الأمور خصوصاً أن بعض خواصه كانوا يوهمونه بأنه ليس في هذا خطر كبير وإنما الخليفة يهول هذا الأمر"[٦]".

من خلال هذا العرض الموجز يمكن القول أنه ربما يكون للوزير دور في تحريض هولاكو على دخول بغداد ويمكن أن نعزو أسباب ذلك إلى كون الوزير شيعياً وقد أثرت به حادثة الكرخ التي راح ضحيتها عدد من الناس بالإضافة إلى قتل بعض النساء فأثار هذا

١- ماركو بولو: رحلات ماركوبولو،ترجمة :عبد العزيز جاويد ،مكتبة الأسرة ،القاهرة ،٢٠٠٤م، ج٢، ص ١٢.

٢- سعد بن حذيفة الغامدي: سقوط الدولة العباسية، ص ٢٤٣.

٣- اليونيني: ذيل مرآة الزمان،ج١، ١٩٥٤م، ص ٨٧ .

٤ - تاريخ الخلفاء، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد،دار الجيل ،بيروت ، ص ٥٣٩.

٥ - ابن طباطبا: الفخري، ص ٢٤٢.

٦- ابن طباطبا: المصدر نفسه، ص ٢٩٨.

الحادث ضغينة وحقد الوزير على الخلافة السنية وخاصة أن ابن الخليفة قد شارك في إعطاء الأوامر بالقضاء على هذه الفتنة بهذا الشكل.

لكننا لا نلقي اللوم على الوزير وإنما كان لدخول المغول لبغداد أهداف أبعد من ذلك وهي استكمال مشروعهم التوسعي، ولم يكن الوزير هو السبب في ذلك.

فقد ذكر ابن الوردي أن ابن العلقمي أراد نصرة الشيعة فنصر عليهم، وحاول الدفع عنهم فدفع إليهم، وسعى ولكن في فسادهم وعاضد ولكن على سبي حرمهم وأولادهم، وجاء بجيوش سلبت عنه النعمة ونكبت الإمام والأمة وسفكت دماء الشيعة والسنة وخلدت عليه العار واللعنة[1]".

وقد ذكر النويري أن هولاكو قد استدعى الوزير ابن العلقمي وكان قد عاتبه وحثه على قصد بغداد وإضعاف جيوش الإسلام فلما مثل بين يدي هولاكو سبه ووبخه على عدم موافاته لمن هو ولي نعمته"[2]".

وبغض النظر عمن كان السبب في تحريض المغول على دخول بغداد فقد سقطت مدينة الخلافة بيد المغول وقتل الخليفة المستعصم آخر خلفاء بني العباس، وبذلك سقطت الخلافة العباسية التي دامت خمسمائة وأربع وعشرين سنة"[3]" ،وبذلك سقطت دولة الخلافة التي كانت تعتبر رمزاً للممالك الإسلامية جميعها وتحولت بغداد إلى مدينة ثانوية بعد أن كانت مركزاً للنشاط السياسي"[4]" كما كانت ضربة قوية للحضارة والثقافة فقد كانت هذه المدينة مركزاً هاماً

١- تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص ١٩٠.

٢- نهاية الأرب، ص ٣٨٢-٣٨٣.

٣- أبو الفدا: المختصر، ص ١٩٤.

٤- فؤاد الصياد: المغول، ص ٢٨٠.

للعلوم والآداب والفنون"[1]" كما أدى ذلك إلى تدمير الكنوز الفنية والأدبية"[2]".

كما تعرضت وحدة العالم الإسلامي لضربة قاسية، وأصبحت وحدة المسلمين من الأمور التي يستحيل تحقيقها"[3]"، فلقد أحدث ذلك السقوط على أيدي المغول فراغاً كبيراً في بلاد المسلمين، وكان أكثر المتأثرين بذلك سلاطين المماليك لأنهم يتحملون مهمة الدفاع عن بلاد الإسلام أمام أكبر الهجمات الغازية، فالصليبيون الذين كانوا يحتلون أجزاء من فلسطين وبلاد الشام ويتربصون بالمسلمين، والمغول القادمين من الشرق بقوة حيث كانوا يدمرون كل بلد يدخلونه ويخربون كل أثر للمسلمين فيه"[4]".

توجه المغول إلى بلاد الشام:

بعد أن احتل هولاكو بغداد أخذ يفكر في التوجه إلى الشام حيث كان هذا أمراً طبيعياً إذ يعتبر سلسلة من عمليات التوسع لامتلاك العالم، وقد أثار ما ارتكبه المغول من أعمال العنف والقتل والتدمير مخاوف بعض الأمراء.

فقد ذكر الهمذاني أن بدر الدين لؤلؤ توجه إلى هولاكو في سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م وكان قد دخل في طاعته وحمل إليه الأموال بعد أخذ بغداد"[5]"، وأيضاً فإن الملك الناصر صاحب حلب"[6]" سير ولده الملك العزيز وبصحبته الأموال الكثيرة والهدايا والتحف إلى هولاكو، كما

١- محمد سهيل طقوش: تاريخ المغول، ص ١٤٩.

2 -Brigndier General (sir percy Sykes); A history of Persia, thired edition: with supplemanarty essars, London, p:98.

٣- محمد سهيل طقوش: تاريخ المغول ، ص ١٤٩.

٤ - محمد حسين محاسنة،محمد سالم الطراونة: دور الظاهر بيبرس في إحياء الخلافة العباسية في القاهرة،حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس،٢٠٠٣م، مج ٣، ص ٢٤٣.

٥- رشيد الدين الهمذاني:جامع التواريخ ،ص٣٠٠،ابن الوردي :تاريخه،ج٢،ص١٩٨

٦ - الناصر صاحب حلب :بن أيوب بن شاذى السلطان الأعظم العالم ،العادل المظفر صلاح الدين الملك الناصر بن الأفضل،وهو صاحب ملك دمشق وحمص وحماة وحلب .(الحنبلي :شفاء القلوب ،ص٨٨ ومابعد).

أرسل هولاكو في طلب سلطان الروم عز الدين وأخيه ركن الدين فأطاعاه ومشيا إليه فأحسن قبولهما"[١]"، وقد قدم هؤلاء الطاعة خوفاً من بطش المغول الذين استباحوا كل مدينة دخلوها.

وكان هولاكو قد سير حملة إلى ميافارقين بقيادة يشموت بن هولاكو الذي قاتلها وجنده قتالاً شديداً بعد أن نصبوا عليها المنجنيقات كما فرضوا عليها الحصار"[٢]"،وقد طال الحصار وقلت الأقوات عند أهلها حتى أكلوا الكلاب والميتة ففتحها المغول بعد سنتين بعد أن فني الجند من كثرة القتال، وأسر الباقي وأخذ الملك الكامل صاحب ميافارقين"[٣]" وتسعة نفر من مماليكه وأحضروا بين يدي هولاكو فقتلوا"[٤]" وكان هولاكو قد أمر بتقطيع الكامل إرباً إرباً كانوا يضعونها في فمه حتى هلك سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م"[٥]".

وعندما دخل هولاكو ديار بكر قاصداً حلب نزل على آمد وبعث رسله إلى الملك السعيد نجم الدين إيلغازي صاحب ماردين يستدعيه، فسير إليه ولده الملك المظفر مع عدد من الشخصيات وعلى أيديهم هدية كما حملهم رسالة تتضمن الاعتذار عن الحضور لمرض منعه الحركة، فقال هولاكو ليس مرضه بصحيح وإنما هو متمارض"[٦]"، وقد كان الملك السعيد مصمماً على مقاومة المغول إلا أن ابنه قتله وسلم المدينة للمغول بعد حصار دام ثمانية أشهر، وعقب ذلك استولى هولاكو على نصيبين وحران والرها ثم احتل البيرة على نهر الفرات"[٧]".

ثم توجه المغول إلى حلب سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م وكان نزولهم على حلب في الثاني من صفر واستولوا عليها في تاسعه وأمنوا أهلها ثم غدروا بهم فقتلوهم"[٨]"،وقد ذكر ابن العبري " أنه قتل

١- ابن العبري: تاريخ مختصر، ص ٤٨٥-٤٨٦.

٢- ابن العبري: المصدر نفسه، ص ٤٨٣.

٣ -ميافارقين :من أشهر مدن ديار بكر .(الحموي :معجم البلدان ،ج٥،ص٢٣٥).

٤- رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ،مج١، ص ٣٢٣، النويري: نهاية الأرب، ص ٣١٣.

٥- ابن العبري: تاريخ مختصر، ص ٣٨٣.

٦- اليونيني: ذيل مرآة الزمان،ج١، ١٩٥٤م،ص ٣٤٢.

٧- محمد نصر مهنا: انتشار الإسلام في آسيا،ط٢،المكتب الجامعي ،الاسكندرية،١٩٩٧م،ج٢، ص٤٣.

٨- اليونيني: ذيل مرآة الزمان ،مج٢،١٩٥٤م، ص ٣٤٩، ابن الوردي: تاريخه، ص ١٩٧.

فيها أكثر من الذي قتل ببغداد"[1]"،ثم اتجه المغول إلى قلعة حارم"[2]" التي استسلمت وطلب أهلها الأمان ووافقهم هولاكو على ذلك، لكنه لم يف بوعده، وأمر أن يقتلوا دفعة واحدة مع نسائهم وأطفالهم"[3]".

ثم توجه هولاكو إلى حماة، حيث أتى أكابرها بمفاتيحها إليه وسألوه الأمان لأهل البلد فأمنهم على ذلك، وكان قد وصل إليه وهو في حلب جماعة منهم الملك الأشرف موسى بن إبراهيم بن شيركوه وهو صاحب حمص فأكرمه هولاكو وأعاد إليه حمص وكان الملك الناصر قد أخذها منه قبل ذلك"[4]".

ولما تقدم المغول نحو دمشق كان المدافعون عنها قد هجروها كما أن الملك الناصر لم يحاول أن يحمي المدينة بل تركها لمصيرها التعس وانسحب إلى غزة ليكون على مقربة من النجدة التي وعده بها سلطان مصر"[5]" فاستسلمت المدينة في منصف جمادى الأولى سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م، ودخل رسل هولاكو وقرئ الفرمان بأمان دمشق، وقد تلقى كبراء دمشق نائب هولاكو، لكن قلعة دمشق عصت فحاصرها التتار ونصبوا عليها المجانيق، ثم طلب أهلها الأمان فأمنهم"[6]".

وفي الأسابيع الثلاثة التي أعقبت فتح دمشق أتم المغول فتح سورية وقتلوا حامية نابلس لأنهم قاوموا، ثم تقدموا إلى غزة دون أن يلقوا مقاومة تذكر"[7]"، وبذلك لم يبق خارج نطاق حكم المغول من العالم الإسلامي في الشرق الأدنى سوى الديار المصرية والحجاز واليمن، وكان هولاكو قد وجه في عام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م وهو في بلاد الشام إنذاراً إلى السلطان المملوكي

---

١ – تاريخ مختصر،: ص ٤٨٧.

٢ – حارم: حصن حصين وكورة جليلة تجاه أنطاكية وهي من أعمال حلب(الحموي :معجم البلدان ،ج٢،ص٢٠٥).

٣- الهمذاني: جامع التواريخ ، ص ٣٠٧، محمد نصر مهنا: انتشار الإسلام في آسيا،ص ٤٤.

٤- النويري: نهاية الأرب، ص ٣٨٨- ٣٨٩، فؤاد الصياد: المغول، ص ٢٩٥.

٥- أحمد مختار العبادي: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ، ص ١٥٣.

٦- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب،ج٥، ص ٢٩٠،محمد نصر مهنا :انتشار الإسلام ،ص٤٤.

٧- فؤاد الصياد،المغول في التاريخ، ص ٢٩٦.

المظفر قطز يطلب منه الاستسلام"[1]،حيث وجه له رسالة قال له فيها "إن الله تعالى قد رفع من شأن جنكيز خان وأسرته ومنحنا ممالك الأرض برمتها وكل من يتمرد علينا ويعصي أمرنا يقضى عليه مع نسائه وأبنائه وأقاربه المتصلين به"[2]، ولكن حدث في هذه الفترة أن تلقى هولاكو نبأ وفاة أخيه منكو قاآن وتنازع أخويه على ولاية العرش لذلك حرص على حضور القوريلتاي وهو المجلس المغولي الذي ينظر في هذه الشؤون فغادر بلاد الشام عائداً إلى إيران وترك لكيتوبوقانوين"[3]" أن ينجز فتح مصر"[4]"،وعندما قرأ قطز رسالة هولاكو أحضر أمراءه واستشارهم فيما يجب فعله حيث قال لهم:لقد توجه هولاكو من توران إلى إيران بجيش جرار ولم يكن لأي مخلوق من الخلفاء والسلاطين طاقة على مقاومته واستولى على جميع البلاد ثم جاء إلى دمشق ولو لم يبلغه نعي أخيه لألحق مصر بالبلاد الأخرى ومع هذا فقد ترك في هذه النواحي كيتو بوقانويان فيجب تدبر الأمر قبل فوات الفرصة"[5]"،وقد اتفق المظفر قطز مع الأمراء والأكابر على تجهيز العسكر وصمموا على لقاء المغول، واستعدوا أعظم استعداد وبايعوا الله على الجهاد، وخرجوا من القاهرة بأعظم أهبة وأجمل زي وأكمل رهبة"[6]".

وقد اجتمعوا على المغول في عين جالوت يوم الجمعة ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م وقد جاءت فيه البشارة بالنصر على عين جالوت فاقتتل الجيشان قتالاً عظيماً، وانتصر المسلمون انتصاراً كبيراً، وقتلوا أمير المغول كيتوبوقا نوين وجماعة من بنيه"[7]".

١- محمد سهيل طقوش: تاريخ المغول العظام ، ص ١٦٠.

٢– الهمذاني: جامع التواريخ، ص ٣١٠.

٣ – كيتوبوقا نوين:مقدم عساكر المغول كان عظيماً عندهم ويعتمدون على رأيه وشجاعته وكان خبيراً بالحرب والحصار وهو الذي افتتح معظم بلاد العجم والعراق وكان هولاكو يثق به ولايخالفه فيمايشير إليه(اليونيني :ذيل مرآة الزمان ،ج٢، ١٩٥٤م،ص٣٣).

٤– حسن الأمين: المغول، ص ١٦٣.

٥- الهمذاني: جامع التواريخ،مج٢،ج١، ص ٣١١.

٦- بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة،تح:زبيدة محمد عطا،عين للدراسات والبحوث ،القاهرة، ١٩٩٥م،ج٩،، ص ٧٨.

٧– ابن كثير: البداية، ص ١٩٨.

وما إن وصلت أنباء انتصارات المسلمين في عين جالوت إلى دمشق حتى قام المسلمون فيها بالانتقام من العناصر التي تعاونت مع المغول، ثم حدث أن تابع قطز زحفه نحو دمشق ودخلها بعد خمسة أيام فاستقبل فيها استقبالاً حاراً"[1]".

وهكذا تعرض المغول لأول مرة لهزيمة كبيرة على يد المماليك الذين حققوا النصر للمسلمين وأوقفوا المد المغولي الذي كاد أن يقضي على الدول الإسلامية.

وذكر صبري عبد اللطيف بأن عين جالوت قضت على الخرافة التي تقول بأن المغول قوم لا يقهرون وأعادت الوحدة السياسية بين مصر والشام بعد أن تقاعس الأيوبيون عن تحقيقها"[2]"، كما إنها أنقذت العالم الأوروبي والمدن الأوربية من شر لم يكن لأحد من ملوك أوربا قبل برفعه"[3]". كما أدى انتصار المماليك في عين جالوت إلى فشل سياسة الصليبيين في الشرق الأدنى القاضية بالتحالف مع المغول ضد المسلمين وإلى تعجيل زوال الإمارات الصليبية في بلاد الشام وقد بعث الانتصار في موقعة عين جالوت روحاً جديدة في المسلمين لا سيما الإيرانيين منهم الذين تحملوا وطأة الغزو المغولي كله والذين لاقوا صنوفاً من العذاب والاضطهاد وصاروا يشرحون للمغول الإسلام ويرغبونهم باعتناقه"[4]".

وإن هذه الهزيمة التي لحقت بالمغول في عين جالوت قد أنقذت مصر آخر معاقل الثقافة الإسلامية"[5]"، كما أنها كانت بداية لظهورالدولة الإيلخانية إلى الوجود على يد هولاكو الذي يعد مؤسسها الأول، وقد وطدت أركانها في عهد خلفائه من بعده"[6]".

١- محمد سهيل طقوش: تاريخ المغول ، ص ١٦٥.

٢- صبري عبد اللطيف: تاريخ نشأة دولة المماليك، ص٢٤٥- ٢٤٦.

٣- أحمد مختار العبادي: قيام دولة المماليك، ص ٦٩.

٤- فؤاد الصياد: المغول في التاريخ، ص ٣١٧-٣١٨.

5- Percy Sykes : Ahistory of Persia,p98.

٦- عصام عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة،ص٣١٧.

الفصل الأول

المعتقدات الدينية عند المغول وموقف الخانات المغول الأوائل من العقائد

- عقيدة المغول الشامانية

- موقف جنكيز خان من المعتقدات الدينية

موقف خلفاء جنكيز خان العظام من المعتقدات الدينية

- موقف أوكتاي من المعتقدات الدينية

- موقف جغتاي من المعتقدات الدينية

- موقف كيوك من المعتقدات الدينية

- موقف منكو قان من المعتقدات الدينية

- موقف قوبيلاي قان من المعتقدات الدينية

- محاولة الغرب الأوروبي تنصير المغول

عقيدة المغول الشامانية:

كان المغول لا يؤمنون بدين ولا شريعة، ولا يعرفون حلالاً أو حراماً"[1]"،كما إن حياتهم كانت فطرية،وكانوا قبائل بدوية رعوية، وكان دينهم بدائياً وجل المسائل التي يهتمون بها تدور حول تكوين الأسرة، وتنظيم الجماعة وحمايتها من غضب الطبيعة التي يرهبونها ويخشونها"[2]"، لذلك تعددت الآلهة لدى المغول فمنهم من يسجد للشمس عند طلوعها"[3]"،ومنهم من يعظم النجوم ويعبدها"[4]"، ومنهم من لم يكن له أي معتقد أو آلهة، ومنهم من تقرب إلى الأصنام "[5]"،ومنهم من نسب إلى الوثنية مطلقاً ومنهم من نسب إلى الوثنية الشامانية"[6]".

إلا أن العقيدة التي كانت سائدة بين المغول هي العقيدة الشامانية، وهي نوع من عبادة التوحيد الناقصة التي كانت تعرف وجود آلهة متعددين ذوي مراتب أقل، لهم نصيب في الحفاظ على الكائنات مع الإله الواحد وكانت تعبد أصنام متعددة كمظاهر لهذا الإله"[7]"،أي أن الظاهر من عموم مذاهبهم الإيمان بوحدانية الله تعالى وأنه خلق السموات والأرض وأنه يحيي ويميت"[8]"،وهذا الإله الواحد له طبيعة رفيعة سماوية ،وهم يحرقون له البخور في المباخرويرفعون إليه الصلوات ابتغاء الاستمتاع بصحة العقل والبدن، وبالتوازي معه يعبدون إله

١- فؤاد عبد المعطي الصياد :المغول في التاريخ ،ص.٣٣

٢- مصطفى طه بدر: محنة الإسلام،ص٧٦،علي حسني الخربوطلي :بين المغول واليهود،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ،١٩٦٩م،ص١١،

Felicitas Schmieder:Cristians,Jews,Muslims,and Mongols:FitingAForeign People into The Western Christian Apocalyptic Scenario,Koninklije,Brill,NV.Leiden,2006,P281.

٣- ابن الأثير:الكامل،ج١٠ ،ص٤٠٥ ،علي حسني الخربوطلي :بين المغول واليهود،ص٧٨.

٤- القرماني: أخبار الدول،ص.٤٨٧

٥ - القلقشندي: صبح الأعشى،ج٤ ،ص.٣١٠

٦- الرمزي: تلفيق الأخبار ،مج١،ص.٥٧

٧- شيرين بياني:دين ودولت در إيران عهد مغول،جلد أول،تهران،١٣٧٠هـ.ش،ص.١٠

٨- القلقشندي:صبح الأعشى،ج٤،ص٣١٠،

Thomas Haining:The Mongols and Religion ,ThisArticle is a Lecture Prepared for The Royal Army Chaplains College at Bagshot Park,2001,p26.

آخر يسمى ناتيجاى"[١]"، والذي كان إله المحاصيل والوفرة، وكان له صنم خاص وكان كل فرد مغولي يطوي صورة ناتيجاى في لباد أو قطعة من النسيج ويحفظها في المنزل"[٢]" ، وهم يضمون إلى هذا الإله زوجة وأطفالاً وهو الصنم الرب الذي يتولى شؤونهم الدنيوية ويحمي أطفالهم ويحرس ماشيتهم وحبوبهم، وهم يقدمون له احتراماً كبيراً ولا يفوتهم في كل وجبة أن يقتطعوا قطعة سمينة من اللحم يمسحون بدهنها فم الإله وكذلك فم زوجته كتقدمة للأرواح الأخرى"[٣]، وبعد التأكد من أن الآلهة أخذت نصيبها من الطعام يبدؤون بالأكل والشراب"[٤]"، وعندئذ يخرج خادم إلى خارج البيت ويحمل ملء فنجان من الشراب، ويرشه ثلاث مرات في اتجاه الجنوب "[٥]" وهو جالس على ركبته ثم يؤدي الصلاة لنار كانت تترك مشتعلة أمام الخيمة على الدوام، ثم يسكب من الشراب نفسه ناحية المشرق والمغرب ثم ناحية الشمال والجنوب"[٦]"،حيث إن جهة الجنوب تدل على احترامهم للنار، والشرق تدل على احترامهم للهواء، والغرب تدل على احترامهم للماء والشمال تدل على احترامهم للموتى "[٧]" ،أو أن هذا التقليد كناية عن احترام الجهات الأربع للعالم"[٨]".

هذا التعارض بين عبادة الإله الواحد وعبادة الأصنام كانت بسبب نظرتهم الخاصة للعالم، حيث كانوا يعيشون في وضع إقليمي صعب في منطقة بعيدة منفصلة عن البلدان المتحضرة وكانوا يشعرون بالحاجة الشديدة للدعم والحماية من قبل ذوات قابلة للمس وقريبة منهم بهدف مواجهة مصائب ومصاعب الحياة"[٩]" ،أي أن عبادتهم تتمثل في كل مايخشونه ويرهبونه؛ فلهم

١- ماركو بولو: رحلات ماركو بولو،ج١،ص.١٣٧

٢- شيرين بياني : دين ودولت،ص١.

٣- ماركو بولو : رحلات ماركوبولو،ج١،،ص١٣٧.

٤- شيرين بياني:دين ودولت،ص٥.

٥- ماركو بولو: رحلات ماركوبولو،ج١،ص٢٧٩.

٦- شيرين بياني: دين ودولت ،ص٥.

٧- عبد السلام عبد العزيز فهمي:تاريخ الدولة المغولية في إيران،دار المعارف ،القاهرة،١٩٨١م،ص١٤.

٨- شيرين بياني :دين ودولت ،ص٦.

٩- شيرين بياني :المرجع نفسه:ص٥.

آلهة في النهر والجبل والشمس والقمر والبرق الخاطف والرعد القاصف، وإذا كان المغول يتقربون لهذه الآلهة فإنهم كانوا يفعلون ذلك دفعاً لشرها وأذاها وإبعاد غضبها وجلب رضاها راجين منها الصحة في أجسامهم وعقولهم" [١]".

والشامانية ديانة قديمة،انتشرت في دول عديدة من العالم، خاصة في دول آسيا الوسطى والشمالية وتهتم العقيدة الشامانية بمسألة التوازن بين قوى الإنسان الذاتية الداخلية، والقوى الخارجية الروحية المحيطة به"[٢]".

من خلال هذا العرض البسيط نجد أن المغول كانوا بعيدين عن عبادة الإله الواحد بدليل عبادتهم لأصنام متعددة يعتقدون أنها تحقق لهم مايحتاجونه بالإضافة لذلك كانوا يرهبون قوى الطبيعة التي تستعصي أذهانهم القاصرة على فهمها، فكيف لم تتعارض عندهم عبادة هذه الآلهة مع عبادة الإله الواحد الذي ليس له شريك في الملك.

ونلاحظ أن هذا هو شأن القبائل الرعوية التي كانت تعيش عند تخوم سيبيريا الباردة والتي كانت تؤمن بالطوطمية شأنها في ذلك شأن القبائل المتفرقة التي كانت تعيش منذ بداية البشرية (اليونان– مصر القديمة – بابل وآشور)وكانت المعبودات لديها تدور حول الأصنام ، عناصر الطبيعة ،الشمس ،القمر ،الجبل والعناصر الأربعة (الماء –الهواء–التراب–النار)

ومن المعتقد أن انتقالهم من عبادة قوى الطبيعة إلى عبادة الأصنام جاء نتيجة اختلاطهم بالبوذيين الذين صنعوا التماثيل في البداية كتذكار لبوذا ثم عبدوها ونقلوها بدورهم إلى المغول"[٣]".

١– فؤاد الصياد:المغول في التاريخ،ص٣٣٥.،علي حسني الخربوطلي :بين المغول واليهود،ص٧٨.

٢– أليساندرو سكارلاتي :الشامانية ،الموسوعة العربية،تر: الصاحب بن عباد ،ط١،مج١١،ص٥٢٩.

٣– صبري عبد اللطيف سليم :الصراع السياسي،ص٤٣.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد كان اتباع هذه الديانة يعبدون أرواح أجدادهم، لاعتقادهم أن لهذه الأرواح سلطاناً كبيراً على حياتهم، كما كانوا يؤمنون بالقوى السحرية فلا غرو أن كان لكهنة هذا الدين خبرة بالسحر"[١]"،وكان رجال الدين الشامانيون يقومون بالسحر والشعوذة، كما آمنوا بالأباطيل وكانوا يدعون أن الشياطين مسخرة لهم فيتنبؤن للناس، وكان المغول يولون كلام الشامان أهمية بالغة فلا يشرعون بعمل ولا يقومون بمصلحة مالم يوافق عليها المنجمون، وحتى إنهم لا يوقعون على شيء ولا يعالجون مريضاً مالم ينالوا الإذن من هذه الفئة"[٢]"،فهم بذلك شديدو التمسك والإكباب على التنبؤات وعرافة العرافين"[٣]"،وكان الشامانيون يدعون بأنهم يسمعون أصوات الشياطين وبأن الشياطين يكلمونهم ويتم ذلك بعد أن يتنجسوا من رجال آخرين وتبلغ قذارتهم إلى حد أنهم إذا أرادوا عمل شيء من سحرهم اغتصبوا كل من صادفوه واضطروه أن ينجسهم"[٤]" كما كان الشامانيون يقومون بطقوس متعددة فقد كانوا يرقصون على أنغام الموسيقى، وهم يؤدون طقوس الغزل ويدعون الآلهة للنزول والاشتراك في معاشرات شهوانية وعندما تنصرف هذه الآلهة يبدؤون في النواح حزناً لفراقهم، وقد لعب الشامان دور طاردي الأرواح الشريرة ودور الأنبياء والعرافين وقارئي البخت ومفسري الأحلام"[٥]"، ووجود الشامان ضروري لعلاج جميع الشرور، والشامان إله سماوي حاكم وهو إله خالق ويتكاثر إلى

١- فؤاد الصياد :المغول في التاريخ ،ص٣٣٥.

٢- الجويني:تاريخ فاتح العالم،ج١،ص٨٤.

٣- ماركو بولو : رحلات ماركو بولو،ج١،ص٢٧٨.

٤- ابن العبري (أبي الفرج جمال الدين):تاريخ الزمان ،ت:الأب إسحق أرملة ،دار المشرق ،بيروت،١٩٨٦م ،ص٢٣٨-٢٣٩.

٥- جفري بارندر:المعتقدات الدينية لدى الشعوب ،تر:إمام عبد الفتاح إمام،سلسلة عالم المعرفة ،الكويت، ١٩٩٣م،ص٢٧٩-٢٨٠.

مالا نهاية، والشامان لاهوتي وشيطاني في آن واحد وهو متخصص بالانتشاء (الوجد)، ورجل طيب ومساعد على الصيد ،كما إنه معلم وساحر ومدافع عن الجماعة، وهو في بعض القبائل مثقف وشاعر وقاض"[1]"،ولما كانت معظم الحياة اليومية للمغول مليئة بالخرافات والسعي للابتعاد عن الإصابة بالبلايا ودفع الأرواح الشريرة سيطر هؤلاء الشامانيون على الشؤون الحياتية للمغول، وكان رؤساء الدين الشامانيون يشكلون الزعماء الفعليين للقبائل"[2]".

كما تشير عبارة أسرة الشامان على أن مهنة الشامان كانت وراثية"[3]"،ونظراً لخطورة أعمال ومنصب الشامان فإننا نجد أن المرء كي يصبح شاماناً لابد أن يتم ذلك وفق أنماط مختلفة؛ فقد يصبح شاماناً عن طريق الإلهام العفوي أي أن يتم باختيار ودعوة إلهية، أو يصبح شاماناً نتيجة وراثته لهذا المنصب من أفراد أسرته، أو يتم تعيينه شاماناً بقرار من أصحاب السلطة والنفوذ، أو يعين بإرادة القبيلة"[4]"،ومهما كانت طريقة الاختيار فلا يعترف بالشامان إلا بعد تلقيه تعليماً مزدوجاً من نظام وجدي (أحلام ،رؤى ،ارتعاشات) ومن نظام تقليدي (صياغات شامانية ،أسماء ووظائف) وقد يكون هذا التعليم قد تلقاه علنياً أو قد يجري في الحلم أو في التجربة الوجدانية شبه الصوفية وتتسم هذه الفترة من الحضانة أو الإعداد بإمارات حادة إذ يصبح الشامان غريب السلوك عصبي المزاج يلجأ إلى الغابات ويتغذى بقشور الأشجار ويلقي بنفسه في الماء والنار

١- أليساندرو: الشامانية ،ص٥٣٠.

٢- شيرين بياني: دين ودولت،ص١.

٣- جفري بارندر: المعتقدات الدينية،ص٢٨١.

٤- محمد حسن عبد الكريم العمادي،نعمان محمود جبران:المعتقدات الدينية عند المغول حتى نهاية عصر جنكيز خان،رسالة المشرق ،مجلة تصدر عن الدراسات الشرقية ،جامعة القاهرة ،١٩٩٦م،مج٥،ص٤١٣.

ويكون له تبصرات رؤية (رؤى تنبؤية) وإذا أخفق المرشح لمنصب الشامان يصبح عرضة للمشكلات الحياتية الروحية منها والجسدية"[١]".

بالإضافة إلى ذلك فإن المغول آمنوا بالكثير من المعتقدات التي ترتبط بطبيعتهم البدائية، منها أنهم كانوا يقدمون أول حليب لقطعان أغنامهم وجيادهم للأصنام"[٢]" ،وكان لصلاتهم طقوس خاصة، حيث كانوا يركعون ثلاث مرات صوب الجنوب لعبادة الشمس"[٣]"،وكانوا يفكون الأحزمة ويعلقونها على الرقاب وينزعون العمائم وعندما كانوا يدقون بكفوفهم على صدورهم كانوا يصلون للشمس تسع مرات ومع قراءة دعاء خاص كانوا يريقون الشراب على الأرض"[٤]"،والجملة الآتية تحمل مغزىً كبيراً فيما يخص عبادة الشمس وهي أن تيموجين كان يقول كنت أضحي كل يوم في جبل بورقان قلدون"[٥]" وأدعو وأستغيث هناك كل يوم ليعرف أبنائي، قال هذا وتوجه صوب الشمس وعلق حزامه على رقبته وأمسك قلنسوته بيد وسجد للشمس تسع مرات وهو يدق على صدره ودعا وسكب الشراب على الأرض"[٦]".

من خلال ذلك الحديث نجد أيضاً أن المغول أعطوا أهمية للجبل الذي يحمل عندهم نوعاً من القداسة وخاصة جبل بورقان قلدون ،وذلك لأن الجبل كان لديه مفهوم خاص لدى المغول لأن الناس كانوا يشعرون بأنفسهم أقرب للسماء والأرض في قممه العالية لذلك كانوا يصعدون إلى

١- أليساندروز :الشامانية ،ص٥٣٠.

٢- شيرين بياني :دين ودولت،ص٩.

٣- أحمد عبد العزيز بقوش: المجتمع المغولي ،ص١٩٩.

٤- شيرين بياني :دين ودولت ،ص.٩

٥- بورقان قلدون: جبل يقع إلى الشمال الشرقي من منغوليا توارى فيه جنكيز خان عندما خطف المركيت زوجته و قد أودعت جثته داخل هذا الجبل .(فلاديمير ستوف : حياة جنكيز خان ،ت سعد بن محمد بن حذيفة الغامدي ،ص٥٢،أحمد بقوش: المجتمع المغولي ، ص ٢١٢)

٦- شيرين بياني :التاريخ السري للمغول،ص١٤٨.

قمم الجبال المقدسة للتقرب إلى الله"[1]"وأهمية بورقان قلدون بالنسبة لديهم تتمثل في أنه اعتبر مسكن للآلهة وقد ربط التاريخ المغولي في مراحله الأولى عند تشكيل الدولة على يد جنكيز خان بين نجاحاته وبين هذا الجبل الذي كان يلجأ إليه كلما تعرض لمصاعب أو كلما أقدم على تنفيذ أمر، على اعتبار أن هذا الجبل بآلهته كان يزوده بالقوة لمواجهة الصعاب المختلفة"[2]" .

أيضاً كان المغول يفضلون اللون الأبيض ويرتدونه في أعيادهم وهو حسب معتقداتهم علامة الحظ السعيد" [3]"والناس بارتدائه في بداية العام يأملون أن تكون سنتهم سعيدة موفقة وجميع طبقات الشعب تتناول الهدايا ذات اللون الأبيض وفضلاً عن ذلك كانوا يرسلون الخيول البيضاء أو التي يغلب على لونها البياض إلى السلطان في كل مكان "[4]".

ومن الأمور التي قدست أيضاًعند المغول الرقم تسعة(٩)حيث أن جنكيز خان قبل أن يصبح إمبراطوراً كان قد اختفى في الغابات مدة تسعة أيام، وحصل في اليوم التاسع على الإنقاذ من الآلهة، كما عرف لدى المغول بأن السماء تتشكل من تسعة طبقات وأن أجداد جنكيز خان المقدسين كانوا تسعة، واحتفالاتهم الهامة كانت في الغالب تبدأ في اليوم التاسع من كل شهر، وإن راياتهم تعلق بها تسعة ذيول من الخيل، وإن تقديم الولاء للحاكم عند القدوم والمغادرة يكون بالركوع تسع مرات" [5]"وجرت العادة في تقديم الهدايا إلى الخان الأعظم أن يقدموا تسعاً مضروبة في تسع من المادة التي تتألف منها الهدية وهكذا لو فرض مثلاً أن ولاية أرسلت هدية

١- شيرين بياني :دين ودولت ،ص٣.

٢- محمد حسن عبد الكريم العمادي : المعتقدات الدينية،ص٤٣٣.

٣- ماركو بولو: رحلات ،ج٢،ص٤٥.

٤- شيرين بياني : دين ودولت،ص١١.

٥- محمد حسن عبد الكريم العمادي:المعتقدات الدينية،ص٢٢-٢٣.

فإن الرعيل يحمل تسعاً في تسع أي واحد وثمانين رأساً"[١]، وعليه أن يسجد أمام الخان تسع مرات وعند الانصراف يجثو على ركبتيه تسع مرات "[٢].

بالإضافة إلى ذلك فإن المغول اعتادوا أن يجمعوا في يوم التاسع من مايو جميع الخيول البيضاء ليجعلوها حراماً موقفة للآلهة، وعلى رجال الدين النصارى أن يساعدوهم في عملية التحريم ويسفحون بهذه المناسبة بعضاً من قمزهم "[٣]"الجديد على الأرض ويقيمون احتفالاً عظيماً لأنهم يبدؤون آنذاك بالشرب من ذلك الشراب للمرة الأولى "[٤]"،كما إنهم قدسوا النار لكونها مصدراً للضوء والحرارة وتتصف بخاصية التطهير، حيث إنهم كانوا يطهرون كافة متعلقات المريض بالنار ولا يسمح لأحد بلمسها قبل تطهيرها ولهذا السبب كانت النيران تظل مشتعلة أمام خيامهم على الدوام"[٥]"،وكانوا يطهرون كل واحد حتى الغرباء وقطعانهم وبضائعهم وكل شيء بالنار وهم يشعلون نارين ويثبتون قربها مديتين ويمدون خيطاً من إحداهما إلى الآخر ومن تحته تمر الأشياء المراد تطهيرها"[٦]"،كما إن الماء مقدس لديهم لأن الأرواح تعيش إلى جوار الجداول والماء، من أجل ذلك نادراً ماكانوا يغسلون ملابسهم وسائر متاعهم في المياه الجارية لدرجة أنه في بعض أوقات السنة لايحق لهم غسل أبدانهم بالماء كما كانوا يتركون الثياب حتى تبلى"[٧]" لأن

١- ماركو بولو :رحلات ،ج٢،ص٢٢٧.

٢- شيرين بياني :دين ودولت،ص١٠.

٣- القميز: نوع من الخمر من لبن الخيل .(ابن بطوطة :تحفة النظار ،ج١،ص٣٥٩،صلاح الدين نوار :الطوائف المغولية في مصر ،منشأة المعارف ،الاسكندرية ،ص١٢٠).

٤- سهيل زكار :الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية (التحالف الصليبي المغولي وأهم مصادر تاريخ المغول)،ج٤٧،دمشق ٢٠٠٤م ،ص١٤٠.

٥- أحمد عبد العزيز بقوش:المجتمع المغولي،ص٢٠٣.

٦- سهيل زكار :الموسوعة الشامية ،ج٤٧ ،ص٦٣.

٧ - شيرين بياني:دين ودولت ،ص١٢،علي حسني الخربوطلي :بين المغول واليهود،ص٥١.

هذا يسبب في زعمهم زيادة في الرعد والبرق ونزول الغيث في مرابضهم"[1]"، فنحن نعلم أنه في منغولية في فصلي الربيع والصيف يحدث نزول المطر والرعد والبرق كثيراً، مما يشكل خطراً كبيراً على قطعان الماشية والرعاة وسكان الخيام ومن أجل ذلك يمنع من الناحية الدينية في هذين الفصلين الاستحمام وحتى غسيل اليدين والملابس في المجاري المائية لأنهم يعتقدون أن الله يغضب وبغضبه يثور الرعد والبرق"[2]".

من الملاحظ أن هذه الأشياء التي قدسها المغول كانت تتعلق بنمط حياتهم الرعوية البدائية المعتمدة على التنقل والتي تتمثل في التخوف من عناصر الطبيعة بكل أشكالها.

أما عن نظرة المغول للموت والحياة الآخرة فإنهم لم يكونوا يؤمنون بالحياة الخالدة والجنة والنار كما هي في الأديان الكبرى، ولكنهم بشكل عام كانوا يعتقدون بأنهم سيحيون حياة أخرى بعد الموت وكل مايحدث في هذه الدنيا موجود أيضاً هناك، وعلى هذا كانوا يؤمنون بوجود الروح وخلودها كما يعتقدون أن الروح موجودة في الدم أو بتعبير آخر عصارة الدم"[3]"،وكانت هناك طقوس ترافق حالة الوفاة حيث أن المغول كانوا يعلنون الوفاة ثم يتولى الكهنة بعد ذلك الإعداد لرحلة المتوفى عبر الطريق الموصل إلى الحياة الأبدية، فيتم ابتداءً حمل الميت على عربة توصله إلى مدفنه، حيث كان يتم هناك كسر العربة المذكورة ويتبع ذلك بتمزيق خيمة المتوفى وذبح بعض أحصنته حيث تؤكل لحومها وتحرق عظامها من أجل توفير الراحة لروح الميت، كما كان رجال الدين يأمرون أن تسير الجنازة بين موقع نارين وبنفس الوقت يقوم رجال

١- الجويني : تاريخ فاتح العالم،ص١٩١.

٢- شيرين بياني: دين ودولت ،ص١٢.

٣- شيرين بياني: المرجع نفسه ،ص٩.

الدين برش الماء إيذاناً بأن الطريق للحياة الأبدية قد تم فتحها للميت"[1]"، ومن الطقوس والعادات الأخرى التي ترافق وفاة الزعماء وأباطرة المغول هو أن اتباعه كانوا يضحون بأعداد كبيرة من الفتيات إيماناً منهم أن ذلك يخدم الزعيم المتوفى في حياته"[2]"، ومما يذكر بأن أوكتاي بن جنكيز خان ٦٢٦هـ/١٢٢٩م، قد جمع أربعين فتاة حسناء من الأبكار وكانوا من نسل الأمراء ممن لازمن الخدمة الخانية وقد حلاهن بالجواهر والملابس الفاخرة مع خيول خفيفة وأمر بقتلهن وذلك إلى روح جنكيز خان"[3]".

هذا بالنسبة للطقوس التي ترافق حالات الموت ،أما بالنسبة لمراسم الميلاد وتسمية الأبناء فقدكان لها عقيدة دينية خرافية خاصة لدى المغول؛ فعندما يولد مولود كانوا يربطون إلى جانبه سيفاً كناية عن القوة والبسالة والرجولة، وعندما يصل إلى سن خمس سنوات سواء أكان ولداً أم بنتاً كانوا يركبونه الحصان في ساعة سعده والمقصود بالحصان السيادة والحكم "[4]" ،وكان المغول يهتمون بتسمية أبنائهم فكانوا يختارون اسم المولود مطابقاً لاسم أول شيء يدخل البيت بعد مولده فقد سمي جنكيز خان عند ولادته باسم تيموجين وذلك لأن والد جنكيز خان سماه باسم عدوه الذي انتصر عليه وكان اسمه تيموجين" "[5]".

وأيضاً من عادة المغول تغيير أسماء أولادهم وذلك في عدة حالات منها إذا تعرض شخص لمرض، أو مات أحد العظماء قبل سن الكهولة ففي هذه الحالة يغيرون أسماء الأشخاص الذين

١- محمد حسن عبد الكريم العمادي :المعتقدات الدينية،ص ٤٣٩.

٢- أحمد عبد العزيز بقوش:المجتمع المغولي،ص٢٥.

٣- الجو يني : تاريخ فاتح العالم،ص١٨٠.

٤- شيرين بياني : دين ودولت،ص١٣.

٥- أحمد عبد العزيز بقوش: المجتمع المغولي،ص٢٠٤.

يحملون هذا الاسم، وإن بعض أمراء المغول قد غيروا أسماءهم بعد أن اعتنقوا المسيحية مثل السلطان الإيلخاني أولجايتو الذي سمي بعد تعميده باسم نيكولا، ولما اعتلى عرش السلطنة تسمى بأولجايتو بمعنى الفأل الحسن، وبعد أن اعتنق الإسلام اختار اسم محمد"[1]".

وبعد أن اختلط المغول بالأويغور"[2]"، اعتنقت طائفة منهم البوذية "[3]"وقد شاهد وليم روبرك أثناء رحلته إلى بلاط منكوقاآن عبدة أصنام بوذيين على أنماط مختلفة أولهم الأويغور"[4]"،وتنسب البوذية إلى بوذا جوتاما ٥٦٢-٤٨٣ ق.م"[5]"،ولم تكن كلمة بوذا اسم علم على شخص وإنما هو لقب شرفي معناه الحكيم أو المستنير أو ذو البصيرة النفاذة ولا يطلق في اصطلاح المتدنيين من الهنود إلا على كل من هؤلاء الأفراد القليليين من بني الإنسان الذين جاهدوا جهاداً روحياً عنيفاً لا حد له من غير ملل أو ضجر في سبيل الوصول إلى الحق الثابت"[6]"، وإن تعاليم بوذا هي الطريق الوسط بين حياة الشهوات وبين حياة الزهد المنطوي على تعذيب الذات"[7]"، كما قال بوذا بالتناسخ حيث قال إن الإنسان مركب جسدي يملك قوى يتحرك بها وآلات يشعر بها فهو يحس ويلمس ويبصر ويشم ويسمع ويدرك وهو بهذه الحواس يتصل بالعالم الخارجي، أما طبعه فيشتمل على النزعات والكفاءات المنتجة من الماضي، فهي حسنة كانت أم قبيحة إرث له من الحياة التي عاشها من الماضي وهي التي تكيف شخصيته التي تبدأ بها حياته الجديدة وذلك أن الحياة الداخلية للشخص ليست إلا سلسلة من الخيالات والرغبات والعواطف فإذا انفصلت الأوامر المادية بالموت تقمصت قوى المادة الأصلية جسداً جديداً، ويسعد الشخص أويشقى حسب ما تهيأ له من السلوك السابق"[8]"،وأغلب الظن أن المغول أخذوا التناسخ عن الديانة البوذية، حيث

١- شيرين بياني : دين ودولت،ص١٢-١٣.

٢ - الأويغور:أكثر قبائل المغول حضارة وكانت سكناهم في شمال التركستان الحالية وشمال بحيرة لب نوروحوال نهر تاريم أي مدن تورفان وبيشباليغ(قوشان الحالية)وبرقوروقهره شهر(عباس إقبال : تاريخ إيران،ص٣٤٧).

٣- عباس إقبال :تاريخ إيران بعد الإسلام،ص٣٨٩.

٤- سهيل زكار :الموسوعة الشامية،ص٨٩.

٥- كامل سعفان :معتقدات آسيوية (العراق -فارس -الهند -الصين -اليابان)،ط١،دار الندى ،القاهرة،١٩٩٩م،ص١٩٩.

٦- أحمد عبد العزيز بقوش:المجتمع المغولي،ص١٩٦.

٧- كامل سعفان: معتقدات آسيوية،ص٢٠٣.

٨- أحمد شلبي :أديان الهند الكبرى (الهندوسية -الجينية -البوذية)،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة،١٩٨٤م،ص١٥١.

ذكر ماركو بولو (أن المغول يعتقدون أن الروح خالدة بمعنى أنها بمجرد وفاة الرجل تدخل جسماً آخر وإنه تبعاً لمسلك الفضيلة أو الشر الذي اتبعه أثناء حياته ستكون حياته المستقبلية بإطراد أفضل أو أسوأ)"[١]"، وقد تمكن البوذيون أيضاً من نقل تعاليم البوذية إلى قوبيلاي وهولاكو وغيرهما وليس أدل من براعة رجال الدين البوذيين في تحويل الكثير من الحكام المغول عن الشامانية ديانة المغول الأولى إلى البوذية على حين عجز غيرهم عن ذلك"[٢]"، وأيضاً فإن المغول بعد قيامهم بالفتوحات ومد حدود دولتهم بعيداً وتعاملهم مع الأديان الأخرى مثل المسيحية والبوذية والإسلام لم يكتفوا باحترام رجال الدين وعلماء تلك الأديان وإقامة علاقات حسنة مع قساوسة المسيحية ورهبان البوذية وشيوخ الإسلام وإكرامهم واحترامهم وإنما تعاملوا بتسامح مع جميع الشعوب "[٣]"،حيث كانوا يعظمون رؤساء كل ملة ويعدون تعظيمهم وسيلة للتقرب إلى الله"[٤]"،والسبب في تسامحهم أنهم كانوا يريدون أن يستفيدوا من القوة الخارقة لجميع الأديان لمصلحة سلامة أجسامهم ودفع الشر في جميع شؤون حياتهم الدنيوية"[٥]"،وقد استطاع المسيحيون نشر المسيحية بين نساء المغول وكان بعضهم مكلفاً بتربية أبناء المغول"[٦]"،كما كان التبشير عندهم مركزاً على قراقورم عاصمة الإمبراطورية المغولية لاعتقاد المبشرين بأنه إذا اعتنق الخوانين هذه الديانة اعتنقها المغول في كافة أنحاء الإمبراطورية"[٧]"

أما بالنسبة للمسلمين فقد ذكر الرمزي أن من عادة المسلمين التقاعس والتقاعد عن أمر نشر الدين وهداية العباد بخلاف النصارى الذين عملوا على نشر دينهم بين صفوف المغول لأن في

١- رحلات ماركو بولو،ص٨٠.

٢- صبري عبد الطيف سليم :الصراع السياسي،ص٤٩.

٣- شيرين بياني : دين ودولت،ص٢١.

٤- القلقشندى : صبح الأعشى،ج ٤،ص٣١١.

٥ - شيرين بياني : دين ودولت،ص٢٢.

٦- صبري عبد الطيف سليم:الصراع السياسي،ص٥٠.

٧- رجب محمد عبد الحليم:انتشار الإسلام بين المغول،دار النهضة العربية،بيروت،ص٤٠.

تنصرهم غاية الفائدة للنصارى، وللمسلمين غاية الخسران"[1]،كما إن البوذيين قاموا بالتبشير في خانية المغول العظمى أي في بلاد الصين"[2]" والخطا حيث تبتعد عن التأثير الإسلامي وتقترب من التأثير البوذي الذي كان يسود هذه البلاد وجنوب شرقي آسيا بصفة عامة"[3]"،حيث نلاحظ أن البوذية كان لها التأثير الأكبر على المغول الذين مال أكثرهم إلى اعتناقها كما امتد التأثير البوذي على الإيلخانات المغول في إيران .

من خلال هذا العرض البسيط عن المعتقدات الدينية عند المغول نجد أنهم تقبلوا الديانات المختلفة حيث أنهم أخذوا من كافة الديانات وهذا الأمر سهل عليهم فيما بعد حرية اختيار الدين الذي يرغبون فيه؛ فمثلاً آمنت الهندوسية بتعدد الآلهة ونجد هذا الأمر قد تلائم مع المغول وطبيعتهم البدوية التي تمثلت في خوفهم من قوى الطبيعة كما آمنت البوذية بفكرة التناسخ ونجد هذا الأمر عند المغول أيضاً ومفهوم التناسخ موجود عند المسيحيين أيضاً ممثلاً بفكرة الثالوث لكننا نخالف ماأوردته شيرين بياني في الصفحة السابقة من أنهم تعاملوا بتسامح مع الشعوب التي احتلوها فقد لاحظنا كيف قاموا بأعمال وحشية ضد المسلمين أثناء اجتياحهم العالم الإسلامي وربما يكون القصد أنهم تعاملوا مع رجال الدين من مختلف الأديان بتسامح وليس مع الشعوب التي احتلوها .

١- الرمزي :تلفيق الأخبار،ج١، ص٣

٢- الصين:بلاد في مطلع الشمس يقال إن فيها ثلثمائة مدينة ونيفاً عامرة كلها سوى القرى والرساتيق وأهل الصين شعوب وقبائل كقبائل العرب وأفخاذها وسبب الصين بأول من نزلها وهو صائن بن عامور بن يافث وقاعدة هذه المملكة خان بالق وهي في أقاصي الشرق عند بلاد الخطا.(الحميري :الروض المعطار ،ص٣٧٠-٣٧١،القلقشندي :صبح الأعشى ،ج٤،ص٤٧٧).

٣- رجب محمد عبد الحليم:انتشار الإسلام بين المغول ،ص٤٠.

موقف جنكيز خان من المعتقدات الدينية:

بما أن جنكيز خان لم يكن معتقداً بدين معين فإنه لم يتعصب لملة على حساب ملة أخرى تاركاً المرء ومايعتقد"[1]،كما كان يعظم علماء كل طائفة ويعد إكرامهم وسيلة للتقرب إلى الله"[2].

وعلى الرغم من اتصاله بأناس متحضرين فقد ظل متمسكاً بديانته الشامانية"[3]" ،ولقد كانت شخصية جنكيزخان من الشخصيات العظيمة لدى المغول ووصل بالبعض إلى إضفاء صفة القداسة الدينية على نسبه، حيث ذكر القلقشندى بعضاًمن أساطيرهم؛ فيقال إن جدته آلان قوا وهي من قبيلة من قبائل التترتسمى قيات كانت متزوجة بزوج أنجبت منه ولدين ثم مات زوج آلان قوا أبو هذين الاثنين، وبقيت آلان قوا أيماً فحملت فأُنكر عليها الحمل وحُمِلت إلى ولي أمرهم فسألها ممن حملت فقالت إني كنت جالسة وفرجي مكشوف فنزل نور ودخل في فرجي ثلاث مرات فحملت منه هذا الحمل وأنا حامل بثلاثة ذكور، فأمهلوني حتى أضع فإن وضعت ثلاثة ذكور فاعلموا صدقي وإلا فدونكم وما ترون، فأمهلوها حتى ولدت فأتت بثلاثة ذكور كان أحدهم جد جنكيز، وأولاد هذه الثلاثة يعرفون بالنورانيين نسبة إلى النور الذي زعمت أنه دخل في فرجها"[4]"

وطبعاً هذه القصة هي من نسج خيال المغول الذين تأثروا نتيجة احتكاكهم بالمسلمين والمسيحيين بقصة مريم العذراء فأوردوا هذه القصة لإعطاء أسرة جنكيز خان نوعاً من القداسة والتعظيم، هذا بالإضافة إلى الكثير من القصص الأخرى ومنها أيضاً ما يتعلق بلقبه حيث ذكر ابن العبري أن لقبه جنكيز خان جاء بتفويض إلهي وبأن السماء هي التي أعطته هذا اللقب وبأنه منصور من الله حيث قال (أما عن لقبه جنكيز خان فيقال أن أميراً معتبراً كان يجوب الصحاري والجبال

١- الجويني : تاريخ فاتح العالم ،ص٦٢،عباس إقبال :تاريخ إيران بعد الإسلام ،ص٣٨٢،طه ندا:فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية،دار النهضة العربية ،بيروت،ص١٥٦.

٢- القرماني :أخبار الدول،ص٤٨٩.

٣- بارتولد(فاسيلي فلادمير وفتش):تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي،تر:صلاح الدين عثمان هاشم،ط١،قسم التراث العربي ،الكويت ،١٩٨١م،ص٥٦٠.

٤- صبح الأعشى ،ج٤،ص٣٠٥،القرماني :أخبار ،ص٤٨٨.

وسط الشتاء عرياناً ويقول كلمني الله وقال لي إن الأرض بأسرها قد أعطيتها لتموجين وولده وسميته جنكيز خان"[1].

كما ذكر النويري(أن مبدأ أمره وسبب ملكه أنه تزهد مدة طويلة وانقطع بالجبال، وكان سبب زهده أنه سأل بعض اليهود فقال لهم :بم أعطى موسى وعيسى ومحمد هذه المنزلة العظيمة وشاع لهم هذا الذكر فقال له اليهودي لأنهم أحبوا الله وانقطعوا إليه فأعطاهم ،فقال جنكيز خان وأنا إذا أحببت الله وانقطعت إليه يعطيني؟؟ قال :نعم وأزيدك أنه في كتبنا أن لكم دولة ستظهر، فترك جنكيز خان عشيرته والتحق بالجبال وهو مع ذلك لا يدينَ بديانة ولا يرجع إلى نحلة بل مجرد محبة الله بزعمه) "[2]"

هذه الحوادث التي ذكرت كلها تدلل على إظهار جنكيز خان بمظهر القداسة وإضفائها أيضاً على أسرته، وربما يعود السبب في ذلك إلى ماتميز به جنكيز خان من الحكمة والحنكة بالإضافة إلى القوة الهائلة التي تمتع بها والتي تفوق قوة أي شخص عادي وربما يعود ذلك إلى المصائب والمصاعب الخطيرة التي مر بها وعاناها في حياته ومما يدل على حنكته وحكمته أنه أوجد لهذه القبيلة قانوناً خاصاً بها سماه الياسا"[3]" رتب فيه أمور قبيلته وذلك بوضع قوانين صارمة "ذكر فيها لكل حسنة مثوبة ولكل سيئة عقوبة"[4]" ومما يدل على حكمته أيضاً أنه أمر بقتل ثلاثة اقتضت الياسا قتلهم وإذ امرأة تبكي وتصيح فأحضرها فقالت هذا ابني وهذا أخي وهذا زوجي فقال اختاري واحداً منهم أطلعه فقالت الزوج والابن يجيء مثلهما والأخ لا عوض

١- تاريخ مختصر ،ص٣٩٤.

٢- نهاية الأرب ،ص٣٠٢.

٣ - أصدر جنكيز خان مجموعة من القوانين المعروفة بالياسا والتي نسخت كل ما سبق من قوانين العرف في الاستبس لكي يربط أقاليمه معاً في ظل حكم موحد .(محمد أحمد موسى هياجنة :محاضرات في تاريخ المغول والمماليك، مكتبتي الحرمين والعلوم والتكنولوجيا، إربد ص١٠٧).

٤- القرماني:أخبار الدول ،ص٤٨٩.

له فاستحسن ذلك وأطلق لها الثلاثة"[1]،هذا الأمر يدل على أنه أعجب بحكمة هذه المرأة وسعة أفقها.

وأيضاً هناك حادثة أخرى تدل على حكمته وهي أنه لما حضرته الوفاة أوصى أولاده بالاتفاق وعدم الافتراق وضرب لهم في ذلك الأمثال وأحضر بين يديه نشاباً وأخذ سهماً أعطاه لواحد منهم فكسره ثم أحضر حزمة أخرى ودفعها إليهم مجموعة وطلب كسرها فلم يقدروا فقال: هذا مثلكم إذا اجتمعتم اتفقتم وذلك مثلكم إذا انفردتم واختلفتم"[2]، أي أن في الوحدة قوة وفي التفرقة ضياع وتشتت .

أما عن القانون الذي وضعه فقد ذكر ابن بطوطة أن (جنكيز خان ألف كتاباً في أحكامه يسمى عندهم اليساق وعندهم أنه من خالف أحكام هذا الكتاب فخلعه واجب)"[3]"،وقد أمر اتباعه باتباع قانونه الياسا وهي قوانين ضمنها من عقله وقررها من ذهنه، رتب فيها أحكاماً وحدد فيها حدوداً ربما وافق القليل منها الشريعة المحمدية وأكثرها مخالف لذلك وسماها الياسا الكبرى، وأمر أن تجعل في خزائنه وتتوارث عنه في أعقابه وأن يتعلمها صغار أهل بيته"[4]"، ومن يقوم بمخالفة ماجاء في الياسا يخلع من منصبه، ومن جملة أحكامه أنهم يجتمعون يوماً في السنة ويسمونه الطوى ومعناه يوم الضيافة ويأتي أولاد جنكيز خان والأمراء من أطراف البلاد ويحضر الخواتين"[5]" وكبار الأجناد وإن كان سلطانهم قد غير شيئاً من تلك الأحكام يقوم إليه كبراؤهم فيقولون غيرت كذا وغيرت كذا وقد وجب خلعك ويأخذون بيده فيبعدونه عن سرير الملك ويقعدون غيره من أبناء

١- السبكي :طبقات الشافعية الكبرى،تح:عبد الفتاح محمد الحلو ،محمود محمد الطناحي،ج١،ط١،عيسى البابي الحلبي،١٩٦٤،ص٣٣١.

٢ – ابن كثير :البداية ،ج٨،ص٥٩٨.

٣- ابن بطوطة:تحفة النظار،ص٣٩٩.

٤ – القلقشندي:صبح الأعشى،ص٣١٠،علي حسني الخربوطلي :بين المغول واليهود،ص٥٠.

٥ – الخواتين :جمع خاتون وهو لفظ تركي معناه السيدة ،كان هذا اللفظ يرد بجانب الاسم ويقوم مقام لقب السيدة للإشارة إلى الجليلات من النساء خصوصاً أميرات الأسرة الحاكمة(القلقشندي :صبح الأعشى ،ج٦،ص٧٨، حسن الباشا :الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ،النهضة العربية ،القاهرة ،١٩٧٨م،ص٢٦٤-٢٦٥).

جنكيز"[١]"، وأيضاً فإن الياسا التي أصدرها جنكيزخان هي التي تحدد العلاقة بين الحاكم والمحكومين وتنظم علاقة هؤلاء بعضهم ببعض وعلاقة الفرد بالمجتمع، وتشتمل على الأحكام التي تتعلق بالجزاء والعقاب وتتلخص أحكامها في ثلاثة أمور: ١-الخضوع لجنكيز خان ٢-الاتحاد في قبيلة واحدة ٣-العقاب الصارم لكل مخطئ"[٢]" وكان عصيان جنكيز خان وعدم طاعة أمره بمنزلة ارتكاب جرم عظيم لأن عقيدة المغول أن أمر الخان ينزل من السماء وعصيانه في حكم عصيان الله"[٣]"، ومن ضمن الأمور التي نصت عليها الياسا أن من زنى قتل سواءً أكان محصناً أو غير محصن، وكذلك من لاط قتل، ومن تعمد الكذب قتل ومن بال في الماء الواقف قتل ومن انغمس فيه قتل"[٤]"،ومن معتقدهم في ذبح الحيوان أن تلف قوائمه ويشق جوفه ويدخل أحدهم يده إلى قلبه فيمرسه بيده حتى يموت أو يخرج قلبه فيمرسه بيده حتى يموت ومن ذبح ذبحة المسلمين قتل، وكان من عادتهم أن يعظموا علماء كل ملة متخذين من تعظيمهم وسيلة للتقرب إلى الله تعالى، وكانوا قد اشترطوا إسقاط المؤن والكلف عن العلويين، وعن الفقهاء والفقراء والزهاد والمؤذنين والأطباء وأرباب العلوم على اختلافهم ومن جرى هذا المجرى"[٥]".

وهنا يتبادر إلى ذهننا سؤال: مالذي دفع المغول إلى تخصيص العلويين بهذا التشريف دون غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى وهل كان ذلك من أجل التقرب من المسلمين لما عرف عنهم من حبهم لآل البيت وبذلك يكسبون مودة المسلمين الذين كانوا يكنون الكره للمغول من جراء ماأصابهم من ويلات على يد المغول؟

١- تحفة النظار،ص٣٩٩.

٢- محمد سهيل طقوش: تاريخ المغول،ص٣٦.

٣-عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ،ص٣٨٢.

٤- ابن كثير :البداية،ص٥٩٦.

٥- القلقشندي:صبح الأعشى ،ص٣١١،علي حسني الخربوطلي ،بين المغول واليهود،ص٥٠.

لقد حافظ قانون الياسا على مبدأ التسامح الديني ومنع تفضيل جماعة دينية على أخرى"[1]"، كما إن الياسا نصت على اجتناب الكذب والتدليس والسرقة "[2]".

يتضح من خلال هذه النصوص أن بعضها كان يتوافق مع الشريعة الإسلامية ومن ذلك فرض العقوبة على الزاني ومعاقبة الكاذب، وبالمقابل هناك الكثير من الأمور التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية ومن هذه الأمور عاداتهم في ذبح الحيوان التي تختلف تمام الاختلاف عن عادات المسلمين في ذبح حيواناتهم، وفرض العقوبات الصارمة على كل شخص يقوم بذبح الحيوانات وفق الطريقة الإسلامية، إضافة إلى ذلك عدم اهتمامهم بالنظافة التي حث عليها الإسلام حيث أن جنكيز خان منع قومه من غسل ثيابهم بل كانوا يلبسونها حتى تبلى، ومنع أن يقال لشيء نجس وقال جميع الأشياء طاهرة ولم يفرق بين طاهر ونجس"[3]"وهذه الأمور كلها تخالف الشريعة الإسلامية التي تدعو إلى الطهارة ونظافة البدن من الأوساخ، وأيضاً من عاداتهم السيئة التي تدعو إلى الإباحية الجنسية للخان هي عرض الأبكار على الخان وأبنائه فينتقي منهن مايروق له و يحولن إلى سيدات قصر يستخدم منهم ما يشاء ويهب منهن مايشاء،كماإنه يهب من سبق واستمتع بهن إلى من يشاء"[4]".

ذكرنا فيما سبق بأن المغول لم يكونوا متعصبين لأي دين من الأديان ،فقد تبنى قانون الياسا مبدأ التسامح الديني كما إنه علم احترام جميع العقائد وقد منع تفضيل جماعة دينية على أخرى"[5]"،كما إن جنكيز خان ترك لأتباعه الحرية التامة في اختيار الدين الذي يشاءون من دون أن يفرض على أحد من اتباعه اتباع دين على حساب دين آخر، فكانوا مخيرين بالدين الذي

1-Valentine A Riasanovsky : Fundamental Principles Of Mongol Law, Indian University Publications, 1965, p 34.

٢- شيرين بياني : دين ودولت،ص١٥.

٣- فؤاد الصياد :المغول،ص٣٤١.

٤- الجويني : تاريخ فاتح العالم ،ص٦٧، سعد بن حذيفة الغامدي:المجتمع المغولي((ضوابطه وقوانينه وأقوال جنكيز خان وحكمه)،ط١،الرياض، ١٩٩٠،ص٧٧.

5- Valentin Riasanovsky: Fundamental Principles Of Mongol Law ,p50.

ينتمون إليه فبعضهم اتبع شعائر الإسلام، وبعضهم سار سير النصارى، وطائفة عبدت الأوثان، كما ظلت فئة تعتقد اعتقاد أجدادها القدماء فلم تمل إلى دين معين ولكنها كانت قليلة العدد"[١] ،كما أن جنكيز خان كان يعامل رجال كل دين بكل احترام وتقدير ويعفيهم من جميع الخدمات التي يقدمها الأفراد العاديون إلى الدولة لأنهم حسب زعمه شفعاؤهم عند الله، كما كان يعفيهم من الضرائب ومن الخدمات العامة التي تقدم للدولة "[٢]، فقد تميز جنكيز خان بالتسامح الديني؛ ففي بداية عام٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م وهو عام ارتقاء جنكيز خان لمنصب الخان الأكبر كتب إلى لاما التبت الرئيس الأعلى للبوذيين بأن يصلي له حتى ينتصر على أعدائه ،كما طلب من أهل بخارى الذين أعفاهم من الضرائب أن يكونوا دائماً مستعدين للصلاة له على إعفائهم من الضرائب ،كذلك فعل مع الطوائف المسيحية ،فهذا الكلام لايعني أن جنكيز خان قد تحول لأي من هذه الديانات"[٣]، بل إن تعظيمه لجميع النحل والأديان من غير تعصب لنحلة أو أخرى قد دل بوضوح على مدى براعة جنكيز خان وحنكته السياسية ذلك أنه كان يدرك تماما أثر القوة الروحية الكامنة في الدين ولهذا ترك للمغول حرية التدين فقد كان يخشى أن يؤدي التعصب الديني إذا انتشر بين المغول إلى نشوب حروب طاحنة بين القبائل المغولية تضعف من كيانها وتعود بها إلى حالة التفكك والاضطراب مما يتيح إلى القوى الأجنبية السيطرة عليها"[٤]، وكما قلنا من قبل أيضاً إن جنكيز خان كان على ملة أجداده القدماء الشامانية وإنه لم يفرق بين أحد من اتباعه ونلاحظ هذه المسألة أيضاً في حادثة أترار والتي أرسل فيها ١٥٠ تاجراً من مسلم ونصراني وتركي إلى بلاد السلطان محمد"[٥].

١- الجو يني : تاريخ فاتح العالم ،ص٦٢.

٢- سعد بن حذيفة الغامدي:المجتمع المغولي ،ص٦٧-٦٨،

Thomas Haining:The Mongols,p26.

3 - Thomas Haining:The Mongles,op.cit,p26

٤- صبري سليم :الصراع،ص٤٥.

٥- ابن العبري: تاريخ مختصر ،ص٤٠٠.

وفي هذا دلالة واضحة على عدم تحيز جنكيز خان لأي دين من الأديان، فقد تساوى عنده المسلمون والنصارى مع منحهم الحرية الدينية حيث أنه لم يفرض عليهم أن يتبعوا ديانة أجداده رغم أنهم كانوا واقعين تحت حكمه، وأيضاً نلاحظ غضبه الشديد لمقتل التجار الذين أقدم حاكم أترار على قتلهم، وكان جنكيز خان قد راسل السلطان محمد خوارزمشاه وسأله عن الذي جرى وهل كان له رضا بذلك حيث قال له: إن لم يكن برضاك فنحن نطلب بدمائهم من نائب أترار ونحضره على أفحش وجوه الذل والصغار وإن كان برضاك فقد أسأت ولا استحسن مثل ذلك وأنت تنتمي لدين الإسلام وهؤلاء التجار كانوا على دينك فكيف يسعك هذا الأمر الذي فعلته"[1]، حتى قيل أنه بعد حادثة مقتل التجار هجر النوم وصار دائم التفكير فيما يفعله وقيل إنه صعد إلى رأس تل عال وكشف رأسه وتضرع إلى الله طالباً نصرته على من بادأه بالظلم وبقي هناك ثلاثة أيام بلياليها صائماً، وفي الليلة الثالثة رأى في منامه راهباً عليه السواد وبيده عكازة وهو قائم على بابه يقول له:لاتخف افعل ماشئت فإنك مؤيد، فانتبه مذعورا مشوباً بالفرح وحكى إلى زوجته وهي ابنة أونك خان فقالت له هذا زي أسقف كان يتردد إلى أبي ويدعو له ومجيئه إليك دليل انتقال السعادة إليك، فسأل جنكيز خان من في خدمته من نصارى الأويغور فلما دخل عليه كان يرتدي البيرون الأسود فقال :هذا زي من رأيت في منامي لكن شخصه ليس ذاك فقال الأسقف يكون الخان قد رأى بعض قديسينا ومنذ ذلك الوقت صار جنكيز خان يميل إلى النصارى ويحسن الظن بهم ويكرمهم"[2].

هذه الحادثة توضح ميل المؤرخ إلى إظهار عصبيته وإظهار أن جنكيز خان صار بعد هذه الحادثة يميل إلى النصارى ويفضلهم على بقية الطوائف، كما أن الدافع الذي دفعه إلى تأكيد ذلك الأمر هو أن جنكيز خان كان متزوجاً من مسيحية ولابد أن يكون قد تأثر بزوجته وبتأثيرها مال إلى النصارى وفضلهم على غيرهم من الطوائف الأخرى لكننا لم نلاحظ هذا التأثر فلو صح هذا

١- السبكي:طبقات الشافعية ،ج١،ص٣٣٢-٣٣٣.

٢- ابن العبري:تاريخ مختصر،ص٤٠٠- ٤٠٢.

الأمر لكان لأتباع الديانة المسيحية في عهده منزلة أعلى من باقي الديانات الأخرى إلا أن ذلك لم يحدث .

وقد رد الرمزي على الإدعاء بشأن ظهور الأسقف لجنكيز خان في منامه قائلاً إنه لم يـذكر أحد من الذين أرخوا للمغول ماذكره ابن العبري ولو كان ذلك صحيحاً مطابقا للواقع لذكروه في تواريخهم أو ذكره بعضهم وحيث لم يوجد في واحد منها بان كذبه وأنه مـن مخترعـاتهم "أي النصارى"،مع العلم أننا نجد أن الرمزي قد أورد تقريباً القصة نفسها التي أوردها ابن العبـري وهي أن جنكيز خان حين سمع قتل سفيره أيضاً فوق تلك الحادثة(قتل التجار) استشاط غضـباً وتيقن أن خوارزمشاه لم يترك مجالاً للصلح فصمم على قصده وحربه، فخرج أولاً إلى فضـاء وصعد فوق تل مرتفع هناك وكشف رأسه وتضرع إلى الله يطلب منه النصـرة واعتـذر أنـه مضطر ومجبر على تلك الحركة لكونه هو المجني عليه ولكون أخذ ثأر رعاياه واجـب علـى ذمته، ودام على ذلك ثلاثة أيام حتى سمع صوت هاتف دال على نصرته وغلبته، وهـذا دأبـه دائما فنزل من التل وأمر بإحضار العساكر متيقناً بالفوز والظفر"[1]".

نلاحظ هنا أن الرمزي قد ناقض نفسه فكيف ينفي القصة التي أوردها ابن العبري وبالوقت نفسه يوردها هو مع حذفه فقط قصة رؤيته للراهب المسيحي ويزيد على ذلك أيضاً بأن هذه القصـة التي أوردها ابن العبري لم ترد في المصادر فكيف يوردها هو في كتابه.

أما فيما يتعلق بأنه حكى تلك القصة لزوجته ابنة أونك خان حيث ذكر ابن العبري أن جنكيـز خان قد تزوج من ابنة أونك خان وهي من قبيلة الكرايت وهي طائفة تدين بالنصرانية"[2]"،فـإن الذين اعتنوا بضبط أحوال جنكيز خان لم يذكروا في تعداد زوجاته ابنة أونك خان كما إنه نفى أن تكون قبيلة كرايت من القبائل التي تدين بالنصرانية فقال هذا كذب محض لا أصل له بل هو من مخترعات النصارى، والصواب أن المغول وأكثر قبائل التتار غير متدينين بدين من الأديان

١- تلفيق الأخبار،ص٣٥٤.

٢- تاريخ مختصر ،٣٩٤.

سيماالنصرانية التي لا يعرفونها لعدم اختلاطهم بها"[1]"، ومن المعتقد أن يكون الرمزي قد أخطأ في القول حين نفى أن تكون قبائل الكرايت مسيحية ويؤكد ذلك برتولد شبولر حيث ذكر بأنه في أواسط الألف الأول الميلادي كانت أكثرية قبائل الكرايت قد اعتنقت المسيحية حسب المذهب النسطوري"[2]" "[3]".

أما بالنسبة لموقف جنكيز خان من المسلمين فقد ذكر الجويني بأن سبب قدوم جنكيز خان لمحاربة كوجلك هو استنجاد المسلمين في كاشغر"[4]" وختن"[5]" بجنكيز خان حيث إنه لما استخلص كوجلك كاشغر وختن ونقل ديانته من المسيحية إلى الوثنية أمر الناس أن يتركوا دينهم المطهر ويقبلوا على الكفر"[6]"، فقد كان عابد أصنام وإمرأته تتبع ملة النصارى وكلاهما كان يجتهد في تعذيب الناس، وكانا يتبعان كل شخص يتبع الإسلام ويقتلوه"[7]" ،كما إنه ألزم الأهالي في ختن على ترك الدين المحمدي أو يختاروا بين أمرين إما أن يدينوا بالنصرانية أو الوثنية أو يتزيوا بزي الختائيين فوافقوا على هذا الأمر فانقطع الآذان والإيمان وإعلان التوحيد فرفع الناس أكف الضراعة إلى الله وقد لقي دعاؤهم القبول والإجابة حيث قضى جنكيز خان على كوجلك وأجاز المغول التكبير والآذان"[8]".

١- الرمزي:تلفيق الأخبار ،ص٣٥٦-٣٥٧.

٢- العالم الإسلامي،ص٢٠.

٣- النسطورية:(ينسبون إلى نسطوريوس البطريرك بالقسطنطينية الذي كان يقول إن مريم لم تلد إلهاً وإنما ولدت إنساناً وإنما اتحد به بالمشيئة لافي الذات .ابن خلدون :العبر،ج١،ص٢٤٤).

٤- كاشغر :بالتقاء الساكنين والشين معجمة والغين أيضاً وهي مدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند وتلك النواحي وهي في وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون ينسب إليها من المتأخرين أبو المعالي طغرلشاه محمد بن الحسن بن هاشم الكاشغري الواعظ.(ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج٤،ص٤٣٠).

٥- ختن :بلد وولاية دون كاشغر ووراء يوزكند وهي معدودة من بلاد التركستان وهي في بلاد بين جبال في وسط بلاد الترك وينسب إليه سليمان بن داود بن سليمان أبو داود المعروف بحجاج الختني .(ياقوت الحموي :المصدر نفسه ،ج٢،ص٣٤٧).

٦- الجويني :تاريخ فاتح العالم ،ص٨٨.

٧- خواندمير: (غياث الدين بن همام الدين الحسيني): تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد البشر ،جلد سوم ،تهران ،١٣٣٣هـ.ش،مج٣ ،ج١،ص٢٦

٨- الجويني :تاريخ فاتح العالم،ص٨٩.

أي أن جنكيز خان كان بمثابة المخلص الذي خلص المسلمين من جور وظلم كوجلك فكانت هذه الجماعة بمثابة رحمة ربانية وفيضاً من خير الخالق الديان"[١].

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال هو أنه إذا كان جنكيز خان بالفعل قد منح الحرية الدينية لكافة الأديان ولم يتدخل في دين أحد سواء من المسيحيين أو المسلمين فما هي الأسباب التي دفعته عند اجتياح البلاد الإسلامية إلى القيام بالقتل الوحشي أو الهمجي ضد المسلمين الأبرياء؟ وأيضاً قيامه بتدنيس حرمات المساجد وقتله النساء والأطفال والشيوخ دون رحمة أو شفقة، فلو أن جنكيز خان امتلك أدنى حرمة للأديان لما قام بهذه الأعمال التعسفية ضد المسلمين من انتهاك حرماتهم المقدسة وفي الوقت نفسه هناك تناقض في أعماله حيث يروى أنه بعد أن سيطر على أقاليم الدولة استدعى بعض العلماء من المسلمين وسألهم عن حقيقة الإسلام وأركانه فقيل له إن أولها توحيد الله سبحانه وتعالى فقال أنا أيضاً اعتقد أن الله واحد ولله رسل وهم سفراء الله والله واحد ليس له مثل ولا شريك، وقد وافق على ذلك ثم قالوا له نحن نصلي خمس أوقات نعبد الله فأجابهم بأن هذا حسن ثم قالوا له عن الصيام فأجابهم بأن ذلك حسن أيضاً كذلك وافق على بقية أركان الإسلام ماعدا الحج إذ قال عنه أنه لا فائدة منه لأن الأرض كلها لله ولا داعي لتخصيص مكان معين"[٢"]،ولا يعني هذا الكلام أن جنكيز خان قد أسلم لأنه لو دخل الإسلام لكان قبل بالحج ولم يرفض هذا الركن الهام من أركان الإسلام.

والكعبة هي أول بيت وضع للناس وأنه واسطة التعارف بين المسلمين وموطن التكبير لله على الهداية باعتبار أنه موطن الهداية والدعوة الأولى "[٣]" .

---

١ - الجويني : تاريخ فاتح العالم،ص٨٩.

٢- عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ،بغداد،١٩٣٥م ،ج١،ص١٣٠،فؤاد الصياد:المغول،ص٣٣٥،صبري سليم :الصراع السياسي ،ص٤٧.

٣-عباس العزاوي : تاريخ العراق ،ص١٣٠.

نلاحظ من خلال ذلك العرض لموقف جنكيز خان من المعتقدات الدينية أنه على الرغم من أنه كان على الديانة الشامانية، إلا أن ذلك لم يؤثر على توجهه الديني ولم يفضل ديانة على حساب ديانة أخرى.

موقف خلفاء جنكيز خان العظام من المعتقدات الدينية

موقف أوكتاي من المعتقدات الدينية:

كان لجنكيز خان الكثير من الأولاد الذكور والإناث، وكانت الخاتون الكبيرة زوجته تسمى أويسونجين بيكي"[١]"،ومن عادة المغول أن المستحق للملك بعده أربعة بنين من أكبر أزواجه وهؤلاء هم الذين يستحقون الميراث دون غيرهم"[٢]"،وكان جنكيز خان قد ولاهم الأمور العظام في مملكته وهؤلاء هم توشي ولي أمر الصيد والثاني جغتاي ولي أمر الحكومات والياسة أي الناموس والقضاء"[٣]"،وقد منعه قومه من المشاركة في الحروب بعد وفاة والده جنكيز خان لكونه أقدر فقيه في الياسا"[٤]"،والثالث أوكتاي ولي تدبير الممالك لغزارة عقله وإصابة رأيه والرابع تولي ولي أمر الجيوش وتجهيز الجنود"[٥]"،وكان جنكيز خان قد جعله ولي عهده من بعده ونصبه قاآناً على الكل وأمر الباقين بمتابعته وإطاعته واتباعه"[٦]"،وبعد سنتين من وفاة جنكيز خان سنة٦٢٤هـ/١٢٢٦م اجتمع أولاد وأمراء المغول وشرعوا بتنفيذ وصية جنكيز وعهدوا بالمملكة إلى أوكتاي"[٧]".

١- ابن العبري: تاريخ مختصر ،ص٣٩٥.

٢- الرمزي :تلفيق الأخبار،ص٣٥٩.

٣- ابن العبري :تاريخ مختصر،ص٣٩٥.

٤- أحمد محمود الساداتي:تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها،دار الثقافة ،القاهرة ،١٩٧٩م،ص٦٨.

٥- ابن العبري:تاريخ مختصر،ص٣٩٥.

٦- الرمزي :تلفيق الأخبار ،ص٣٥٩.

٧- ابن العبري : تاريخ مختصر،ص٤٢٧.

لقد تميز أوكتاي بكرمه حيث ذكر الجو يني بأنه غطى في أيامه ذكر حاتم طيء وبأنه أمـر أن تجمع ممتلكات جنكيز خان بعد أن كانت متفرقة في الممالك الشرقية والغربية ووزعهـا علـى أقاربه وعساكره وعشائره، كما إنه كان يوزع ما يفد عليه من الأقطار على الناس من المسلمين والمغول،كما تميز أوكتاي بعطفه ورأفته على المسلمين رغم أنه لم يعتنق الإسلام حيث ذكر أنه بنى إلى جانب معابد الأوثان المساجد"[1]"،وكان يذكر المسلمين بلفظ يار أي الرفيق أو المساعد أو المحب وبرادر أي الأخ، وأقيمت الجمع في بلاد الشرق وسكن المسلمون تلك الديار"[2]".

الأمر الذي يدل على حسن معاملته للمسلمين وعدم إيذائه لهم وإظهار الرأفة لهم والعطـف عليهم ومن ذلك أن المغول كانوا قد أصدروا حكماً يمنع الناس بموجبه من البسملة حين الـذبح وذلك حسب الطريقة الإسلامية وعليهم أن يشقوا بطن الذبيحة وكان أحد المسلمين قـد اشـترى خروفاً وأخذه إلى بيته وذبحه حسب الطريقة الإسلامية سراً فرآه أحد الأشخاص، وسـاقه إلـى القان لكي يقتص منه لكن القان عفا عنه ولم يعاقبه"[3]"، وذلك لأن هذا المسلم لم يقم بذبح الذبيحة أمام الناس و لم يخالف قوانينهم وأحكامهم وفي ذلك دلالة على مـدى تعـاطف أوكتـاي مـع المسلمين هذا إضافة إلى كثير من الحوادث التي توضح موقف أوكتاي مـن أصـحاب الـدين الإسلامي منها أيضاً أن رجلاً مسلماً اقترض من أحد الأمراء الأويغور مبلغاً من المال وعجـز عن دفعها فعذبه الأمير الأويغوري وخيره بين أن يترك الدين المحمدي و يـدخل فـي عبـادة الأوثان أو أن يضربه مئة عصا فطلب ذلك المسلم مهلة ثلاثة أيام وذهب إلى بلاط القان وحكى له قصته فأمر القان بإحضار غريمه وأمر أن يضرب مئة جلدة في السوق"[4]"،وقد قدم عليه رجل كافر يقول:رأيت في المنام جنكيز خان يقول لأبي يقتل المسلمين"[5]" فتأمل القان وقال له هل قال

١- تاريخ فاتح العالم،ص١٨٨.

٢- الجوزجاني (صدر جهان أبو عمر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين) :طبقات ناصري ،جلد دوم،كابـل ،تهـران ،١٣٤٣هـ.ش،ص١٥١.

٣-الجويني :تاريخ فاتح ،ص١٩٢-١٩٣.

٤- الجو يني :المصدر نفسه،ص٢٠٧.

٥- ابن كثير :البداية ،ج٨ ،ص٥٩٧.

الخان هذا الكلام بلغته أم عن طريق مترجم فقال ذلك الشخص إن الخان كلمني بلا واسطة عن هذا السر فقال القاآن إنك كاذب لأن جنكيزخان لا يعرف غير لغة المغول وحينئذ أشار إلى ذلك الكذاب وعذبه"[1]"، ولكثرة حبه للمسلمين قال البعض أن أوكتاي كان يبطن الإسلام"[2]"كما ذكر بار تولد بأن مؤرخي المسلمين قد أثنوا ثناءً عطراً على أوكتاي وحسن معاملته للمسلمين وبعض القصص التي أثبتها الجو يني عن أوكتاي هدفها أن تؤكد أن القاآن كان يفضل الإسلام على بقية الأديان وأنه كان يحمي المسلمين من كيد أعدائهم ومنافسيهم من الصينيين والأويغوريين"[3]" والذي يؤكد مدى حبه للمسلمين أنه أمر المغول بأن يعطوا الفتيات المغوليات للمسلمين وإذا أراد أحد من المسلمين خطبة مغولية لا يمنعوه "[4]"،وفي ذلك دلالة على التمازج الاجتماعي والأسري والديني.

موقف جغتاي من المعتقدات الدينية:

أما جغتاي ثاني أبناء جنكيز خان فقد كان شامانياً كأبيه ومسؤولاً عن تطبيق أحكام الياسا الصارمة، كما كان موتوراً من المسلمين لمقتل ابنه في أثناء حصار المغول لمدينة باميان"[5]" بإقليم خراسان سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م"[6]"،لذلك كان رضى المسلمين عنه أقل بكثير من رضاهم عن أوكتاي وكان جغتاي قد بسط نفوذه المباشر على الشطر الأكبر من المناطق الإسلامية بآسيا الوسطى كما إنه كان يملك تأثيراً كبيراً على أخيه القاان لأنه كان أكبر أبناء جنكيز خان

١- خواندمير: تاريخ حبيب السير ج١،مج٣ ،ص٥١.

٢- خواندمير: المصدر نفسه ،ص١٥٧،عباس إقبال :تاريخ إيران،ص٤١١.

٣- بار تولد(فاسيلي فلادمير وفتش) :تركستان،ص٦٦٠.

٤- الجوزجاني: طبقات ناصري ،ص١٥١.

٥- باميان :بكسر الميم وياء وألف ونون بلدة وكورة في الجبال بين بلخ وهراة وغزنة بها قلعة حصينة والقصبة صغيرة والمملكة واسعة بينها وبين بلخ عشر مراحل وإلى غزنة ثماني مراحل خرج منها جماعة من أهل العلم ويخرج من الباميان عيون عظام فيمر منها واد إلى القندهار مسيرة شهر وهي مضافة إلى مرو الشاهجان وبرسمها .(ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج ١،ص٣٣٠،محمد عبد المنعم الحميري :الروض المعطار،ص٧٤)

٦- صبري عبد اللطيف سليم:الصراع السياسي والمذهبي،ص٤٦.

سنا"[1]"،وقد كان من ألد أعداء المسلمين من بين خوانين المغول، وكان من شدة عدائه لهذا الدين أنه لم يكن يحب أن ينطق أحد بكلمة مسلم في حضرته إلا إذا أريد بذكرها التحقير والحط من شأنها"[2]"،كما إنه كان يضع القوانين الدقيقة وعلى الناس أن ينفذوها بحذافيرها من ذلك عدم الذبح على الطريقة الإسلامية وعدم الجلوس نهاراً في المياه الجارية،حيث أن ياسا المغول تقضي أنه في موسم الربيع والصيف لا يدخلون إلى الماء ولا يغسلون أيديهم في الجداول ولا ينشرون ثيابهم في البراري ويمنع جميع الخلق من تلك الأشياء لأنه بناء على زعمهم أن هذه الأشياء تؤدي إلى ازدياد الرعد والبرق، وفي هذين الفصلين يكثر الرعد والبرق، وذات مرة كان كل من أوكتاي وجغتاي راجعين من الصيد وفي أثناء ذلك رأيا مسلماً كان يغتسل في الماء فعقد جغتاي العزم على قتله وإراقة دمه لكن أوكتاي منعه من ذلك"[3]" وكانت قوانينه ولا سيما الذبح الشرعي موزعة على الأمصار حتى لم يعرف أن شخصاً ما في خراسان ذبح خروفاً بشكل علني كما أمر المسلمين بأكل لحم الميتة"[4]"،لذلك لم يجرؤ المسلمون على الوضوء في المياه الجارية أو أن يذبحوا البهائم وفقاً للشريعة الإسلامية إلا في السر"[5]"، ولكن بالرغم من بقاء جغتاي على دين آبائه وكراهيته وقومه للمسلمين فقد اتخذوا منهم وزراء ومستشارين وبنيت في عهده مجموعة من المدارس والمساجد ببلاد ماوراء النهر وغير ذلك"[6]".

١- بار تولد:تركستان،ص٦٦٠.

٢- رجب محمد عبد الحليم :انتشار الإسلام بين المغول،ص٣٧.

٣- خواندمير : حبيب السير ،ص٥١.

٤- الجو يني : تاريخ فاتح العالم ،ص٢٤٨.

٥- بار تولد: تركستان،ص٦٦١.

٦- أحمد محمود الساداتي : تاريخ الدول الإسلامية ،ص٧٠.

موقف كيوك قاآن من المعتقدات الدينية:

استلم الحكم بعد وفاة أوكتاي ابنه كيوك وذلك بفضل والدته توراكينا خاتون التي كانت ذات دهاء وفطنة، فاتفق جغتاي وباقي الأولاد على أنها تتصرف في تدبير الممالك إلى وقت القوريلتاي لأنها أم الأولاد ولهم استحقاق الخانية وفي سنة ٦٤٤هـ /١٢٤٦م تم اجتماع الأولاد والأحفاد وأمراء المغول في وقت الربيع وحضره حشد كبير من الأمراء وجموع من البلاد الإسلامية"[١]".

تميز عهد كيوك بإيثار المسيحيين لأن أمه كانت مسيحية"[٢]"،وقد كان كيوك ينتمي إلى جيل من الشباب يمثل ميولاً مختلفة جديدة، بدت آنذاك بأنها سوف تنتصر في النهاية وتسود بين أمة المغول، فقد عرفت المسيحية على المذهب النسطوري بين المغول منذ عدة قرون، ومع توغل الجيوش الفاتحة اكتسب الدين المسيحي قوة داخلية جديدة وحماساً تبشيرياً، وقد تركت هذه الديانة انطباعاً عميقاً على عقلية كيوك، حتى ولو لم يكن هو نسطورياً إلا أنه كان يظهر عطفاً على المسيحيين"[٣]" .

وكان بمقام الأتابكية لكيوك خان أمير كبير اسمه قداق وكان معمداً مؤمناً بالمسيحية وشاركه في ذلك أمير كبير اسمه جينقاي فهذان أحسنا النظر إلى النصارى وحسنا يقين كيوك خان ووالدته وأهل بيته بالمطارنة والأساقفة والرهبان والسريان والأرمن"[٤]"، وقد شجعت هذه التربية التي أخذها عن النصارى، الرهبان والقسيسين أن يفدوا عليه من ديار الشام والروم وكان أطباؤه الذين يلازمونه نصارى غالبا"[٥]".

١- ابن العبري : تاريخ مختصر ،ص٤٨٨.

٢- حسن الأمين:المغول ،ص٩٠.

٣- برتولد شبولر: العالم الإسلامي،ص٤٠-٤١.

٤- ابن العبري :تاريخ مختصر ،ص٤٥٠.

٥- الجو يني : تاريخ فاتح العالم،ص٢٣٧-٢٣٨.

كما حظي الملك الأرميني هيثوم بامتيازات عديدة، فقد عده كيوك تابعاً لـــه فمنحـــه وثـــائق تضمن إعفاء بلاده وأديرته وكل النصارى من الضرائب، ونتيجة لهذا الميل نحو النصرانية وجد الأطباء والنصارى الطريق ممهداً للإشراف على الشؤون الطبية في قراقورم وشـــاعت بعـــض التقاليد النصرانية في الأوساط المغولية"[١] .

وبذلك كان اختيار كيوك انتصارا للمسيحيين وانتكاسة للأفكار والعقائد والتقاليد القديمة"[٢].

وقد ذكر الرمزي بأن كيوك قد تنصر بتأثير من أتابكه قداق وقد اغتـــنم القساوسةالمســـيحيون الموجودون في بلاد المغول الفرصة وأظهروا وساوس كثيرة فـــي إذلال الإســـلام والمســـلمين وإهانة الدين الإسلامي واستئصال شأفته"[٣"]،كما تجرؤوا في العدوان على فقهائهم حتى لو كـــان هؤلاء في حضرة كيوك خان نفسه"[٤"]،بالإضافة إلى كثير من الأمور التي فعلوها والهدف منهـــا إهانة الإسلام والمسلمين، فقد ذكرالجوزجاني بأن النصارى كانوا قد أغروا كيوك بـــأن يـــدعو إماماً معروفاً من أئمة المسلمين اسمه نور الدين الخوارزمي ليناظرهم فـــي الـــدين وجـــرت المناظرة في حضرة كيوك على النحو التالي :

---النصارى: بين لنا أي ضرب من الناس كان محمد

– الإمام :محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ورسول رب العالمين زين رأســـه بتـــاج لعمـــرك ،وزين بإلباسه ألم نشرح ،موسى الذي أعجب بمناقبه :"اللهم اجعلني من أمة محمد،وبشر عيسى "برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد".

١– محمد سهيل طقوش: تاريخ المغول العظام ،ص١١٣،عباس إقبال : تاريخ إيران،ص٤١٤.

٢– برتولد شبولر:العالم الإسلامي،ص٤١.

٣– الرمزي:تلفيق الأخبار ،ص٣٨٥.

٤– رجب محمد عبد الحليم :انتشار الإسلام ،ص٣٢.

- النصارى:إن النبي هو من يعيش عيشة روحانية خالصة وليس له تعلق بشهوة النساء أو اهتمام بهن كما كان عيسى مثلاً ،بينما كان لمحمد تسع من النساء وعدد من الأولاد فكيف تفسرون هذا؟

وقد أجاب الإمام الرباني :لقد كان للنبي داود عليه السلام تسع وتسعون من الزوجات وكان سليمان له ثلاثمائة وستون إمرأة وألف جارية

وقد أجابه النصارى :هذان لم يكونا من الأنبياء بل من الملوك

وفي آخر الأمر أوقف النصارى المناظرة والتمسوا من كيوك أن يأمر الإمام بإقامة شعائر الصلاة فأمر أحدهم بالآذان والآخر بالإقامة وبدأوا بالركوع والسجود فسأله كيوك أهذه سُنة دينك فأجابه بنعم فدعا الإمام أحد المسلمين وشرعا في الصلاة وجهد النصارى بكافة الوسائل في إعاقة صلاتهما فانهالوا عليهما ضرباً ودقوا رأسيهما بالأرض ولكنهما لم يقطعا صلاتهما وفي الليلة نفسها هلك كيوك جزاء ماجنت يداه في حق الإمام ولما رأى أبناء كيوك ذلك اعتذروا للإمام وطلبو رضاه"[١].

توضح هذه الحادثة مدى الإهانة التي تعرض لها المسلمون في عهد كيوك قاان وكيف أن الإمام صبر على الذل والمهانة ولم تثنه كل أعمال التعذيب التي تعرض لها من النصارى على إيقاف صلاته وهذا كله يدلل على سمو الإسلام وعلو مكانته وترفعه عن مسائل الدس والتحريض كما فعل النصارى ،كما أننا نلاحظ من خلال هذه الحادثة حيادية المؤرخ بارتولد حيث قام بنقل هذه الحادثة من غير أن يظهر له رأياً معادياً للإسلام والمسلمين بل نقل هذه الحادثة بأمانة علمية مظهراً فيها مافعله النصارى من تعذيب للإمام، ومن الجدير ذكره هنا أيضاً أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لم يتزوج هذا العدد من النساء بدافع الشهوة وإنما بدافع

١- الجوزجاني : طبقات ناصري ،ص١٧٣-١٧٥،بارتولد : تركستان ،ص٦٧٩-٦٨٠.

تألف القبائل وكسب ود البعض أو إعالة البعض الآخر خاصة إذا عرفنا أن أكثر اللواتي تزوجهن كن ثيبات وكبيرات السن فأي شهوة للنساء هذه.

والمفيد ذكره أن بعض الأشخاص تمكن من حمل كيوك قاان على إصدار الأمر والفرمان بخصي كافة المسلمين الذين تحت حكمه وحمل تلك الفرمانات على عربات شتى، لكن حدث في تلك الإثناء مالم يحسب عقباه حيث هجم على ذلك الشخص سبع واقتلع خصيتيه وقتله فحاق به مكره السيئ ونجا المسلمون منه حيث أن القاآن رجع عن هذا الأمر لما آل إليه أمر ذلك الشخص"[1].

وهكذا نلاحظ بأن عهد كيوك قاان كان من أشد العهود التي شهد فيها الإسلام معاداة وقسوة بالغة من قبل المغول وانتعاشاً للمسيحيين الذين أثروا في تأليب كيوك على المسلمين.

١- الرمزي :تلفيق الأخبار،ص٣٩١.

موقف منكوقاآن من المعتقدات الدينية:

منكوقاآن حفيد جنكيز خان وابن تولوي خان ووالدته سرقويتي بيكي ابنة أخي أونك خان وقد اعتلى منكو عرش القاآنية رسمياً سنة ٦٤٨هـ/١٢٥١م "[١]"،كان متصفاً بالعدل والكرم والجـود والشجاعة وفي أيام دولته لم يكن سادات العلماء والأعلام يتجشمون من الأعمال الديوانية، وعلى المنوال نفسه كان حال علماء النصارى وشيوخ كل طائفة "[٢]"،وقد استفاد منكو من تربيته القويمة ومع أنه لم يكن مسيحياً كوالدته إلا أنه كان متسامحاً حتى أن جميع الأديان استطاعت أن تتعامل بحرية جنباً إلى جنب أثناء حكمه"[٣]"،فقد كان علماء المسيحية والبوذية والإسلام جميعاً على قدم المساواة أمامه ويلقون منه الاحترام بلا تفريق وقد منحهم قدراً آمناً من الحرية إلى حـد أنهـم كانوا يتناظرون ويتحاججون عن أديانهم أمامه"[٤]"،ورغم حرصه على التمسك بأحكـام الياسـا والمحافظة على آداب المغول وتقاليدهم فإنه نظراً لطول معاشرته للأمم المتمدنة ولكثرة اختلاطه بالمتحضرين في الأمم المغلوبة خفت فيه إلى حد ما صلابة المغول وخشونتهم وتعطشهم لسفك الدماء التي كانت تلاحظ في الحكام الأول باستثناء أوكتاي"[٥]"،وهكذا أصبح المتعصبون للديانـة القديمة أقل عدداً وأدنى نفوذاً وفي العاصمة قراقورم ارتفعت الكنائس والمعابـد البوذيـة فـي منافسات لا تخل من الغيرة والحسد"[٦]"،وقد ذكرت شيرين بياني نقلاً عن روبرك بأن منكوقـاآن قال له :"نحن المغول نؤمن فقط بإله واحد نعيش من خلاله ونموت من خلاله وهـو لـه قلـب طاهر"كما ذكرت بأنه قال:إن آباءه كانوا موحدين ولم يسجدوا لصنم قط"[٧]".

١- ابن العبري : تاريخ مختصر ،ص٤٣٤،بارتولد : تركستان،ص٦٨٢-٦٨٣

٢- خواندمير : حبيب السير ، مج٣،ج١ ،مج٣ ،ص٥٧.

٣- برتولد شبولر:العالم الإسلامي،ص٤٣.

٤- عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ،ص٤١٨-٤١٩.

٥- فؤاد الصياد :المغول في التاريخ ،ص٢٠٩.

٦- برتولد شبولر:العالم الإسلامي ،ص٤٣.

٧ - شيرين بياني :دين ودولت ،ص٨.

طبعاً هذا الكلام مخالف للحقيقة وذكرنا سابقاً أن المغول بحكم طبيعتهم البدوية وخوفهم من قوى الطبيعة عبدوا الكثير من الأصنام التي كانوا يقدسونها ويقدمون لها القرابين وذلك خوفاً من ضررها ،ولكن ربما أن المغول بعد احتكاكهم بالشعوب المتحضرة نتيجة الفتوحات التي قاموا بها وتعرفهم على مختلف الأديان بحكم وقوعها تحت حكمهم قد أدت إلى تخليهم شيئاً فشيئاً عن فكرة السجود لصنم وهذا مالاحظناه من خلال تعاطفهم مع الأديان المختلفة لدرجة أن يعتقد أصحاب كل دين أن يكون هذا الخان من إتباعهم لكثرة عطفه على هذه الديانات .

أما عن عقيدة منكوقاآن فقد ذكر النويري أن منكوقاان كان يدين بدين النصرانية"[1]".

كما ذكر أحد المؤرخين المحدثين بأنه ظل شامانيا"[2]"على دين آبائه وأجداده كما إنه كان متعاطفاً مع المسيحيين خاصة وأنه كان يشارك المسيحيين باحتفالاتهم الدينية"[3]"،ولم يكتف بذلك بل إنه أعطى الحرية الدينية للمسلمين وقد سعى إلى إحياء الشعائر الإسلامية متأثراً بوالدته سرقويتي بيكي التي أثرت فيه تأثيراً كبيراً فقد سلكت سلوكاً حسناً مع الرعايا المسلمين وكانت شديدة العطف عليهم لا سيما الأئمة ومشايخ الإسلام إذ أغدقت عليهم الكثير من الهدايا والهبات مع أنها كانت مسيحية"[4]"،وقد أنشأ منكوقاآن مدرسة تنفيذاً لرغبة والدته سرقويتي بيكي وقد بذل الأموال الكثيرة لبناء هذه المدرسة في بخارى وكلف شيخ الإسلام سيف الدين الباخرزي بالإشراف على هذه المدرسة وأن تشترى القرى وتصبح وقفاً عليها كما أجلس المدرسين وطلاب العلوم وكان يرسل صدقاته دائماً إلى النواحي والأطراف ويخصها للمساكين والفقراء"[5]"وللتدليل أيضاً على اهتمام منكو قاآن بالمسلمين أنه في شهر ذي الحجة سنة ٦٥٠هـ /١٢٥٣م حضر إلى المعسكر المغولي جلال الدين محمود الخجندي وطائفة من المسلمين فصلى بالمسلمين صلاة العيد وأمهم

١- النويري :نهاية الأرب ،ص٣٥٣.

٢-بارتولد :تركستان ،ص٦٨٥.

٣-برتولد:العالم الإسلامي ،ص٤٣.

٤- فؤاد الصياد :المغول في التاريخ ،ص.٢١١

٥ - الجويني :تاريخ فاتح العالم ،ج٢،ص١٨٨،صبري سليم :الصراع السياسي والمذهبي ،ص٩١-٩٢.

وابتدأ الخطبة بذكر ألقاب الخليفة ودعا للخان الأعظم منكوقاآن وأثنى عليه فأمر لهم الخان بالمنح على سبيل التشريف"[١].

كما وقف منكو قاان ضد ملك الأويغور الذي كان يريد أن يقتل جميع المسلمين المقيمين في بلاده على أن يتم ذلك في يوم الجمعة في صحن المسجد حين ينشغل المسلمون في صلاتهم حيث يبرزون من مكامنهم ويقتلونهم على بكرة أبيهم وحين علم القاان بذلك أمر بمحاكمتهم محاكمة كبرى وأمر أن تقطع أعناقهم يوم الجمعة أي في اليوم الذي كان قصدهم فيه قتل المؤمنين"[٢].

من هنا يتضح أن منكو قاان كان متعاطفاً مع جميع الأديان التي كانت موجودة في بلاطه وربما يعود السبب في ذلك إلى محاولته كسب محبة رعاياه الذين كانوا من مختلف الطوائف.

والجدير بالملاحظة أن كلاً من أتباع الديانات المختلفة كان يعتبر القاان من ملته، فبعضهم زعم أنه تنصر، و البعض الأخر يقول أنه نطق بالشهادتين ،وزعم البوذييون أنه اعترف بتفوق البوذية على كافة الأديان ومثلها بالكف وجميع العقائد أصابع تخرج من هذه الكف"[٣].

ومما يذكر أن منكوقاآن أطلق العباد وأرباب الدين من الوثنيين والنصارى والمسلمين من جميع المؤونات والأوزان والتكليفات"[٤].

١- محمد سهيل طقوش :تاريخ المغول العظام ،ص١٢٨.

٢- الجويني : تاريخ فاتح العالم ،ج١ ،ص٧٦-٧٨.

٣- بارتولد : تركستان, ص ٦٨٦.

٤- ابن العبري : تاريخ مختصر, ص ٤٥٩.

وبالرغم مما ذكرناه عن تعاطفه مع جميع الأديان إلا أن عهده يعتبر من أخطر العهـود فـي تاريخنا والسبب في ذلك أنه تم في عهده اتخاذ هولاكو أخي منكوقاآن قراراً بالذهاب إلى البلاد الإسلامية والقضاء على الإسماعيلية ، و إسقاط خلافة بغداد"[١]".

موقف قوبيلاي من المعتقدات الدينية:

استلم الحكم سنة ٦٥٨ هـ/١٢٥٩م"[٢]" و كان يحب الحكماء و العلماء و المتدينين من سائر المذاهب والأمم، وعرف عن قوبيلاي أنه كان واسع الأفق حر التفكير ،فعلى الرغم من تحولـه إلى البوذية إلا أنه كان بعيدا عن التعصب حيث أنه ترك الحرية لكل الأديان"[٣]"

و لما سئل عن سبب قيامه بهذا أجاب: "هناك أنبياء أربعة عظام توقرهم وتعبدهم مختلف طبقات الجنس البشري؛ فالمسيحيون يعدون يسوع المسيح ربهم، والمسلمون يعدونه محمداً، و اليهـود يعدونه موسى، والوثنيون يعدونه سوجو ممباركان"[٤]" الذي كان أسمى أصنامهم، و إني لأقـدم التكريم و أظهر الاحترام للأربعة جميعاً، وأدعو لنجدتي أيهم كان في السماء هو الأعلى حقاً"[٥]"

و قد ترجمت بأمره أقسام من القرآن الكريم و التوراة والإنجيل و تعليمات بـوذا إلـى اللغـة المغولية"[٦]"،و مما هو جدير بالذكر أن تحمس قوبيلاي الشخصي كان مقسماً بطريقة متساوية بين البوذية والمسيحية , ولكن مراعاة لوالدته المسيحية و تدليلاً على سماحته الدينية فقد عين ماركو بولو ورفاقه الذين وصلوا معه إلى بلاطه بعض المناصب الدينية في الصين المغولية , كما سمح

١- خواندمير: حبيب السير ،ج١,ج ٣، ص ٥٧, حسن الأمين : المغول، ص ٩١.
٢- ابن العبري: تاريخ مختصر،ص٤٩٠-٤٩١.
٣- الصياد :المغول في التاريخ ، ص ٢٢١.
٤- سوجو ممباركان: يرجح أنها كلمة محرفة والمقصود منها أحدالألقاب العديدة لبوذا الذي يشيع بين المغول وفي بلاد الهند أيضاً (ماركو بولو ،رحلات ،ج٢ ،ص٢٠٤).
٥- ماركو بولو:المصدر نفسه ,ج٢، ص ١٤-١٥.
٦- طقوش: تاريخ المغول العظام, ص ١٧٧.

لهم أن يستقدموا إلى بلاطه وبلاده من القسيسين لنشر المسيحية ، وسمح بفتح الكنائس في العاصمة، وعين بعض المسيحيين في المناصب العالية، ومن بين هؤلاء المسيحيين نسطو ري يدعى عيسى عينه مديراً لمرصد الأوردو"[1]"

وقد أعجب الخان بالشاب ماركو بولو فتوطدت بينهم أواصر الصداقة و اتخذه مستشاراً له، ولشدة ثقته به كان يرسله في الكثير من سفاراته، وهكذا استمر ماركو بولو يعيش في بلاط قوبيلاي من سنة ٦٧٠-٦٩٢ هـ/ ١٢٧١-١٢٩٢ م ،حيث أمضى ١٧ سنة في الشرق الأقصى كان فيها موضع ثقة المغول و إعجابهم"[2]"، وفي عهد قوبيلاي تردد التجار المسلمون على الصين، وظهر نفوذ الإيرانيين في بلاط قوبيلاي و انتشرت اللغة الفارسية في الصين"[3]"، ويذكر .أنه ذات مرة أحضر مجموعة من التجار المسلمين لقوبيلاي (طائر الشنقاري)وقدموا له عقابين بيض كهدية، فقبل السلطان تلك الهدايا وأرسل إليهم من طعامه الخاص فامتنع التجار عن ذلك الطعام، فأمر القاان وزيره أن يسأل التجار لماذا لم يأكلوا الطعام فأجابوه بسبب عدم ذبح الخراف حسب الشريعة الإسلامية فنقل الوزير هذا الكلام للقاآن حيث قال له بأن طعام الملك له حكم الميتة في العقيدة الإسلامية، فاضطرب من سماع هذا الكلام وأمر بأن يمنع المسلمين من الذبح حسب الطريقة الإسلامية وأمرهم بأن يشقوا بطون الحيوانات ولم يستطع المسلمون ذبح أي خروف مدة أربع سنوات"[4]".

طبعاً في هذا الكلام مبالغة كبيرة من قبل البعض وذلك بسبب خصومتهم الشديدة وعدائهم للإسلام فقد وصف قوبيلاي بتعاطفه مع أصحاب جميع الديانات ولن يدفعه هذا التصرف من قبل بعض التجار المسلمين إلى الإقدام على تعذيب المسلمين والتنكيل بهم .

١- رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام, ص٣٣- ٣٤.

٢- فؤادعبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ ,ص ٢٢٥ .

٣-عباس إقبال :تاريخ إيران بعد الإسلام ،ص٤٢٣.

٤- خواندمير : حبيب السير ،ص٦٤.

وهناك حادثة أخرى تدلل على كره الكثيرين للدين الإسلامي ومحاولتهم إثارة الفتن من أجل إلحاق الضرر بالمسلمين، ففي تلك الأثناء وصل رجل يهودي إلى أباقا بن هولاكو وقال له لقد جاء في القران "اقتلوا المشركين كافة "وطبقاً لاتباع الدين الإسلامي كل شخص ليس على دينهم يستحق القتل، فأرسل أباقا إلى القاان ليحقق في أمر هذه الآية وحدثت مناظرة كبيرة في بلاط القاان حضرها عدد من علماء الإسلام كادت أن تودي بالمسلمين كافة إذ سألهم القاان لماذا لم يقوموا بقتل المشركين مادام دينهم يحثهم على ذلك، كما سألهم قوبيلاي من هو خالق محمد فأجابوا الله العظيم، فقال لهم من الذي هدى محمد وأرشده فأجابوه الله، وسأل مرة أخرى من الذي خلق جنكيز خان فأجابوا هو الله أيضاً كما سأل من الذي وضع السيف والقوة في قبضته فقالوا هو خالق العباد والبلاد، فقال القاان من هذه المباحثة والمناظرة يعلم كذلك أن الله تعالى له نظرتين إلى العباد إحداها نظرة لطف والأخرى نظرة قهر وقد خلق محمداً (ص)بنظرة حكمة وخلق جنكيز خان بنظرة القهر وكلاهما متساويان من ناحية صفة الحكمة الإلهية فإذاً كيف ترجحون لطفه على قهره فلم يجب العلماء على هذاالكلام، ثم أمرهم بعد ذلك بإطاعة أمره فأجابه العلماء بأنهم يطيعونه في الأمور التي لا تخالف كتاب الله وسنة نبيه، فأمر القاان بعزل جميع قضاة الولايات وألا يذهب الوعاظ إلى المنابر وألا يرفع المؤذنون الآذان، واستمر المسلمون على هذه الحالة حتى انتهت هذه المشكلة حين ذهب أحد العلماء المسلمين وهو بدر الدين البيهقي فقال له إن هذا الكلام مخصوص بصاحب الرسالة وأصحابه الذين قتلوا مشركي العرب والعجم، وبما ان القاان كان يضع خاتم جنكيز خان على الأوامر الملكية وكان يكتب اسم الله عليها لذا فأنتم غير مشركين، فوافق هذا الكلام مزاج القاان وأمر بكتابة رسائل تبطل الأوامر التي كتبت بتعذيب المسلمين"[١].

نلاحظ في هذه الحادثة مبالغة كبيرة فالكلام السابق يشير إلى أن قوبيلاي قان كان على درجة كبيرة من الثقافة والقدرة على الجدل حتي يخوض مثل هذه المناظرات مع أننا نعلم بأن

١- غياث الدين خواندمير :حبيب السير،ص٦٥-٦٦.

المغول شعب بدوي بسيط ليس لديهم القدرة على الجدل والمناظرة فمن أين أتى قوبيلاي بهذه الحجج والبراهين وهذا يقودنا إلى التشكيك بهذه الحادثة وعدم صحتها ،وأيضاً نلاحـظ عـدم معرفة قوبيلاي بالأديان عندما ذكر بأن المسيح ومحمد عليهم الصلاة والسـلام أنهـم كـانوا أرباباً ولم يعتبرهم رسل أرسلهم الله لهداية البشرية فمن أين له هذه القدرة على المناظرة وهو بهذه القلة من المعرفة.

محاولة الغرب الأوربي تنصير المغول:

لقد قام مسيحيو أوربا بجهود كثيرة لمحاولة نشر الدين المسيحي في صفوف المغول فـي محاولة منهم لكسبهم إلى جانبهم لمساعدتهم في تحقيق أطماعهم التوسعية في العالم الإسلامي، ولرغبتهم أيضاً في إيقاف طموحهم في غزو العالم الغربي وذلك بعد إدخالهم فـي المسـيحية وإخضاعهم للبابوية التي سيصبحون تابعين لها.

وكانت أول محاولة في هذا الصدد من قبل غرب أوربة على يد البابا أنوسـنت الرابـع ٦٤١-٦٥٢ هـ / ١٢٤٣-١٢٥٤ م الذي كان قد سارع بإيفاد ثلاث سفارات إلى المغول تحمل جميعها دعوة البابا إلى إيلخان المغول باعتناق المسيحية على المذهب الكـاثوليكي وإحلال السلام محل الحرب بين الغرب و التتار"[١]"

وأهم هذه البعثات بعثة يوحنا كاربيني التي تعد إحدى أهم البعثات البابوية للمغول لأنهـا أول بعثة أوربية تصل إلى قراقورم عاصمة المغول, كما أنها أول فرصة للاحتكاك المباشر وتبادل المعلومات بصورة علنية و مكتوبة بين الأوربيين والمغول، كما أنها تميزت بدقة المعلومـات عن حياة المغول ونظمهم الإجتماعية والعسكرية ومعتقداتهم الدينية بالإضافة إلـى معلومـات

١- حسين محمد عطية: سفارات الأرمن إلى المغول وأثرها على العلاقات الأوربيـة المغوليـة, المجلـة التاريخيـة المصرية ,مطبعة الجبلاوي ,١٩٩٨,مج ٣٦, ص ٢٠٢.

تاريخية و جغرافية لم تكن معروفة في أوروبا من قبل عن مناطق وسط أسيا وشرقها"[1]، و قد شهدت هذه البعثة حفل تنصيب كيوك خان و إجلاسه على تخت القانية"[2]، و قد طمع البابا في أن يستطيع ممثله هذا في إدخال المغول في النصرانية و التحالف مع البابوية وملوك أوروبــا على المسلمين"[3]""،وقد نجحت بالفعل هذه البعثة في التأثير على وزيرين مــن وزراء كيــوك فاعتنقا المسيحية و أثرا بدورهما على ذلك الخان"[4]"، لكن التحالف لم يتم بين المغول وملــوك أوروبا فقد عاد كاربيني من البلاط المغولي برسالة من كيوك يطلب فيها من البابا أنو ســنت الرابع أن يأتي بنفسه إلى قراقورم ومعه ملوك غرب أوروبا وأمــراؤه ليعلنــوا خضــوعهم له"[5]"،والحقيقة أن السفارة فشلت في تحقيق أهدافها لكنها تركت وصفاً طيباً عن الأماكن التــي مر بها ومالحق بها من خراب، وكثيراً من التفاصيل عن عادات المغول وتقاليدهم وأحــوالهم الاجتماعية المتعلقة بالزواج والوفاة وطعامهم وشرابهم وحياتهم الأخرى بعد الموت"[6]".

و لكن البابا لم يفقد الأمل نهائياً في استمالة هؤلاء المغول فأرسل بعد فترة قصيرة سفارة ثانية كان على رأسها الراهب الدومينكاني أسكلين اللومباردي وهو أحد رجال الدين الدومينكان وقد اجتازت هذه السفارة سوريا وواصلت سيرها حتى التقت في تبريز القائد المغولي بايجو وذلك في سنة ٦٤٥هـــ/١٢٤٧م، وقد أزعج هؤلاء السفراء البابويين المغول بحركاتهم وســكناتهم فمن جهة كانوا يجهلون كيفية التعامل مع المغول كما يجهلون الألقاب التي يلقب بهــا خــان المغول بل كانوا يجهلون اسم الخان الأعظم, ثم كانوا يدعون المغول إلى السلام والمصالحة و تجنب إراقة الدماء فلم تعجب المغول هذه المواعظ"[7]"، وقد رفض هؤلاء الركوع أمام القائــد

١–محمد سهيل طقوش: تاريخ المغول ,ص ١١٥.

٢– الرمزي:تلفيق الأخبار , ص ٣٨٩،محمود سعيد عمران:المغول وأوروبا،ص٢٢٢،=
Thomas Haining :The Mongols,p23.

٣– حسن لأمين: المغول,ص ٤٢٥.

٤– رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام ,ص ٤٣.

٥– حسين محمد عطية: سفارات الأرمن ,ص ٢٠٤.

٦– محمود سعيد عمران :المغول وأوروبا ،ص٢٢٣.

٧– حسن الأمين: المغول, ص ٤٢٧،محمود سعيد عمران:المغول وأوروبا ،ص٢٢٤.

المغولي بحجة أنهم ممثلو البابا الأعلى لكل النصارى على الأرض وكاد بايجو أن يقتلهم لولا وصول مبعوث الخان الأعظم في قراقورم فأمر بايجو بإطلاق سراحهم"[1]"،وبذلك أدرك البابا أنو سنت الرابع فشله في استمالة المغول إلى المسيحية الأمر الذي يقضي على أمله في صد خطرهم عن غرب أوروبا هذا من جهة و من جهة أخرى التحالف معهم ضد القوى الإسلامية في الشرق الأدنى"[2]"، و قد واصلت أوروبا اتصالاتها بالمغول فأوفد لويس التاسع ملك فرنسا في عام ٦٤٧هـ /١٢٤٩ م بعثة من نيقوسيا عاصمة جزيرة قبرص كان على رأسها مبشر آخر هو الراهب الفرنسيسكاني وليم روبروك و لكن هذه البعثة لم تصل إلى قراقورم إلا في نهاية عام ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م حيث كان كيوك خان قد مات و تولى من بعده منكوقاآن"[3]"، ومع أن منكوقان قابل سفير لويس باحترام وأكرم وفادته وسمح له بأن يناظر العلماء البوذيين والمسلمين بحرية تامة إلا أنه لم يعطه جواباً مقنعاً فيما يتعلق بتكوين اتحاد مع المسيحيين بل إنه طلب إليه أن يسارع لويس مع جميع الملوك المسيحيين إلى الدخول في طاعته"[4]" ، ولكن هيتون ملك أرمينيا المسيحي نجح فيما فشل فيه لويس التاسع إذ قدم قراقورم عام ٦٥٢هـ/١٢٥٤م وقدم نفسه كتابع للخان الكبير منكوقاان فأحسن الخان استقباله"[5]"،وسلمه مرسوماً موثقاً بخاتمه يمنع أي شخص من التعرض لشخص الملك الأرميني أو لبلاده كما سلمه الإيلخان مرسوماً آخر بإعفاء الكنائس في كل مكان من الضرائب المغولية"[6]"،وكانت جهود هيتون خلال المدة التي قضاها في قراقورم منصرفة كلها إلى إقناع الخان للقيام بحملة مشتركة ضد المسلمين وصار يلح في طلبه حتى وافق الخان في النهاية على مساعدة المسيحيين وكلف أخاه هولاكو خان بغزو بغداد كما تعهد بأن يعيد بيت المقدس للمسيحيين إذ

١- محمد سهيل طقوش: تاريخ المغول،ص ١١٨.

٢- حسين عطية:سفارات الأرمن، ص ٢٠٥.

٣- رجب عبد الحليم: انتشار الإسلام , ص ٤٤.

٤- فؤاد الصياد :المغول في التاريخ ،ص٢١٢.

٥- رجب محمد عبد الحليم :انتشار الإسلام ،ص٤٤.

٦-حسين عطية :سفارات الأرمن،ص٢١٧.

ما تعاونوا مع المغول تعاوناً كاملاً"[١]"،وقد أظهر منكو نوايا حسنة تجاه المسيحية فقد قرر منكو أن يبدأ بنفسه وأهل بيته في اعتناق المسيحية قبل أن ينصح شعبه باعتناقها وهذا يـدل علـى التحول الكبير في موقف المغول من المسيحية"[٢]"،وهكذا عاد هيتون إلى بلاده محملاً بالهـدايا ومبتهجاً بما أحرزه من نجاح وذلك لأن المغول قد جعلوا للمسيحية المنزلة الأولى بالنسبة إلى سائر الديانات الأخرى لكنهم لم يقصدوا السماح بقيام إمارات مسيحية مستقلة وإذا عاد بيـت المقدس إلى المسيحيين فإنما يعود إليهم في نطاق الامبراطوريةالمغولية"[٣]" .

من خلال هذا العرض البسيط لمعتقدات المغول نجد تبايناً بين خان وآخر فبعضـهم كـان متعاطفاً مع المسلمين وبعضهم كان يفضل المسيحية والبعض الآخر كان بوذياً ومنهم لم يؤمن بدين من الأديان ،فهل استمر هذا التباين ؟

بالطبع مع دخول المغول إلى العالم الإسلامي اتخذوا مواقف محددة من أصـحاب الـديانات فالبعض فضل المسيحية على سائر الأديان والبعض الآخر اعتنق الإسلام وأعلنه ديناً رسمياً .

١- فؤاد الصياد :المغول في التاريخ،ص٢١٥.
٢-حسين عطية :المرجع السابق ،ص٢١٩-٢٢٠.
٣- فؤاد الصياد :المغول في التاريخ،ص٢١٥.

الفصل الثاني

موقف المغول الإيلخانيين غير المسلمين من المعتقدات الدينية

- التعريف بالدولة الإيلخانية

- هولاكو

- أباقا خان

- أحمد تكودار

- أرغون خان

- كيخاتو خان

- بايدو خان

التعريف بالدولة الإيلخانية:

تمكن هولاكو خان حفيد جنكيز خان (٦٦٣هـ/١٢٦٤م)أن يكون إمبراطورية ضخمة وذلك خلال سبعة أعوام من سنة (٦٥١-٦٥٨هـ/١٢٥٣-١٢٦٠)"[١]" وقد أطلق على هذه الدولة اسم الدولة الإيلخانية ، ويرجع إطلاق اسم الإيلخانيين على هذه السلالة إلى كلمة إيل المغولية والتي تأتي بمعنى مطيع أوخاضع أو قبيلة ومعنى هذه الكلمة المطيع للخاقان أو هو الذي يمثله ويدين له بالولاء"[٢]"، وقد دعي كل حاكم من حكام المغول بإيران إيلخان ودعيت الأسرة كلها الإيلخانيين"[٣]"[٤]"،وذلك أن هولاكو مؤسس هذه الأسرة كان يحكم إيران من قبل أخيه الخاقان أو الخان الأعظم المقيم في قراقورم والذي كان نائباً عنه في حكم هذه البلاد وقد أسس هولاكو خان هذه الأسرة التي حكمت من سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م إلى سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٦م على وجه التقريب"[٥]"، فهولاكو لم يكن يملك ملكاً مستقلاً بل كان نائباً عن أخيه منكوقان (٦٤٨-٦٥٧هـ/١٢٥١-١٢٥٩م)ولم يضرب باسمه سكة درهم ولا دينار وإنما كانت تضرب باسم أخيه المذكور وظل اسم الإيلخان قائماً حتى وفاة قوبيلاي قاآن سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٥م ومنذ ذلك الوقت اختفى اسم الخاقان من السكة الإيرانية وحل لقب الخان محل لقب الإيلخان"[٦]"، وكانت الدولة الإيلخانية تتكون من الولايات التالية إقليم خراسان وكرسيه نيسابور

١- محمد سالم بكر باعمر :الصراع بين الإسلام والوثنية في إيلخانية مغول إيران على عهدي تكودار خان وأرغون خان (٦٨١-٦٩٠هـ/١٢٨٢-١٢٩١م)،مجلة جامعة الملك عبد العزيز،الآداب والعلوم الإنسانية،مج١٥ ،٢٠٠٧م.

٢- فؤاد الصياد:الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين(أسرة هولاكو خان)،منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ،جامعة قطر ،١٩٨٧،ص٢٨

٣- أحمد السعيد سليمان :تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة دار المعارف ،مصر ،١٩٦٩،ص٤٨٠.

٤- إن حكام المغول ابتداءً من هولاكو إلى مابعده يطلق عليهم رسمياً الإيلخانيين لأنهم استقلوا في إدارة الحكومة ولم يكن لهم ارتباط بهم إلا في بعض الأشياء مثل الاشتراك في الاجتماعات الهامة أو إظهار الطاعة والولاء لبلاط قاآن وبلاط الصين والذي كان مقر القاآن .حبيب الله شاملوئي:تاريخ إيران ازمادنا بهلوى،از انتشارات به روخ باك جون ناكام ،سهريا ،سيادت (تقديم مكتيم)،ص٤٩٣.

٥- فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص٢٧-٢٨.

٦- محمد سالم بكر باعمر :الصراع ،ص٥.

وإقليم عراق العجم وتعرف ببلاد الجبل وكرسيه أصفهان"[1]"، وإقليم عراق العرب وكرسيه بغداد، وإقليم أذربيجان"[2]" وكرسيه تبريز"[3]" ،وإقليم خوزستان"[4]" و كرسيه تستر"[5]" ،و تسميها العامة ششتر، و إقليم فارس"[6]" و كرسيه شيراز"[7]"، و إقليم ديار بكر وكرسيه الموصل"[8]"

١- أصفهان :مدينة عظيمة مشهورة وأصبحت اسم للإقليم بأكمله وهي من نواحي الجبل آخر الإقليم الرابع كانت أصفيان بالموضع المعروف بجي وهو الآن يعرف بشهرستان فلما أخذ بخت نصر يهودها وأنزلهم أصبهان بنوا لهم في طرف مدينة جي محلة ونزلوها وسميت اليهودية فتحت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.(ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ج١،ص٢٠٦).

٢- أذربيجان :طولها ثلاث وسبعون درجة وعرضها أربعون درجة وحد أذربيجان من برذعة إلى أرزنجان مغرباً ويتصل حدها من الشمال ببلاد الديلم والجبل والطرم وهو إقليم واسع مشهور من مدائنها تبريز وهي اليوم قصبتها وأكبر مدنها وكانت قصبتها قديماً المراغة فتحت أولاً في أيام عمر بن الخطاب.(ياقوت الحموي :المصدر نفسه ،مج١،ص١٢٨-١٢٩).

٣-تبريز:من أشهر مدن أذربيجان وكانت تبريز قرية حتى دخلها الرواد الأزدي المتغلب على أذربيجان في أيام المتوكل وبنى بها قصوراً (ياقوت الحموي :المصدر نفسه،مج٢ ،ص١٣).

٤- خوزستان:وهو اسم لجميع بلاد الخوز وليس بخوزستان جبال ولا رمال إلا شيء يسير يتاخم نواحي تستر وجنديسابوروناحية إيذج وأصفهان مياهها طيبة جارية وباقي خوزستان كأرض العراق ومياهها طيبة عذبة جارية وأما لسانهم فإن غالبيتهم يتكلمون بالفارسية والعربية .(ياقوت الحموي :المصدر نفسه،مج ٢،ص٤٠٤-٤٠٥،ابن حوقل :صورة الأرض ،مكتبة الحياة ،بيروت ،ص٢٢٨-٢٢٩).

٥- تستر :وهي تعريب شوشتر وهي أعظم مدينة بخوزستان وبخوزستان أنهار كثيرة وأعظمها نهر تستر وهي التي بنى عليها سابور شاذروان بباب تستر حتى ارتفع ماؤه إلى المدينة لأن تستر مكان مرتفع من الأرض وبتستر قبر البراء بن مالك الأنصاري .(ياقوت الحموي :معجم البلدان،ج٢،ص٢٩).

٦- فارس :ولاية واسعة أول حدودها من جهة العراق أرجان ومن جهة كرمان السيرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مكران وأصل الكلمة بارس فعرب وسمي فارس وقصبتها شيراز.(ياقوت الحموي :المصدر نفسه ،ج٢ ،ص٢٦٦).

٧- شيراز :قاعدة بلاد فارس وهي مدينة إسلامية بناها محمد بن القاسم بن أبي عقيل بن عم الحجاج وتفسير شيراز جوف الأسد وإنما سميت بذلك لأنها مدينة يجلب إليها المير من سائر البلاد.(الشريف الإدريسي :نزهة المشتاق ،ج١،ص٤٠٥).

٨- الموصل :مدينة مشهورة إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كبراً وعظمةفهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق وقيل وصلت بين دجلة والفرات وقيل لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة كان أول من ألحقها بالأمصار مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية .(ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج٥،ص١٢٣).

وإقليم الروم و كرسيه قونية"[١]" وغيرها مما ليس في الشهرة مثل هذه الأقاليم العظيمة"[٢]"،كما كانت تضم إلى جانب هذه الأقاليم والممالك بعض الأجزاء الشرقية مما يعرف الآن بأفغانستان وباكستان وخاصة إقليم سجستان"[٣]" والرخج"[٤]" وكرمان"[٥]" والغور"[٦]"،أي أنهم حكموا المنطقة الممتدة من ضفاف جيحون غرباً حتى أقصى حدود الشام ومصر"[٧]".

وقد دخل المغول العالم الإسلامي وهم غير متدينين بدين ولا يحملون فكراً معيناً عن دين على حساب دين آخر، فسارع أصحاب الديانات إلى محاولة إدخال المغول في دينهم أو على الأقل إلى محاولة كسب عطفهم ومودتهم إن لم ينجحوا في إدخالهم إلى دينهم، وقد نجح المسيحيون في البداية في كسب عطف وود الخانات الأوائل الذين أظهروا تعاطفاً مع المسيحيين، ويظهر ذلك منذ بداية دخول هولاكو إلى بغداد وكيفية تعامله مع المسيحيين الذين تمتعوا في عهده بمزايا خاصة بتأثير عدة عوامل سوف نذكرها في معرض حديثنا عن هولاكو وأيضاً استمر الدعم والتأييد للمسيحيين في عهد خليفته أباقا ويستثنى من هؤلاء أحمد تكودار الذي دخل في الإسلام، وقد كانت فترة حكمه قصيرة حاول خلالها إدخال المغول في الإسلام لكنه لم ينجح في ذلك بسبب فترة حكمه القصيرة وقتله على يد أرغون الذي قام بالتمرد عليه نتيجة دخوله في الإسلام ونبذه عقيدة أجداده، وقد لقي اليهود في عهده منزلة خاصة حيث عمل على رفع شأنهم وإدخالهم في مناصب الدولة العليا، وكان لكيخاتو وبايدو

١- قونية :من أعظم مدن الإسلام بالروم فيها قبر أفلاطون الحكيم بالكنيسة التي في جنب الجامع (ياقوت الحموي: معجم البلدان ،ج٤ ،ص٤١٥).

٢- النويري : نهاية الأرب ،ص٣٩٢-٣٩٣،ابن الوردي : تاريخه ،ج٢ ،ص٢١١،ابن خلدون :العبر،ج٥،ص٥٤٤،القلقشندي : صبح الأعشى،ج٤ ،ص٣١٤حتى ٣٩٨.

٣- سجستان :وهي ناحية كبيرة وولاية واسعة وهي جنوب هراة وطول سجستان أربع وستون درجة وربع وعرضها اثنان وثلاثون درجة وسدس وهي من الإقليم الثالث .(ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ج٣،ص١٩٠).

٤- الرخج :تعريب رخو كورة ومدينة من نواحي كابل .(ياقوت الحموي : المصدر نفسه، ج٣،ص٣٨).

٥- كرمان :في الإقليم الرابع طولها تسعون درجة وعرضها ثلاثون درجة وهي ولاية مشهورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان وكرمان أيضاً مدينة بين غزنة وبلاد الهند وهي من أعمال غزنة.(ياقوت الحموي :المصدر نفسه ،ج٤،ص٤٥٤).

٦- رجب محمد عبد الحليم :انتشار الإسلام ،ص١٧٦.

٧- رشيد الدين الهمداني : جامع التواريخ ،مج٢،ج٢،تح :الصياد،ص٢١.

أيضاً موقفاً من المعتقدات الدينية التي كانت سائدة في البلاد الإسلامية وقد جمع بين هؤلاء الإيلخانات جميعاً أنهم كانوا غير مسلمين باستثناء السلطان أحمد تكودار وسوف نستعرض بالتفصيل لهؤلاء الإيلخانات وموقفهم من المعتقدات الدينية، وقبل أن نتطرق إلى ذكر أول الإيلخانيين أباقا خان لابد بداية من الحديث عن مؤسس هذه الدولة هولاكو خان .

هولاكو وموقفه من المعتقدات الدينية

هولاكو هو الابن الرابع لتولوي خان وأمه هي سرقويتي بيكي ابنة أخي أونك خان ملك الكرايت"[١]،وقد وصفت بأنها كانت لبيبة مؤمنة تدين بدين النصرانية تعظم محل المطارنة والرهبان وتقتبس صلواتهم وبركتهم وفي مثلها قال الشاعر:

فلو كانت النساء كمثل هذه   لفضلت النساء على الرجال"[٢]"

كما كانت امرأته العظمى دوقوز خاتون من أقوام الكرايت الذين كانوا مسيحيين في الأصل وقد وصفت بالمؤمنة المسيحية"[٣]"،وعندما توجه هولاكو لمحاربة قلاع الإسماعيلية وخليفة بغداد طلب منه أخاه منكوقاان أن يشاور دوقوز في جميع القضايا والأمور"[٤]".

نلاحظ من خلال هذه الأمور التي ذكرناها في البداية أن هولاكو كان قد تشرب حب المسيحية منذ النشأة واستكمل ذلك بعد زواجه فكان لوالدته المسيحية تأثير كبير على تربيته وعلى تعامله مع المسيحيين بعطف وود، ومع أن والدة هولاكو كانت مسيحية إلا أنها سلكت سلوكاً حسناً مع الرعايا المسلمين، وكانت شديدة العطف عليهم ولا سيما الأئمة ومشايخ الإسلام إذ أغدقت عليهم الكثير من العطايا والهبات"[٥]"، وأيضاً كان لزوجته التأثير الأكبر حيث

١- رشيد الدين الهمذاني :جامع التواريخ،مج٢،ج١،ص٢١٩.

٢- ابن العبري :تاريخ مختصر ،ص٤٣٤.

٣ - ابن العبري:المصدر نفسه ،ص٤٦١.

٤- رشيد الدين الهمداني : جامع التواريخ،ج١،ص٢٣٧.

٥- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ،ص٢١١.

كانت تعمل على مؤازرة المسيحيين، وفي عهدها قوي حال هذه الطائفة وكان هولاكو يرعاهم ويعزهم إرضاء لها، وقد بلغ بهم الأمر أنهم كانوا يقيمون الكنائس في جميع الممالك وأقيمت لدوقوز كنيسة مخيم دقوا عليها النواقيس"[١]"،وقد قام هولاكو بإعفاء جميع الكنائس في جميع المناطق التي دخلها من الجزية والأتاوة كما ضمن لجميع الكنائس حريتها في كل مكان"[٢]".

هذه الأمور تدل دلالة كبيرة على مدى تعاطف هولاكو مع المسيحيين بتأثير هذين السببين وأيضاً إلى التأثير الذي حصل عليه من قبل أخيه الخان الأعظم منكوقاآن الذي طلب منه مشاورة زوجته دوقوز في جميع الأمور التي تعرض عليه وربما يعود السبب في ذلك إلى ثقة منكوقاآن بحكمة هذه الأميرة وأيضاً نتيجة كونها مسيحية وهذا سيؤدي إلى تعاطف المسيحيين معها وبالتالي تسهيل عملية سير حملة هولاكو ووقوف المسيحيين إلى جانبهم أثناء دخولهم إلى العالم الإسلامي .

ديانة هولاكو:

اعتنق هولاكو الديانة البوذية وبنى عدة معابد للأصنام في خوى"[٣]""[٤]"،وقد عمل هولاكو على حماية المعابد البوذية"[٥]"،لكن زوجته المسيحية كانت ذات سيطرة تامة عليه وتدفع به إلى مراعاة المسيحيين"[٦]"، فقد كانت تساند المسيحيين وتحبهم وتقيم شعائرهم في تلك البلاد"[٧]"، وقد أدى لهم هولاكو خدمات هامة ولما لم يكن في إيران من يتبع مذهب بوذا، اهتم هولاكو بأحوال المسيحيين فأنشأت الكنائس في كل مكان، وكان الأرمن ومسيحيو إيران يعتبرون هولاكو وزوجته منقذين مساعدين لهم، واستغلوا قوة المغول لتنفيذ أهدافهم الدينية، وفي الوقت

١- رشيد الدين الهمداني : جامع التواريخ،مج٢،ج١،ص٢١٩.

٢- سهيل زكار :الموسوعة الشامية،ص.١٧٣

٣- خوي:بلد مشهور من أعمال أذربيجان ،حصن كثير الخير والفواكه.(ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج٢،ص٤٠٨).

٤- عباس إقبال : تاريخ إيران،ص٤٤١.

5- E.D phillips:the Mongols ,London, THames and Hudson, p 119.

٦- عباس إقبال :تاريخ إيران،ص٤٤١.

٧- ابن تغري بردي :النجوم ،ج٧،ص٢٢٠.

نفسه كانوا يبغون من وراء ذلك إمداد المسيحيين والصليبيين في قتالهم مع المسلمين بالشام ومصر آنذاك"[1]".

دخوله بغداد وموقفه من الطوائف المختلفة:

عندما دخل هولاكو بغداد طلبت منه زوجته دوقوز أن يحافظ قدر ما يستطيع على أرواح المسيحيين وعدم التعرض لممتلكاتهم وأموالهم"[2]"، ويبدو ذلك واضحاً عند دخول هولاكو بغداد حيث ذكر ابن الفوطي أنه (وضع السيف في أهل بغداد فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والأطفال فلم يبق من أهل البلد ومن التجأ إليهم من أهل السواد إلا القليل ماعدا النصارى فإنه عين لهم شحان حرسوا بيوتهم)"[3]" وبذلك سلم المسيحيون من القتل على عكس المسلمين الذين قتلوا بأعداد هائلة من قبل المغول ولم يسلم منهم حتى الطفل الصغير.

حيث ذكر ابن كثير أنه قتل من المسلمين شرقاً وغرباً مالا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم"[4]"،كما استولى الجاثليق"[5]"على دار علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير التي على شاطىء دجلة فسكنها ودق عليها الناقوس، واستولى على دار الفلك التي كانت رباطاً للنساء، وهدم الكتابة التي كانت على البابين وكتب عوضاً عنها بالسرياني"[6]"،فكان هؤلاء المغول في نظر النسطوريين واليعاقبة والأرمن بمثابة المنتقمين الذين أرسلهم الرب للانتقام من المسلمين"[7]"، وعندما دخل هولاكو بغداد كان الجاثليق مكيخا الثاني قد نصب في كرسيه في آذار سنة ٦٥٥/١٢٥٧م وقد استمر في تولي أمر النساطرة في بغداد حتى توفي حيث دفن في

١-عباس إقبال : تاريخ إيران،ص٤٤١.

٢- أحمد عبد العزيز بقوش :المجتمع المغولي ،ص٢٤٤.

٣- الحوادث الجامعة ،ص٣٢٩.

٤- البداية ،ج٩،ص١٢٦.

٥- هو رئيس الفرقة النسطورية المسيحية في بغداد وهو صاحب الصلاة.(القلقشندي :صبح الأعشى ،ج٥،ص٤٤٤،أحمد عبد العزيز بقوش :المجتمع المغولي ،ص٢٤٤).

٦- ابن الفوطي :الحوادث الجامعة ،ص٢٣٣-٢٣٤.

٧- أحمد عبد العزيز بقوش : المجتمع المغولي ،ص٢٤٤.

البيعة الجديدة التي بناها في دار الخليفة وقد اختير بعده دنحا مطران أربيل سنة ٦٧٤هـ/١٢٦٥م"[١]".

وقد ذكر بعض الباحثين الغربيين أن هولاكو لم يكن يحب الإسلام الذي طالما وجه حملات ضده كما لم يقبل أن يكون الإسلام هو الدين الرسمي للدولة"[٢]"، وهناك بعض المؤرخين المحدثين من ذكر بأن هولاكو ساوى بين العناصر وراعى الحرية الدينية لكل دين ومذهب في تقاليده ومراسمه ولم يطلب من أحد سوى الصدق والإخلاص والعقل القويم وبعدها جعل الحرية في أن يعتقد كل بما شاء، ورغب أن يضاف إلى ذلك أنه حافظ على مؤسسات كل طائفة وموقوفاتها وراعى ما رصدت لأجله"[٣]"، وحكومته كانت أشبه بالحكومات المتمدنة التي تراعي الحرية الدينية بحذافيرها ولم تتقصد النكاية بأهل ملة أو دين بل كان واسع الصدر"[٤]".

هذا الكلام الذي ذكره المؤرخون قد يكون صحيحاً، ولكن ذلك حصل بعد أن استقر هولاكو في بغداد، ومع ذلك فإنه بالرغم من الحرية الدينية التي أوردوها إلا أن الطوائف المسيحية كان لها النصيب الأكبر من اهتمام هولاكو، ويناقض الشبيبي نفسه حيث يقول: ومما ينكر على نهجه الديني أنه غير مسلم وأعماله ليست مصروفة لخير الجماعة وصلاحها وقد نفرته الأمم الإسلامية جمعاء من جراء هجومه على بغداد ونكايته بالخلفاء والقضاء عليهم وسفكه الدماء الوفيرة و سيطرته على هذه البلاد وجعلها منقادة له"[٥]" .

١- جعفر حسين خصباك :العراق ،ص١٨٦-١٨٧.

2- Phillips:the Mongols, op-cite, p 119.

٣- عباس العزاوي : تاريخ العراق ،ص٢٥٠.

٤- محمد رضا الشبيبي :مؤرخ العراق ابن الفوطي، مطبعة المجمع العلمي، القاهرة , ١٩٥٨م،ص٢٥٢.

٥- محمد رضا الشبيبي :مؤرخ العراق ،ص٢٥٥.

السفارات بين المغول والصليبيين في عهد هولاكو:

بدأ هولاكو يتصل باللاتين بعد هزيمة قواته في موقعة عين جالوت وبعد دخوله في صراع مسلح مع مغول القبيلة الذهبية في عام ٦٥٩هـ/١٢٦١م وذلك لأنه كان بحاجة ماسة للتحالف معهم"[١]،ويروى أنه في سنة٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م عندما كانت القوات المغولية بقيادة هولاكو ماتزال في بلاد الشام أرسل بطريرك الفرنجة في عكا سفارة إلى هولاكو لمعرفة مقاصده نحو فرنجة الساحل الشامي ورأس السفارة راهب انكليزي دومنكاني اسمه داود الأشبي وحدث الراهب داود هولاكو عن العقيدة الكاثوليكية وعن عظمة ملوك الفرنجة وقوتهم وقد احتفظ هولاكو بهذا الراهب لديه"[٢]،حيث احتجزه في تبريز لاستخدامه في بلاطه فاستغل وجوده في إيران ومارس التبشير"[٣]، وفي سنة٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م بعث هولاكو سفارة من عنده تحمل رسائل إلى البابا وإلى ملوك الفرنجة لكن ملك صقلية اعتقل الرسل لما كان من اتفاق بينه وبين بيبرس ولعداوته لملوك الفرنجة المتوجه إليهم، ومع ذلك هرب واحد من أعضاء السفارة واسمه جون الهنغاري وتمكن من الوصول إلى البابا أوربان الرابع٦٦٠هـ - ٦٦٣هـ/ ١٢٦١-١٢٦٤م فحدثه بخبر السفارة وبما حملته فقد أراد هولاكو التعاون مع الفرنجة في حملة مقبلة له على البلاد الشامية والإفادة من الإمكانات البحرية الفرنجية"[٤]،والواضح أن هولاكو كرر فيها توجهات المغول بالسيادة العالمية وأن على كل شخص بمن فيهم البابا وملك فرنسا الخضوع لإمرة المغول"[٥]، وفي محاولة من الإيلخان المغولي لاستمالة الملك الفرنسي لقبول اقتراحه فإنه يذكر له حبه للمسيحيين في إيلخانيته وإعفائه للكنائس ورجال الدين من الضرائب وأنه قد أمر أن مدينة بيت المقدس بعد استردادها

١- عادل إسماعيل محمد هلال :العلاقات بين المغول ،ص١٠٦،محمد سهيل طقوش : تاريخ المغول،ص٢٠٠.

٢- سهيل زكار:الموسوعة الشامية،ص٢٩-٣٠.

٣- محمد سهيل طقوش : تاريخ المغول العظام ،ص٢٠٠.

٤- سهيل زكار :الموسوعة الشامية ،ص٣٠،عادل هلال :العلاقات،ص١٠٧ ،محمد سهيل طقوش :تاريخ المغول العظام ،ص٢٠١.

٥- محمد سهيل طقوش :المرجع نفسه ،ص٢٠١.

من المسلمين سوف تعطي للبابوية عن طريق جون الهنغاري حامل هــذه الرســالة"[1]"وفــي عام٦٦هــ/ ١٢٦٢م كتب البابا أوربان الرابع إلى هولاكو وحثه على الدخول بالمسيحية وأن تعميده سيكسبه النجاة بالآخرة وسيفيده في الدنيا بالحصول على مساعدة الجيــوش المســيحية ضد المسلمين، ولم يستجب هولاكو لدعوة التعميد ومات بوذياً سنة ٦٦٣هــ/١٢٦٥م ثم إنه لم يستطع الكرة على بلاد الشام"[2]".

وفاة هولاكو:

ذكرت بعض المصادر أن هولاكو أسلم قبل وفاته بشهرين على يد بعض رجــال الطريقــة الصوفية ومنهم أبو يعقوب ومحمد خواجا دربندي فحضروا عند هولاكو ودخلوا النار وشربوا السموم والنحاس المذاب فلما عاين هولاكو رجع عن الكفر والزندقة وخاف من الأولياء وعظم الملة الإسلامية وأهلها"[3]".

إن إسلام هولاكو قبل وفاته بشهرين ليس بأمر ذي أهمية وخاصة أن هذا الأمر قد حــدث في أواخر حياة هولاكو، وكما هو معروف في المصادر أن هولاكــو مــات بعلــة الصــرع بمراغة"[4]"،وهذا يعني أنه كان غير محاسب على أعماله وأفعاله وإن صحت هذه الرواية فإنها لن تمحو لهولاكو الجرائم التي ارتكبها بحق الإسلام والمسلمين، وهناك العديد من الروايــات التي تؤكد بأن هولاكو لم يدن بدين وإنه مات على دينه "[5]"، وأياً كان الأمر فإن إسلام هولاكو

١- عادل هلال :العلاقات ،ص١٠٨.

٢- عادل هلال:المرجع نفسه ،ص١٠٩.

٣- القرماني :أخبار الدول ،ص٤٩٤،صبري سليم :الصراع السياسي ،ص٢٧٨،محمد عبد الغنــي أشــقر :اعتنــاق هولاكو إيلخان التتار الإسلام،المجلة التاريخية المصرية ،٢٠٠٢م،مج٤١ ،ص١٩.

٤- ابن تغري بردي:النجوم ،ج٧ص٢٢٠،الديار بكري : تاريخ الخميس ،ص٣٧٩.

٥- ابن كثير :البداية ،ج٩،ص١٢٦،ابن تغري بردي :النجوم ،ج٧،ص٢٢٠ ،الديار بكري : تاريخ الخميس ،ص٣٧٩.

لم يكن أكثر من مجرد محاولة أريد بها التخفيف من آثار الجرائم التي ارتكبها المغول في بلاد المسلمين"[1]".

أباقا خان وموقفه من المعتقدات الدينية:

بعد وفاة هولاكو سنة٦٦٣هـ/١٢٦٥م ملك بعده ابنه أباقا"[2]"،وهو الثاني من ملوك هذا البيت"[3]"،وقد ولد في منغوليا في جمادى الأولى سنة ٦٣١هـ/١٢٣٤م وتوفي سنة ٦٨٠هـ/١٢٨٢م"[4]"،وعندما توفي هولاكو كان أباقا في مشتى مازندران"[5]"، وقد أرسل الأمراء رسولا لاستدعائه وبعد وصوله اجتمع الخواتين والأمراء على اختياره بدلاً من أبيه فكان أباقا يرفض ذلك ويحيل الأمر إلى إخوته الآخرين ولكن الإخوة ركعوا أمامه قائلين (إننا عبيدك ونعدك قائم مقام أبينا) فأجاب إن السيد هو قوبيلاي قاآن فكيف يتسنى الجلوس دون أمره، فقال له الأمراء إنك سيد لكافة الأنجال وتعرف جيداً الرسوم والقوانين والأحكام القديمة والحديثة وقد اختارك هولاكو في حياته ولياً للعهد فكيف يجلس غيرك على العرش، وبعد ذلك وصله مرسوم من قوبيلاي قاآن بتوليته"[6]"، وكان من أوائل أعماله أن قام بنقل العاصمة من مراغة"[7]" التي كانت حاضرة هولاكو إلى تبريز التي ظلت محتفظة بمكانتها حتى نهاية أسرة

١- صبري سليم :الصراع السياسي ،ص٢٧٨.

٢ - القلقشندي : صبح الأعشى ،ج٤ ،ص٤٢٠.

٣- النويري : نهاية الأرب ،ص٣٩٥.

٤- رشيد الدين الهمداني : جامع التواريخ ،مج٢،ج٢، ،تاريخ أبناء هولاكو الإيلخانيون من آباقا خان إلى كيخاتو،ت محمد صادق نشأت وفؤاد الصياد ، الجمهورية العربية المتحدة ،١٩٦٠،ص٣،محمد ثابت الفندي ،أحمد الشنتاوي وآخرون :دائرة المعارف الإسلامية ،١٩٣٣م،مج١،ص١٤.

٥- مازندران :اسم لولاية طبرستان.(ياقوت الحموي:معجم البلدان،ج٥،ص٤١).

٦- رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ،مج٢،ج٢،ص١٠-١١.

٧ - مراغة :بلدة مشهورة عظيمة من أشهر بلاد أذربيجان طولها ثلاث سبعون درجة وثلث وعرضها سبع وثلاثون درجة وثلث قالوا كانت المراغة تدعى افرازهروذ فعسكر مروان بن محمد بن الحكم وهو إلى أرمينية وأذربيجان منصرف من غزو موقان وجيلان بالقرب منها وكان فيها سرجين كثيرة وكانت دوابه ودواب أصحابه تتمرغ فيها فقال ابنوا قرية المراغة فحذفوا القرية بقيت المراغة.(ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج٥،ص٩٣).

هولاكو"[1]، وكان أباقا يقضي شتاءه في إيران وبغداد وعلى ضفاف جغاتو وصيفه في آلاتاغ"[2] وسياه كوه"[3] أو الجبل الأسود"[4]، ومن الجدير بالذكر أنه عندما جاءت الفرمانات من عند قوبيلاي لتنصيب أباقا خان كان قد طلب منه قوبيلاي (أن تبقى نافذة مستمرة الأحكام والقوانين التي وضعها هولاكو خان والفرمانات التي أصدرها في كل شأن وأن تصان من شوائب التغيير والتبديل وألا يطغى الأقوياء على الضعفاء وألا يظلموهم وأن تحافظ جميع الطوائف على رسوم آبائها وأجدادها)"[5]".

وفي هذا دلالة على التأكيد بأن المغول كانوا يصرون على عدم التدخل في عقائد الشعوب التي حكموها لأن تدخلهم قد يؤدي إلى حدوث الكثير من المشاكل التي هم في غنىً عنها والتي قد تؤدي إلى زعزعة حكمهم في تلك البلاد فالمغول كان يهمهم التبعية السياسية من قبل الشعوب المحكومة ولا تهمهم التبعية الدينية لذلك كانوا يمنحون الحرية الدينية لتلك الشعوب، ولأنهم أيضاً لم يكونوا أصحاب ديانة حتى يقومون بفرضها على الناس.

وبعد أن تقلد أباقا منصبه قام بتنظيم مصالح البلاد وتوزيع المناصب على أتباعه؛ فعين أخاه

١- السيد الباز العريني:المغول،ص٢٧٦،عباس إقبال : تاريخ إيران،ص٤٤٤.

٢- آلاتاغ :مدينة تقع في شمال أذربيجان وجنوبي القوقاز وشرقي أرمينيا الحالية بها مراع كثيرة جيدة ومياه غزيرة وأماكن عديدة للصيد ولهذا اختارهم المغول الإيلخانيون مصيفاً لهم .(محمد سهيل طقوش :تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ،ط٢،دار النفائس ،بيروت ،١٩٩٩م،ص١٩٤).

٣- سياه كوه:وهي كلمة فارسية معناها الجبل الأسود جزيرة في بحر الخزر وهو بحر جرجان وهي جزيرة كبيرة بها عيون وأشجار وغياض ومياه عذبة وسياه كوه جبل طويل بين الري وأصفهان يمتد حتى يتصل ببلاد الجبل وهو جبل وعر يأوي إليه اللصوص بين الري وأصفهان.(ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج٣ ،ص٢٩٢).

٤- عباس إقبال : تاريخ إيران،ص٤٤٤-٤٤٥.

٥- رشيد الدين الهمداني : جامع التواريخ،مج٢،ج٢،ص١١.

الصغير يشموت لحكم دربند"[١]" وشروان"[٢]" وصحراء موغان الاتاغ، وجعل رئاسة جيش المغول في الروم وحدود الشام لاثنين من قواده، وترك فارس وبغداد إلى سونجاق، وأبقى علاء الدين عطا ملك الجو يني على حكم بغداد، وكانت وزارة أباقا من نصيب شمس الدين محمد الجويني صاحب الديوان، أما خراسان فقد فوضت إلى اثنين من الأمراء المحليين، وكرمان"[٣]" إلى تركان خاتون، وفارس إلى الملكة آبش خاتون، وهراة وكرجستان إلى الملك شمس الدين كرت، أما الأمراء الأيوبيون فكانوا يديرون مناطق الجزيرة"[٤]".

ديانة أباقا:

ذكر ابن تغري بردي أن أباقا كان على مذهب التتار واعتقادهم"[٥]"، وربما يكون قد قصد من ذلك أنه كان بوذياً، ويؤكد ذلك عدد من الباحثين أن أباقا كان بوذياً وكان يشجع على انتشار هذا الدين بين أمراء بلاطه وبين شعبه بصورة عامة، وقيل إنه شيد عددا كبيراً من المعابد البوذية في عدد كبير جداً من المدن الإيرانية وحتى في بعض القرى وقد كان وضع الديانة البوذية في أقاليم الإيلخانات محاطاً بالعزلة التامة حيث لم يكن هناك أمل بفرضها على

١- دربند :وهي باب الأبواب وهي مدينة ربما أصاب ماء البحر حائطها وهي على بحر طبرستان وهو بحر الخزر وهي مدينة أكبر من أردبيل ومحكمة البناء من بناء أنو شروان وهي أحد الثغور الجليلة العظيمة لأنها كثيرة الأعداء.(ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج١،ص٣٠٣).

٢- شروان :مدينة من نواحي باب الأبواب الذي تسميه الفرس الدربند بناها أنوشروان فسميت باسمه ثم خففت بإسقاط شطر اسمه وبين شروان وباب الأبواب مائة فرسخ خرج منها جماعة من العلماء ويقولون بالقرب منها صخرة موسى عليه السلام التي نسي عليها الحوت(ياقوت الحموي : المصدر نفسه ،ج٣ ،ص٣٣٩).

٣- كرمان: في الإقليم الرابع طولها تسعون درجة وعرضها ثلاثون درجة وهي بلاد مشهورة ذات مدن وقرى شقيها أرض مكران ومفازة مابين مكران والبحر من وراء البلوص وغربيها أرض فارس وشماليها مفازة خراسان وسجستان وجنوبيها بحر فارس ولهل في حد السيرجان دخلة في حد فارس مثل الكم وفيما يلي البحر تقويس قريب .(ياقوت الحموي :االمصدر نفسه ،ج٢،ص٤٥٤،ابن حوقل : صورة الأرض ،ص٢٦٦).

٤- رشيد الدين الهمداني :جامع التواريخ،ج٢،ص١٢-١٣،عباس إقبال :تاريخ إيران ،ص٤٤٣-٤٤٤،فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص٣٦-٣٧،محمد سهيل طقوش : تاريخ المغول ،ص٢٠٣.

٥- جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي :المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي دار الكتب المصرية ،القاهرة ،١٩٥٦م،ج١،ص١٨٥.

جماهير الشعب"[١]"، والذي يدلل أيضاً على أن أباقا كان بوذياً هو ماذكره رشيد الدين حيث قال إنه عندما تلي فرمان بتعيين مجد الملك اليزدي ٦٧٩هـ/١٢٨٠كان أباقا خان مع جميع الخواتين والأمراء وأركان الدولة وأعيان الحضرة في معبد الأصنام في مراغة"[٢]"، هذا الكلام يدلل دلالة كبيرة على أن أباقا لم يكن مسيحياً وإنما كان بوذياً كما يدلل على وجود معابد للأصنام في مراغة أي أن أباقا شجع على بناء معابد للأصنام ، وأيضاً مما يدلل على بوذيته أنه حرص أن يكون كهنة البوذيين ملازمين لحفيده غازان ومعلمين له فرسخت هذه الديانة في ذهنه وخصوصاً أن هذا المذهب كان عقيدة آبائه و أجداده وكانوا جد حريصين على تعاليمه"[٣]".

ويذكر أحد الباحثين الغربيين أنهم كانوا على الديانة الشامانية حيث ذكر بأنه رغم وجود الديانة الشامانية فإن المذاهب الأخرى المفضلة كانت النسطورية واليعقوبية"[٤]"، إن الكلام الذي ذكره هذا الباحث عن وجود الديانة الشامانية قد يكون كلاماً غير دقيق لأن أكثر المغول بعد جنكيز خان قد تحولوا عن الديانة الشامانية إلى الديانة البوذية وقد ذكرنا بأن هولاكو كان بوذياً فمن الحري بأباقا أن يكون بوذياً أيضاً فلا وجود للديانة الشامانية في عهد أباقا، أما عن تفضيلهم للمسيحية فهذا الكلام صحيح وسوف نلاحظ ذلك عند الحديث عن موقف أباقا من المسيحيين

١- برتولد شبولر :العالم الإسلامي ،ص٦٥-٦٦،السيد الباز العريني :المغول ،ص٢٧٦،عبد السلام عبد العزيز فهمي :انتشار الإسلام ،ص١٥٤،صبري سليم :الصراع السياسي ،ص٣٠٨،

pillips:The Mongols ,p 122.

٢- رشيد الدين الهمداني :جامع التواريخ،مج٢،ج٢،ص٨٠.

٣- فؤاد الصياد : السلطان محمود غازان خان المغول واعتناقه الاسلام ,ط١، مكتبة الانجلوالمصرية , ١٩٧٩م،ص٤.

4-David morgan: Medieval Persia 1040-1797,New Yourk, Longman Group, 1988, p65.

فقد كانت هذه الفترة العصر الذهبي الأخير بالنسبة لليعاقبة والنساطرة حيث تجددت فيها كنائسهم وانتشرت بعثاتهم التبشيرية"[١]".

أباقا وموقفه من المعتقدات الدينية:

موقفه من المسيحيين:تعاطف أباقا مع المسيحيين وتعامل معهم تقريباً بنفس المعاملةالتي عوملوا بها في عهد والده هولاكو حيث أعطى امتيازات كثيرة للمسيحيين مما أعطاهم القوة"[٢]" كما كانت سياسته تقوم على التسامح الديني لمختلف الطوائف، فقد تمتعت جميع الأديان بالحرية التامة وقد أعفي جميع رجال الدين من كافة الملل والنحل من الضرائب ماعدا رجال الدين اليهود الذين كانوا يدفعون الضرائب بصورة خاصة في جميع أجزاء آسيا الوسطى والغربية، وقد كان يرى هذا التسامح ذريعة ووسيلة ضرورية لإدارة السياسة الداخلية في البلاد"[٣]"،ومن الأسباب التي دفعته إلى زيادة عطفه على المسيحيين وتفضيلهم على غيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى هو زواجه من ابنة الإمبراطور البيزنطي ميخائيل باليوجوس والتي تم إرسالها كعروس لهولاكو"[٤]"، و كان هولاكو قد خطبها لنفسه فلما أخذها الرسل وخرجوا بها بها وصلهم نبأ وفاة هولاكو ولم تتمكن من الرجوع إلى بلادها"[٥]"، فتزوجت من أباقا وعرفت باسم ديسبينا"[٦]"، والمعروف أن أباقا اغتسل غسل التعميد واعتنق المسيحية من أجلها"[٧]"،وقد احتفظت بعقيدتها الأرثوذكسية في تبريز"[٨]"،وكان لها دائماً كنيسة متنقلة أحضرتها معها من موطنها وبعد أن استقرت في إيران أمرت بإحضار النقاشين من القسطنطينية إلى مدينة تبريز

١- برتولد شبولر :العالم الإسلامي،ص٦٦.

٢- حبيب الله شاملوئي:تاريخ إيران ازمادتا بهلوى،ص٥٠٠.

٣- بارتولد : تركستان ،ص٦٦.

5-Sir Percy Sykes :A History Of Persia, , p99

حبيب الله شاملوئي:تاريخ إيران،ص٥٠٠.

٥- ابن العبري : تاريخ مختصر،ص٤٩٧،ابن العبري :تاريخ الزمان ،ص٣٢٤.

6-Sir Percy Sykes:Ahistory op- cit, p99

٧ – إدوارد براون :تاريخ الأدب في إيران "من السعدي إلى الجامى"،تر : محمد علاء الدين منصور ، القاهرة،٢٠٠٥م، ،ج٣ ،ص٣٣.

٨- برتولد شبولر :العالم الإسلامي،ص٦٥.

لتزيين كنيستها"[1]، وقد نتج عن هذه الزيجة ازدياد نفوذ المسيحيين عامة والأرمن منهم خاصة فسعوا للإيقاع بالمسلمين"[2]، وقد ذكر بعض المؤرخين المحدثين أن من الأسباب التي دفعت أباقا إلى عطفه على المسيحيين، هو أن أمه دوقوز خاتون كانت نصرانية وهي التي رشحت ابنها أباقا لخلافة هولاكو"[3]،وقد يكون لدوقوز خاتون تأثير على أباقا في زيادة تعاطفه مع المسيحيين وفي إيصاله إلى الكرسي الإيلخاني لكنها لم تكن والدته حيث ذكر رشيد الدين الهمذاني أن والدته تسمى بيسونجين خاتون"[4]،وعندما توفيت دوقوز خاتون زوجة هولاكو المسيحية خسر المسيحيون بوفاتها أهم صديق لهم، لكن الأميرة ديسبيناالبيزنطية زوجة أباقا تولت رعايتهم وحمايتهم فعوضت ماخسروه، وقد لقي نصارى العراق تسامحاً شديداً من قبل أباقا حيث قام أباقا بتولية دنحا مطران أربيل أمر النساطرة وذلك سنة ٦٧٤هـ/١٢٦٥م وقد استمر في منصبه مدة ١٦سنة وثلاثة أشهر ومات سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م"[5]،وقد أفاض عليه أباقا بالخلع السنية والفرمانات، ومن خلال ذلك نعرف مدى المجاملة والمحاسنة التي حظي بها فقد وهبه وساماً رفيعاً ومظلة لا ترفع إلا على رؤوس الأمراء وقد حضر حفل تنصيبه وأسكنه دار الخليفة"[6]، وبعد وفاته اختار الآباء بعده يابالاها الثالث وأصله من مدينة كوشنك من أعمال بكين عاصمة الصين، وقد ذهب إلى أباقا في أذربيجان ففرح به وخلع عليه ثم انحدر إلى بغداد فاستقبل في غاية الإكرام والتبجيل ومضى إلى المدائن حيث نصب بطريقاً للشرق وقد ظل في منصبه مدة سبع وثلاثين سنة وتوفي في رمضان سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م"[7]" بالإضافة إلى ذلك فإن أباقا قام بتعيين المسيحيين في المناصب إلى جانب المسلمين حيث ولى على الموصل رجلاً نصرانياً اسمه مسعود وهو من قرى إربل ورتب معه شحنة من المغول

١- فؤاد الصياد :الشرق ،ص٥٥.
٢-عبد السلام عبد العزيز فهمي :تاريخ الدولة المغولية ،ص١٥٤.
٣-حسن الأمين :المغول،ص٢١٥،عبد السلام عبد العزيز فهمي : تاريخ الدولة المغولية،ص١٥٤.
٤-جامع التواريخ،ج٢،ص٥.
٥-جعفر حسين خصباك :العراق ،ص١٨٧.
٦- حسن الأمين :المغول ،ص١٩٣.
٧- جعفر حسين خصباك :العراق ،ص١٨٧.

اسمه أشموط، بينما عزل رضي الدين البابا عن هذا المنصب"[1]"،كما كان القادة المغول يقفون إلى جانب المسيحيين عند نشوب أي نزاع بينهم وبين المسلمين ففي سنة ٦٧٣هـــ /١٢٧٤م قبض الجاثليق على نصراني أحب امرأة مسلمة من الموصل ولما افتضح أمره أعلن إسلامه فاعتقله الجاثليق، ولما علم الناس بذلك هاجوا وقاموا بمحاصرة الجاثليق وإحراق داره فاستنجد ذلك الجاثليق بالقائد المغولي الذي قام بإسكات الفتنة بعد أن حبس جماعة من النـاس وقتـل بعضهم فسكنت الفتنة"[2]"،وقد أضاف أحد المؤرخين المحدثين بأن الناس هددوا القائـد فخـاف منهم وأطلق الراهب المذكور فأخذه المسلمون وطافوا به في المدينة مسرورين وعم النصارى غم شديد"[3]"،لكن ابن الفوطي ذكر بأن الراهب توجه إلى المقر المغولي ثم عاد بعد ذلك إلـى إربل وبنى بقلعتها بيعة ثم قدم بغداد وأقام بها إلى أن مات"[4]"،ونعتقدأن رواية المـؤرخ ابـن الفوطي هي الأصح لأنه كان معاصراً للأحداث،وعلى الرغم من إظهار أباقا الميـل الشـديد للمسيحيين إلا أن بيبرس استطاع أن يجر أباقا إلى عمل متسرع عجز فيه عن إخفاء موقفـه السياسي من المسيحيين،إذ لما أراد بيبرس أن يتخلص من أسقف الجزيرة حنا يشوع بسـبب ماعرف عن مصادقته للمغول فقد اصطنع رسالة إلى هذا الأسقف تضـمنت بـأن محبتـك وتوصيتك على النصارى الذين في بلادنا ولأجلك قد أكرمناهم وعرفنا أخبار المغول الباطنـة التي أشرت إليها وقد ذكر في الكتاب أمور موهمة لا أصل لها وهي أن الذي التمسـته لمـن أشرت له قد أجبنا إليه وتسليم الأمكنة التي عينت على عمارتها لمن ذكرته وقد حلفنـا علـى تسلميها إلى غير ذلك من الأمور التي تثبت مراسلة الجاثليق للمماليك، وقد قصد تدبير كشف أمر هذه الرسالة فلما علم أباقا بذلك أمر بقتل الجاثليق"[5]"،أما المسلمون فقد ناصبهم الإيلخانيون في عهد أباقا العداء خاصة أهل السنة والجماعة الذين كان العباسيون والمماليك مـنهم وفـي

١- ابن الفوطي :الحوادث الجامعة ،ص٣٦١.

٢- ابن الفوطي :المصدر نفسه ،ص٢٥٤.

٣- جعفر حسين خصباك :العراق ،ص١٩١.

٤- ابن الفوطي :الحوادث الجامعة ،ص٣٥٤.

٥- ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات،تح:قسطنطين زريق،المطبعة الأمريكانية،بيروت،١٩٤٢م،ج٧، ،ص٤،صبري سليم الصراع السياسي ،ص٣١٠.

مقابل ذلك نجد المغول يتسامحون مع الشيعة وكان لهذا التسامح آثار واضحة تظهر لنا مركز الشيعة الاجتماعي ونشاطهم في نشر المذهب الشيعي والسماح لهم بالاشتراك في حكم الدولة"[١]".

موقف أباقا من الأسرة الجوينية:

كما سبق وذكرنا أن أباقا خان قلد الصاحب السعيد شمس الدين محمد الجويني منصب الوزارة، والصاحب علاء الدين عطا ملك نائب عن الأمير سونجاق آقا في بغداد"[٢]"، وقد أحاط أباقا الوزير شمس الدين محمد الجويني بمزيد من العناية والرعاية وترك له الانفراد بتدبير أمور الوزارة برأيه الصائب وفكره المستنير"[٣]"، وشرع يباشر مهام منصبه في تبريز التي اتخذها هذا الإيلخان عاصمة له، فبلغت في عهده وفي ظل وزارة الصاحب درجة كبيرة من التقدم والازدهار ولا سيما أنها سلمت إلى حد ما من غارات المغول ولم تتعرض لما تعرضت له بقية البلاد في إيران وما وراء النهر من التدمير والتخريب"[٤]"،وكان علاء الدين عطا ملك قد عمر بغداد في فترة قصيرة من الزمن إذ كانت قد خربت بعد قتل المستعصم، وكان الناس في أيامه كأيام الخلفاء، وأهل بغداد عاكفون على محبته وكانت سيرته من أحسن السير وأعدلها بالرعية، وكان أخوه الصاحب شمس الدين من صدور الإسلام إماماً فقيهاً في المذهب الشافعي، وكان عطا ملك فقيهاً حنفياً"[٥]"، أي أن الأخوين كانا من أهل السنة والجماعة ومع ذلك تقلدوا المناصب الهامة في الدولة، وهذا لا يعني أن أباقا كان متعاطفاً مع المسلمين ويفضلهم على غيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى ولكن الذي دفعه إلى تعيينهم في المناصب الهامة هو ماأثبتوه من جدارة في تسيير شؤون الدولة وإعمارها في كافة المجالات.

١- عبد السلام عبد العزيز فهمي :تاريخ الدولة المغولية ،ص١٥٤.

٢- رشيد الدين الهمداني :جامع التواريخ ،ج٢،ص١٢.

٣- غياث الدين خواندمير :دستور الوزراء،تر:حربي أمين سليمان ،تقديم :فؤاد عبد المعطي الصياد،الهيئة المصرية للكتاب ،القاهرة ،١٩٨٠،ص٣٣٧.

٤- فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي،ص٣٦.

٥- اليونيني :ذيل مرآة الزمان،ج٤،١٩٦٠م،ص٢٢٤-٢٢٥.

وقد كان عطا ملك حريصاً على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فقد مدحه أحد الشعراء بقصيدة أحسن نظمها وأكثر فيها المعاني والجناس اللفظي ثم شرع يمدح قصيدته ويقول لم يمدح في هذه الملة الإسلامية أحد بمثلها ثم قال أليس هذا أحسن من قل (ياأيها الكافرون)"[1]،فلما سمع بذلك أمر بعض غلمانه بقتله فقتل وقال :ما لكل مبتدع عندي إلا قتله وكان ذلك في زمن هولاكو"[2]، هذا الكلام يدل على اهتمام علاء الدين بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وقتل كل من يخالف أمر الدين الحنيف، لكن ماكان يتمتع به عطا ملك وأخوه شمس الدين من نفوذ وجاه سرعان ما أثار عليهما طائفة من الحاسدين الحاقدين الذين يريدون أن يبعدوهم عن طريقهم وكان المؤرخ عطا ملك أكثر تعرضاً لهذه المؤامرات من أخيه ،لقد ظل يحكم بغداد مايقرب من ٢٤سنة قضى منها في عهد هولاكو ست سنوات من سنة ٦٥٧/٦٦٣هـ/١٢٥٨-١٢٦٤م وما يقرب من ١٧سنة قضاها كلها في عهد أباقا خان من سنة ٦٦٣/٦٨٠هـ /١٢٦٤-١٢٨١م ومايقرب من سنة واحدة قضاها في أوائل سلطنة تكودار المعروف بالسلطان أحمد من سنة ٦٨٠/٦٨١هـ /١٢٨١-١٢٨٢م"[3].

ومن بين هذه المؤامرات مادبره شحنة بغداد قرابوغا ونائبه إسحق الأرمني حيث إنهما اتفقا مع رجل أعرابي وعلماه أن يقول أن علاء الدين استدعاه من البادية بحيث يكون له دليلاً عندما يريد أن يأخذ ماله وأولاده ويمشي إلى الشام"[4]، أي أن هذه التهمة توحي لأباقا أن عطا ملك أراد الهرب إلى الشام حيث المماليك الذين كانوا على عداء شديد مع المغول، أي أن هذه التهمة تعني خيانة عطا ملك المغول، بالإضافة إلى ذلك قاما بمحاصرة دار صاحب الديوان واصطحباه مع الأعرابي إلى بلاط أباقا خان وعندما ضرب البدوي واستُنطِق أقر أن

١- سورة الكافرون:آية١
٢- اليونيني: ذيل مرآة الزمان ،ج٤،ص٢٢٦.
٣- فؤاد الصياد:الشرق ،ص٣٧-٣٨.
٤- ابن العبري : تاريخ مختصر،ص٤٩٧ .

إسـحق الأرمني علمه ذلك فقتل البدوي وإسحق"[1]"، وبذلك نجا عطا ملك مـن أول مـؤامرة كادت أن تودي بحياته وذلك لأن المغول كانوا يكرهون المماليك كراهية شديدة بسبب ماكـان بينهم من الحروب والمشاكل السياسية، وتهمة التحالف مع المماليك تعتبر من أشـنع أنـواع الخيانات التي قد يرمى بها شخص ما.

كذلك دبرت مؤامرة أخرى ضد عطا ملك وكان الذي حاك خيوطها هذه المرة نقيب النقباء تاج الدين علي بن محمد بن رمضان الحسني العلوي المعروف بابن الطقطقي الذي كان مـن أثرياء بغداد، وكان يؤجر بعض أملاكه للديوان، فقد كتب رسالة إلى أباقا يرجوه عزل عطـا ملك عن حكومة بغداد فسقط الكتاب بيد شمس الدين الجويني الوزير فأعاده إلى أخيـه عطـا ملك فما كان من عطا ملك إلا أن أعد رجالاً ليقتلوه ورجالاً يقتلون الذين قتلوه وبقتله استولى على أملاكه مما ولّد العداء بينه وبين مؤلف كتاب الفخري"[2]".

بالإضافة إلى هاتين المؤامرتين كانت هناك مؤامرة مجد الملك اليزدي ضد الأسرة الجوينيـة وكان أبوه يدعى صفي الملك وكان يقوم بالخدمة عند أتابكة يزد وقد ظل مجد الملك ملازمـاً للخواجة بهاء الدين بن الخواجة شمس الدين صاحب الديوان ومن هناك اتصل بخدمة الخواجة شمس الدين"[3]"،وقد عهد عليه الصاحب ببعض أعمال الديوان وقام مجد الملك بتسـيير تلـك الأعمال على مايرام، وفي النهاية لاحظ الصاحب في تصرفاته علامات النفـاق وزاد عليهـا سعايات الحساد فتغير عليه الوزير ولم يصفح عنه رغم توسط الشفعاء ولم يحظ مجد الملـك بعد ذلك برعاية الصاحب"[4]".

١- ابن العبري :تاريخ مختصر ،٤٩٧-٤٩٨،فؤاد الصياد :الشرق ،ص٣٨،محمد السعيد جمال الـدين :عطـا ملـك الجويني(حاكم العراق)،ط١،١٩٨٢م،ص١٨-١٩.

٢- الجويني :تاريخ فاتح العالم ،ص٣٥،فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص٣٩،محمد السعيد جمال الدين :عطا ملـك الجويني،ص٢٠-٢١،إيمان ذكي:الأسرة الجوينية،ص٤٨.

٣-رشيد الدين :جامع التواريخ ،ج٢،ص٧٤،إيمان محمد ذكي :الأسرة الجوينية،ص٤٤.

٤-خواندمير :دستور الوزراء ،ص٣٤١.

هذا الأمر دفع مجد الملك إلى محاولة التخلص من الأسرة الجوينية وتدبير المؤامرات والدسائس والمكائد من أجل الإيقاع بهم وقد واتته هذه الفرصة وذلك عن طريق مجد الدين ابن الأثير الذي كان نائباً للصاحب السعيد الخواجة علاء الدين فكان خلال حديثه يتحدث عن شوكة جنود مصر وعظمتهم وكثرة استعدادهم وعدتهم، فتشبث مجد الملك بذلك الحديث واتخذ منه ذريعة للإيقاع بالخواجة شمس الدين الذي نقله بدوره إلى أحد قواد أباقا خان الذي نقله أيضاً إلى حضرة أباقا خان فصدر الأمر باعتقال مجد الدين ابن الأثير والتحقيق معه بخصوص هذا الحديث، وقد ضربوه مائة عصا أثناء مقاضاته ولكن لم تثبت إدانته، ثم سلموه لصاحب الديوان فصفح عما صدر من مجد الملك"[1]، ولم يتوقف مجد الملك عند ذلك الحد بل سعى مرة أخرى للإيقاع بالجوينيين وبدأ يفكر في أعمال المكر والخديعة ويقيم الصلات مع أعداء الصاحب إلى أن جاء الأمير أرغون لمقابلة والده وقد تمكن مجد الملك من مقابلة أرغون خان وقال له :إن الأموال الكثيرة التي ترد للخزانة العامرة من مختلف أرجاء المعمورة إنما هي من عائدات الأملاك الخاصة بنواب صاحب الديوان التي اشتراها بطريق الخيانة بأموال السلطان، وأيضاً فإنه يسلك طريق المحبة مع سلاطين مصر والشام إلى غير ذلك من المؤامرات التي تصور شقيق عطا ملك بأنه ملك بغداد والعراق العربي، وقد أصغى الأمير أرغون لهذه الأمور بعين الرضا ونقلها إلى أبيه، وارتفع شأن مجد الملك عند أباقا خان"[2"،وقد استطاع مجد الملك فيما بعد أن يحظى بمقابلة أباقا خان وعرض عليه كل ما سبق أن ذكره للأمير النجل أرغون وزاد عليه فغضب أباقا خان على صاحب الديوان وأرسل إلى كافة البلاد ليلقوا القبض على نوابه ويحضرونهم مع سجلاتهم ليجري تحقيق دقيق في حضرة السلطان، فاستنجد صاحب الديوان بـ"أولجاي خاتون" وكتب وثيقة قال فيها إن كل الأملاك التي اشتراها إنما حق وملك للملك فعرضت الخاتون حاله على السلطان وتشفعت له حتى

١- رشيد الدين الهمذاني :جامع التواريخ،مج٢،ج٢، ص٧٧،خواندمير :دستور الوزراء،ص٣٤٢،فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي،ص ١٠٧،محمد السعيد جمال الدين: عطاملك الجويني،ص٢٣.

٢- خواندمير : دستور الوزراء،ص٣٤٢-٣٤٣.

استدرت عطف أباقا عليه وأنقذته من تلك الورطة فصدرت المراسيم بعودة الرسل وعدم التعرض لنواب صاحب الديوان"[١]".

في هذا الحديث دلالة كبيرة على مكانة المرأة المغولية وكيف أنها كانت تتمتع بالحرية وأن كلمتها كانت مسموعة لدى الإيلخانات لحد أنها تمكنت من الشفاعة لصاحب الديوان، كما إنها تدل على أن الجوينيين كانوا محبوبين من قبل المغول، ولشدة حب هذه الأسرة توسطت المرأة الحاكمة لأحد أفرادها وهو صاحب الديوان محاولة في ذلك إنقاذه من تلك الورطة التي كادت أن تودي بحياته ، ولما وجد مجد الملك أن دسائسه ومكائده في حق الصاحب لم تحقق هدفها بدأ يكيد لأخيه علاء الدين عطا ملك وخدع نائبه مجد بن الأثير حتى أفضى ببعض الأقوال عن علاء الدين فأمر أباقا خان بالقبض على عطا ملك وإيداعه السجن، وقد أرسل إليه أخيه بأن يقبل كل مايقوله له الرسل ولايعترض بأي وجه من الوجوه على كلامهم وبعد مناقشة طويلة قبل علاء الدين دفع مبلغ ثلاثمائة تومان، وإضافة إلى ذلك تم إحضاره مقيداً بالسلاسل والأغلال حتى اضطروه إلى بيع كل ماكان يحتفظ به، كما اتهموه بمصاحبة حكام مصر والشام والولاء لهم، وفي ذلك الوقت كان أباقا قد سافر إلى همذان فبعث مجد الملك الذي كان في غاية الاعتبار والمكنة بعض الرسل إلى بغداد ليحضروا علاء الدين إلى معسكر السلطان، فاصطحبه الرسل مقيداً إلى همذان لكن أباقا خان توفي في ٢٠ ذي الحجة عام ٦٨٠هـ/١٢٨٢م"[٢]"، وهكذا أنقذ موت أباقا خان عطا ملك الجويني من الذل والمهانة، وتم إنقاذه من المحنة التي كادت أن تطيح بالعائلة الجوينية، وتم ذلك الإنقاذ باعتلاء أحمد تكودار العرش الإيلخاني، وسنتحدث عن مصير تلك الأسرة عند حديثنا عن أحمد تكودار.

١- رشيد الدين : جامع التواريخ ،ج٢ ،ص٧٩.

٢- خواندمير:دستور الوزراء ،ص٣٤٧.

تحالف أباقا مع مسيحيي أوروبة:

تعتبر فترة حكم أباقا خان فترة هامة في تاريخ العلاقات بين مغول فارس والغرب الأوربي وذلك لازدياد حاجة الطرفين للتعاون العسكري ضد المسلمين"[1]"، وقد اضطر أباقا خان أن ينتهج نهج والده في التقرب من النصارى فتحالف مع الأرمن في قيليقية، وشكل زواجه من ماريا البيزنطية عاملاً آخر في زيادة التقارب، وأضحى إحدى دلائل الارتباط الشديد بينه وبين البابوية و ملوك أوروبا الغربية والتعاون لصد خطر المسلمين المنطلق من مصر وبلاد الشام و آسيا الصغرى، فأجرى مباحثات مع البابوية و ملوك الغرب الأوروبي عبر البعثات المتبادلة بهدف قيام تحالف بين الطرفين موجه ضد المسلمين و استعادة بيت المقدس منهم"[2]"، ففي عام ٦٦٦هـ/١٢٦٧م وصلت إلى البابا كليمنت الرابع رسالة بالخط الأويغوري من لدن أباقا خان، فرد البابا ملتمساً إلى أباقا خان أن يكاتبه باللغة اللاتينية حتى يستطيع فهم المحتوى، كما أطلعه على الأعمال التي يقوم بها المسيحيون في سبيل مقاومة أعدائه ووعد أباقا خان بشد أزره بمساعدة السلاطين المسيحيين في أوروبا ضد المسلمين"[3]"،وقد أكد البابا كليمنت الرابع عام ٦٦٦هـ /١٢٦٧م ضرورة اعتناق المسيحية، وأعلمه أن ملوك الغرب يستعدون لقيادة جيوش لاتحصى نحو الأراضي المقدسة، وأنه سيبعث إليه بتواريخ حركة هؤلاء الملوك للعلم والاتفاق على الخطط، وكتب البابا إلى لويس التاسع يحثه على سرعة التوجه نحو الأراضي المقدسة، وفي الوقت نفسه أرسل إلى بطريرك عكا يعلمه بالاستعدادات الحربية الجارية وبضرورة تقديم العون إلى ملك أرمينيا الصغرى"[4]"، وفي ذلك الوقت قام بيبرس بتحطيم أرمينيا الصغرى وقتل ابن ملكها وأسر ابناً آخر في إطار خطة

١- عادل هلال :العلاقات بين المغول ،ص.١٠٩

٢- محمد سهيل طقوش:تاريخ المغول , ص ٢٠٤-٢٠٥

٣- فؤاد الصياد :الشرق ،ص٥٧.

٤- سهيل زكار :الموسوعة الشامية ،ص٣١

منه لتحطيم هذه المملكة أو إخراجها من صراعه مع إمارة أنطاكيـــة"[1]"، وقـد قـاد بيبـرس سنة٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م جيشاً ضخماً وحاصر أنطاكية فجأة من عدة جهات ولم يتمكن أحد من نجدتها سواء من الأرمن أو المغول أو الصليبيين وكان أميرها بوهيموند السادس في طرابلس ولم يستطع شيئاً لإنقاذ إمارته"[2]"، وخيل لأباقا أن الفرصة قد حانت وأن أوروبا الغربية لابـد وأن تتحرك بسرعة للتحالف معه ضد المماليك لهذا بادر مجدداً سنة٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م فكتب إلى البابا يبلغه أنه سيرسل أخاً له على رأس جيش جرار إلى بلاد الشام في وقت يهاجم فيـه جيش البابا المماليك من الجهة المعاكسة، ووصلت بعثة أباقا خـان هـذه إلـى رومـا سـنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م فوجدت البابا كليمنت الرابع قد مات، لهذا توجه رسل المغول إلـى لـويس التاسع ثم إلى جيمس الأول ملك أراغون فكانت المحصلات العسكرية هزيلة جـداً ذلـك لأن العواصف دمرت الأسطول الأرغواني، واتجه لويس التاسع عام٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م إلى تونس بقصد احتلالها والزحف من هناك براً إلى مصر وأخفق الملك الفرنسي ولقي حتفه"[3]".

والواقع أن انكلترا وحدها كانت آنذاك على علم بمزايا الاتحاد مع الإيلخانيين، وعندما وصـل إدوارد بن الملك الانكليزي هنري الثالث إلى عكا أرسل إلى أباقا يطلب منه إرسال جيوشـه استناداً إلى الوعد الذي كان قد قطعه للأوربيين، وبفعل انهماكه في الحـرب علـى الحـدود الشرقية لبلاده فقد أمر أباقا قائده صمغار في الأناضول لغزو بـلاد الشـام بالتنسـيق مـع الصليبيين، فتقدم نحو حلب واستولى عليها ثم زحف نحو البقاع قبل أن ينسحب فجـأة فـور وصول القوات المملوكية بقيادة الظاهر بيبرس، أما قوات ادوارد فلم تفعل أكثر مـن القيـام بغارة على قلعة صغيرة، ويئس أخيراً بفعل ضآلة عدد الجنود المؤلفة من تحـالف المغـول

١- أنطاكية :طولها تسع وستون درجة ونصف وعرضها خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة وهي في الإقليم الرابع وهي قصبة العواصم من الثغور الشامية وهي من أعيان البلاد وأمهاتها موصوفة بالنزاهة والحسـن وطيـب الهـواء وعذوبة الماء.(ياقوت الحموي : معجم البلدان،ج١،ص٦٤).

٢ -عادل هلال :العلاقات بين المغول ،ص١١١.

٣- سهيل زكار :الموسوعة الشامية ،ص٣٢،محمد سهيل طقوش : تاريخ المغول ،ص٢٠٦،عادل هلال :العلاقات بـين المغول ،ص١١٢-١١٣.

والصليبيين في مقابل جنود أعدائهم المسلمين، بحيث اضطر إلى التقهقر وعاد إلى انكلترا في عام ٦٧١هـ/١٢٧٢م"[١]"،وقد كان المغول يسعون دائماً إلى تقوية علاقتهم مع الأوربيين؛ فعندما قام البابا غريغوري العاشر ٦٧٠هـ -٦٧٥هـ / ١٢٧١-١٢٧٦م بالدعوة إلى عقد مجمع مسكوني عالمي في مدينة ليون الفرنسية في مايو عام ١٢٧٤م ليبحث على رأس موضوعاته تقوية الكيان الصليبي وإرسال حملة صليبية عاجلة لإنفاذه، أرسل أباقا سفارة لحضور هذا المجمع مكونة من ست عشرة عضواً من بينهم عدد من الرهبان اللاتين والمترجمين، وقد قدم البابا سفراء أباقا خان للحاضرين في نهاية الجلسة الرابعة لأعمال المجمع عام٦٧٣هـ / ١٢٧٤م"[٢]" ، وتضمنت رسالة الإيلخان رغبته الإعلان لكل من يعيش تحت الشمس بأن أباقا خان يريد التحالف ويريد السلام مع جميع المسيحيين التابعين لكنيسة روما المقدسة"[٣]"،وفي حركة إعلامية بارعة من أباقا خان فإن ثلاثة من سفرائه المغول طلبوا من البابا تعميدهم على المذهب الكاثوليكي وقد قوبل هذا التصرف بترحيب عام من ممثلي كنائس غرب أوربا، وقد ذهب سفراء المغول بعد انتهاء جلسات مجمع ليون إلى العواصم الكبرى للغرب، ومن ثم عرجوا في طريق عودتهم للشرق على روما لتسلم رسالة البابا جريجوري العاشر لمليكهم، ووعد البابا جريجوري العاشر أباقا بإرسال سفراء من لدنه لإبلاغه بما يتلقاه من معلومات من الأمراء العلمانيين بخصوص الحملة الصليبية التي يجري إعدادها للشرق للانضمام لقوات المغول ضد المسلمين"[٤]"، ورغم جهود البابا جريجوري العاشر لتهيئة المناخ في أوربا للقيام بحملة صليبية إلى الشرق فإن الوعود التي تلقاها من الأمراء العلمانيين كانت مجرد شعارات ولم تحقق أي تقدم ملموس"[٥]"، وفي تلك الأثناء كانت قوات المماليك قد وجهت ضربة أخرى لأرمينيا الصغرى عام ١٢٧٥م كما أن بيبرس أراد أن

١- محمد سهيل طقوش : تاريخ المغول العظام ،ص٢٠٦.

٢- عادل هلال :العلاقات بين المغول ،ص١١٤.

٣- سهيل زكار :الموسوعة ،ص١٧٥.

٤- عادل هلال :العلاقات بين المغول ،ص١١٥.

٥- محمد سهيل طقوش : تاريخ المغول العظام ،ص٢٠٧،عادل هلال :العلاقات بين المغول ،ص١١٥.

يوجه لطمة أخرى مباشرة إلى إيلخانية فارس فاختار أن يهاجم بلاد سلاجقة الروم التي كانت مشمولة بحماية المغول وقد استطاعت تمزيق الجيش المغولي في الأناضـول عنـد أبلسـتين ٣١ذي القعدة ٦٧٥هـ/١٩إبريل ١٢٧٧م"[١]".

نلاحظ من خلال ذلك العرض فشل الخطط التي قام بها المغول والغرب المسيحي لإقامـة تحالف فيما بينهم من أجل صد الهجمات الإسلامية وذلك بسبب عدم صدق نوايـا الإيلخـان المغولي في الوقوف مع الغرب المسيحي وخوف الغرب المسيحي مـن طموحـات المغـول الإيلخانيين فيما لو أحرز المغول النصر على المسلمين فسيكون الطريق فيما بعد مفتوحاً لهـم لتوجيه الضربات ضد المسيحيين.

أحمد تكودار وموقفه من المعتقدات الدينية:

أحمد هو الابن السابع لهولاكو"[٢]"،وقد كان موجوداً في الصين أثناء حملة أبيه هولاكو على إيران والشام"[٣]"، وقد جلس على كرسي الملك بعد موت أخيه أباقا سـنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م وعمره يومئذ حوالي ثلاثين سنة"[٤]"،وقد اختاره الأمراء وأجلسوه على سرير الملك"[٥]"،وذلك أنه عندما توفي أباقا خان كان ابنه أرغون بخراسان حيث كان أباقا خان يميل إلى أن يخلفه ابنـه أرغون"[٦]"، ولكن الشرط في الياسا كان أنه إذا مات ملك لا يجلس عوضه إلا الأكبر من أهـل بيته، وأحمد هو الأكبر لذا أجلسوه على كرسي المملكة"[٧]"، وقد ذكرأحد الرحالة أن أحمد وقـد

١-عادل هلال :العلاقات بين المغول،ص١١٦.

٢- رشيد الدين الهمداني : جامع التواريخ،ص٨٨،شعبان ربيع طرطور : موجز تاريخ إيران،ص٧٠.

٣ - عباس إقبال:تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ،تر:عبد الوهاب علوب ،المجمع الثقافي ،الإمارات ،٢٠٠٠م، ص٢٣٥، عبد السلام عبد العزيز فهمي :العلاقات بين المغول ،ص١٦٦.

٤- ابن تغري بردي :المنهل الصافي،ج٢،ص٢٥٤، ابن تغري بردي :الدليل الشافي على المنهل الصافي ،تـح:مهيـتم محمد شلتوت،مكتبة الخانجي ،القاهرة،ج١ص٩٥ ،بيبرس المنصوري :التحفة المملوكية في الدولة التركية ،نشره ووضع فهارسه عبد الحميد صالح حمدان،ط١ ،الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة ،١٩٨٧م،ص١٠٧.

٥- بيبرس المنصوري الدواداري:زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة،ج٩ ،ص٢٣٣.

٦- عباس إقبال : تاريخ إيران ،ص٤٤٩.

٧- النويري : نهاية الأرب،ص٤٠١.

سماه (أكومات) لم يكد يسمع نبأ وفاة أخيه أباقا حتى دبر خطة للاستيلاء على الملك على اعتبار أن أرغون في مسافة قاصية لا يستطيع فيها منعه من تنفيذ خطته"[١]،فلما استقر في الحكم أمر بتفريق الأموال المدخرة في الخزائن على أهل بيته وعلى الأمراء"[٢]،كما أظهر الإحسان والشفقة إلى جميع المغول وإلى الأمم الباقية وخصوصاً إلى أكابر النصارى"[٣].

هذا الكلام يدل دلالة واضحة على أن السلطان أحمد كان شديد العطف على المسيحيين ولم يفرق بين الأديان، وذلك نلاحظه من خلال ذلك المؤرخ المسيحي الذي أكد على عطف أحمد على زعماء النصارى ،وكان السلطان أحمد قد اعتنق الدين المسيحي في صغره وتسمى منذ ذلك الحين باسم نيقولا"[٤].

إسلامه:

كان أحمد تكودار بن هولاكو أول حاكم مغولي في إيران يعتنق الإسلام"[٥]، حيث أنه على إثر اتصال هذا السلطان برعاياه من المسلمين صار يميل إلى الإسلام تدريجياً، فلما توطدت علاقته بعلماء المسلمين وعظمائهم أعلن إسلامه ولقب بلقب السلطان أحمد تكودار"[٦]،وهناك عدة روايات تتحدث عن إسلام السلطان أحمد منها:

١- ماركو بولو: رحلات ماركوبولو ،ص١١١.

٢- ابن الفوطي :الحوادث ،ص٤١٩.

٣- ابن العبري : تاريخ مختصر ،ص٥٠٥-٥٠٦.

٤- فؤاد الصياد : مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني ,ط١ دار الكتاب العربي , القاهرة , ١٩٦٧م ،ص٦٠،عباس إقبال :تاريخ إيران،ص٤٤٩ ،مجموعة مؤلفين:دائرة المعارف الإسلامية :،ص٤٤٣،شعبان طرطور : موجز تاريخ إيران،ص٤١.

5 -Reuven Amital-Preiss: Sufis And Shamans : some remarks on the islamization of the Mongols in the ilkhanate,koninklijke Brill NV, Leiden, 1999,p30

نوري عبد الحميد خليل ومجموعة مؤلفين : الصراع العربي الفارسي منذ سقوط. بغداد حتى القرن التاسع الهجري /القرن الخامس عشر الميلادي،بغداد ،١٩٨٣م،ص ١٩٥.

٦- فؤاد الصياد :مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني ،ص٦٠.

أن السلطان أحمد لما جلس على كرسي السلطنة أظهر الإسلام وأشاعه"[١]"، وهناك رواية أخرى تذكر أن إسلامه كان في حياة والده هولاكو وكان اسمه أولاً تكودار وسبب تسميته أحمد هو أن الفقراء الأحمدية دخلوا به في النار بين يدي هولاكو فوهبه لهم وسماه أحمد"[٢]"،ويقال أن أحمد ارتبط بطائفة الصوفية عن طريق شخص اسمه كمال الدين عبدالرحمن"[٣]" حيث وقع تحت تأثيره خلال فترة شبابه"[٤]"، وكان قد حسن له الإسلام فأسلم"[٥]"، وهو أول من أسلم من أولاد هولاكو خان"[٦]"، والرأي الراجح أن أحمد اعتنق الإسلام في صباه حيث قال في إحدى رسائله التي أرسلها إلى سلطان مصر إن الله بسابق عنايته وبنور هدايته كان قد أرشدنا في عنفوان الصبا وريعان الحداثة إلى الإقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته والشهادة لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام بصدق نبوته"[٧]"، وكان قد أسلم على مذهب أهل السنة والجماعة وكان قد بذل قصارى جهده في حمل المغول على الدخول في الإسلام وأسلم على يديه كثير منهم بفضل مامنحهم إياه من العطايا وألقاب الشرف"[٨]"، كما أنه أخذ يلزم أكابر المغول بالإسلام طوعاً أو كرهاً فنقموا عليه وأرادوا قتله"[٩]"،وقد أدرجه أحد المؤرخين الشيعة من ضمن أعيانها"[١٠]"،لكن هذا الكلام غير صحيح فهو كان على مذهب أهل السنة كما ذكرنا من قبل وكان السلطان أحمد قد أحرز بذلك نصراً مؤزراً على الديانتين الأخريين البوذية

١-النويري : نهاية الأرب ،ص٤٠١،ابن أيبك الدواداري: زبدة الفكرة"الدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر"، تح: هانس روبرت رويمر ، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني ،القاهرة ، ،ج٩ ص٢٣٣.

٢- ابن تغري بردي الأتابكي :المنهل،ج٢،ص٢٥٤،شعبان ربيع طرطور : موجز تاريخ إيران،ص٤١.

٣-الشيخ عبد الرحمن كان أبوه مملوكاً رومياً للخليفة المستعصم بالله فلما نشأ عبد الرحمن جعل من جملة فراشي السدة وأسر في واقعة بغداد وكان قد أظهر الزهد حتى صار يعرف بالشيخ (.ابن الفوطي :المصدر السابق،ص٤٣٨.)

4- Reuven Amital-Preiss: : Sufis And Shamans Op-cite, p30.

٥- ابن الفوطي :الحوادث الجامعة،ص٤٣٢.

٦- عباس العزاوي :تاريخ العراق،ص٣٠٤،محمد سهيل طقوش :تاريخ المغول العظام،ص٢٣٣.

٧- ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ،ص٥٠٦،ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر"الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية ،تح:أولرخ هارمان، ، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني ،القاهرة،١٩٧١م،ج٨ ،ص٢٤٩،فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي،ص١٢٥

٨- عبد السلام عبد العزيز فهمي : تاريخ الدولة المغولية ،ص١٦٧.

٩- ابن الفرات : تاريخه ،مج٨،١٩٣٩م،ص٤،النويري : نهاية الأرب ،٤٠٣.

١٠- محسن الأمين :أعيان الشيعة ،ط٢ ،مطبعة الإنصاف ،بيروت ،١٩٦١م،ج١٠ ،ص٤٣٢.

والمسيحية اللتان كانتا تتنافسان الإسلام في اجتذاب المغول إلى صفهما"[1]، ومن أهم أعماله في سبيل نصرة الإسلام،أنه قد أظهر شعائر الإسلام، وبنى المساجد والجوامع، وألزم أهل الذمة بلبس الغيار وضرب عليهم الجزية، وصار يتقيد بالأحكام الشرعية"[2]،كما أن الإعانات التي كانت تعطى للمسيحيين واليهود قد حذفت من الدفاتر الإيلخانية وأجبر كثير من المسيحيين على اعتناق الإسلام وخربت كنيسة تبريز"[3].

موقف أحمد تكودار من الأسرة الجوينية:

كان أحمد تكودار مناصراً للمسلمين وخاصة السنة منهم لذا كان أول عمل قام به أن أمر بتخليص عطا ملك الجويني من حبسه كما أعاد الصاحب شمس الدين الجويني إلى منصبه وأسند له الوزارة"[4]،لكن مؤامرات مجد الملك لم تنته إذ وشى به إلى أرغون وحاول أن يوغرصدره ضد صاحب الديوان متهماً إياه بقتل والده أباقا بإعطائه جرعة من السم"[5]،لكن مؤامرات مجد الملك انتهت بقتله بأمر من السلطان أحمد حيث سلمه لرجال خواجة علاء الدين عطا ملك،ونظراً لما اتصف به علاء الدين من سلامة النفس وحسن الخلق فقد عامله بمقتضى القول المأثور"العفو عند االمقدرة من علو الأقدار،وعفا عن مجد الملك"[6]،غير أن الخواجة علاء الدين والخواجة هارون كانا يصران على قتله وسلماه ليلاً للعوام فقطعوه إرباً إرباً وهكذا قتل في ليلة الأربعاء ٨جمادى الأولى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م في موضع آلاتاغ وأرسلت أطرافه

١- فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي،ص١٢٥.م

٢- ابن تغري بردي :المنهل الصافي،ج٢،ص٢٥٤.

٣- فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي،ص١٢٩.

٤- خواندمير :دستور الوزراء،ص٣٤٧.

٥ - رشيد الدين : جامع التواريخ،مج٢،ج٢،ص٩٤.

٦- خواندمير :دستور الوزراء ،ص٣٤٨.

إلى النواحي"[١]"،وبعد ذلك توفي الخواجة علاء الدين في مدينة آران ٤ذي الحجة سنة ٦٨١هـ/١٢٨٣م فأرسلوا مكانه هارون بن الخواجة شمس الدين حاكماً على بغداد"[٢]" .

رسائله إلى بغداد وإلى المماليك في مصر:

كان السلطان أحمد قد بعث كتاباً إلى بغداد يخبرهم فيه بأنه من المسلمين و أنه اعتنق عقيدة الموحدين"[٣]"، و يتضمن نص الرسالة على مايلي " بسم الله الرحمن الرحيم: إنا جلسنا على كرسي الملك ونحن مسلمون، فتبلغون أهل بغداد هذه البشرى و يعتمدون في المدارس و الوقوف و جميع وجوه البر ما كان يعتمد في أيام الخلفاء و العباسيين و يرجع إلى كل ذي حق حقه في أوقاف المساجد و المدارس و لا يخرجون عن القواعد الإسلامية، و أنتم يا أهل بغداد مسلمون و سمعنا عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : لا تزال هذه العصابة الإسلامية مستظهرة ظافرة إلى يوم القيامة، و قد عرفنا أن هذا خبر صحيح و رسول صحيح رب واحد أحد فرد صمد فتطيبون قلوبكم و تكتبون إلى جميع البلاد"[٤]"

يتضح من خلال ذلك أن رسالته كانت تتضمن إظهار شعائر الإسلام و إعلاء كلمة الدين و بنيان الجوامع و المساجد والأوقاف و تنفيذ الأحكام الشرعية"[٥]"، كما أمر اليهود والنصارى بتأدية الجزية"[٦]", وكان السلطان أحمد قد فوض أمر الإشراف على سائر الأوقاف إلى الشيخ

١- رشيد الدين : جامع التواريخ ،ص٩٩

٢- رشيد الدين :المصدر نفسه ،ص.٩٩.

٣- بيبرس الدوادار :كنز الدرر،ج٩،ص٢٣٣،محمد سهيل طقوش : تاريخ المغول العظام،ص٣٣٢.

٤- النويري: نهاية الأرب ،ص ٢٠٤, بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة،ج٩ ، ص ٢٣٤ , ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب, ج ٥ , ص ٣٧٠.

٥- اليونيني : ذيل مرآة الزمان ،مج٤ ،ص١٤١،محمد أحمد محمد : دخول مغول العراق وفارس في الاسلام , دار الفكر ،القاهرة،د.ت،ص٥٩.

٦- محمد بن شاكر الكتبي: عيون التواريخ ،تحقيق :فيصل السامر ،نبيلة عبد المنعم داود،منشورات وزارة الثقافة ،العراق ،١٩٨٤م ، ج ٢١ ص ٣٠٣.

عبد الرحمن"[1] ،وذلك بعد أن نقلها من بيت الطوسي وقطع صلتهم بهـا وقـد أزال حقـوق الأطباء والمنجمين من أهل الذمة الذين كانوا يتقاضونها من مواردها منذ زمن هولاكو وجمع أموال الوقوف المخصصة للحرمين الشريفين وأرسلها للديار المقدسة واهتم بأمر الحج"[2].

يتضح من خلال هذا الكلام أن السلطان أحمد كان ميالاً إلى السنة أكثر من الشيعة وذلك حين جعل الأوقاف بيد الشيخ عبد الرحمن السني بدلاً من أولاد نصير الدين الطوسي وبذلك نتأكـد أن إسلامه كان على مذهب أهل السنة.

علاقة أحمد تكودار بالمماليك:

بالإضافة إلى ذلك قام السلطان أحمد بتوطيد علاقته مع المماليك في مصر و قد قام بإرسـال رسالتين إلى مصر:

الرسالة الأولى : وقد تم إرسالها مع الشيخ قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي قاضي سيواس و الأمير بهاء الدين أتابك السلطان مسعود سلطان الروم و الصـاحب شـمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين بن التيتي (وزير ماردين)، وكانوا قد قدموا إلى قلعـة الجبل و ذلك سنة ٦٨١ هـ /١٢٨٢م"[3]، و كان نص الرسالة التي أرسـلها أحمـد تكـودار يتضمن أنه مسلم و أنه أمر ببناء المساجد والمدارس و الأوقاف و أمـر بتجهيـز الحجـاج، وسأل اجتماع الكلمة و إخماد الفتنة و الحرب و أنه ظفر بجاسوس وكانـت العـادة أن مـن ظفربجاسوس يقتل إلا أنه أرسله إلى السلطان قائلاً لا حاجة إلى الجواسيس بعـد الاتفـاق و

١- النويري : نهاية الأرب،ص ٤٠٢ , الصياد : الشرق الإسلامي ،ص١٢٥،شيرين عبد النعيم حسنين :الثقافة العربية الإسلامية في بلاد الفرس من بعد العصر العباسي حتى بداية العصر الصفوي،ص٣١٥.

٢- محمد صالح داود القزاز :الحياة السياسية ،ص١٦٧.

٣- ابن العبري :تاريخ مختصر ،ص٥٠٦-٥٠٧، المقريزي: السلوك ج ١ ق ٣ ص ٧٠٧،محمد بن شـاكر الكتبـي عيون التواريخ ،ص٣٠٤,محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون في مصر،دار الفكـر العربـي ،القـاهرة ،د.ت ،ص١٦٤.

اجتماع الكلمة"[1]،وقد أجابه الملك المنصور"[2]" جوابا حسناً يتضمن تهنئته بالإسلام وإجابته إلى ماطلب من الصلح وقال لرسله إنني لا أثق إلا بكلام الشيخ عبد الرحمن لما أعلم من دينه ومن حكمه على الملك أحمد وعلى وزيره صاحب ماردين وقد أعاد رسله مكرمين فدخلوا سرا واجتمعوا بالسلطان سراً وأعادهم سراً"[3]".

الرسالة الثانية:و كانت في سنة ٦٨٢ هـ /١٢٨٣م و قد وصل الشيخ عبد الرحمن إلى دمشق في الثاني عشر من ذي الحجة و أنزل في قلعة دمشق و كان في صحبته ١٥٠ شخص بالإضافة إلى ابن التيتي وزير صاحب ماردين"[4]" ،وكانت رسالة السلطان أحمد تتضمن سعادته برسالة السلطان قلاوون و فرحه بالصلح و إن الخلاف الذي وقع كان قد قضى نحبه من الآباء و الأسلاف و كان السلطان قلاوون قد أحسن إلى حاملي هذه الرسالة و أعلمهم بوفاة السلطان أحمد"[5]"،و كان الشيخ عبد الرحمن قد توفي عقب سماعه نبأ موت تكودار"[6]".

يتضح من خلال عرض هاتين الرسالتين حرص السلطان أحمد على تعميق الصداقة مع المماليك في مصر والذين كانوا من ألد أعداء المغول الإيلخانيين، كما نلاحظ حرص أحمد على التمسك بالإسلام و تطبيقه و هذا يدل على صدق إسلامه.

١- المقريزي:السلوك،ج١ق٣ ص ٧٠٧-٧٠٨ ، ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر ج٨ ص ٢٤٩- ٢٥٤،محمد سهيل طقوش :تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ،ص١٩٥-١٩٦، شيرين عبد النعيم حسين: الثقافة العربية الإسلامية،ص ٣١٥.

٢- المنصور قلاوون :الملك المنصور قلاوون الألفي الصالحي النجمي جد الملوك القلاوونيةوهو السابع من ملوك الترك بويع بالسلطنة بعد خلع الملك العادل سلامش حفيد الظاهر بيبرس بويع بالسلطنة يوم الأحد ٢٢رجب ٦٧٨هـ/١٢٧٩م وهو صاحب الخيرات والبيمارستان المنصوري والقبة التي دفن فيها وله فتوحات في سواحل البحر الرومي ومصافات مع التتارتوفي في سنة ٦٨٩هـ /١٢٧٩م .(محمد بن أحمد بن إياس الحنفي :بدائع الزهور في وقائع الدهور ،تحقيق :محمد مصطفى ،ج١،ص٣٤٧،عبد الرحمن حسن الجبرتي :تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ،دار الجيل ،بيروت ،ج١،ص٣٢).

٣- ابن الفرات : تاريخه ،ج٧،ص٢٤٩ ،محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر ،ص١٦٧ ،محمد سهيل طقوش : تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام،ط٢،دار النفائس ،بيروت،١٩٩٩م ،ص١٩٦.

٤- ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر ،ج٨، ص٢٦١.

٥- بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة،ج٩، ص ٢٦١- ٢٦٢.

6 - Reuven Amital-Preiss:op-cite.p32.

وهناك رأي يقول إن تكودار كان ذا أفق واسع ملما بتطورات الأحداث الدولية حتى قبل أن يلي السلطنة، فقد كان أخاً لأباقا وأحد قادته المقربين وعلى دراية بما يدور من أحداث داخلية و خارجية وربما يكون قد أدرك أن الدخول في علاقات دبلوماسية مع الغرب الأوروبي المسيحي لن يأتي بالآمال المرجوة منها حيث أن الروح الدينية والمعنوية عند الفرنج الصليبيين كانت قد ضعفت، و قد أدرك تكودار أن دولة سلاطين المماليك بعد معركة عين جالوت قد غدت مركز الزعامة في العالم الإسلامي، و أنها الدولة الوحيدة التي انتصرت على الصليبيين من جهة و المغول من جهة أخرى وعلى هذا أقدم على هذه الخطوة الجريئة نحو تخفيف حدة التوتر مع دولة سلاطين المماليك"[1]، هذا الكلام يوحي بأن أحمد تكودار كان قد أعلن إسلامه و أرسل رسائله إلى المماليك ليس بدافع محبته للإسلام بل من أجل تخفيف حدة التوتر بين الطرفين، و هذا فيه تشكيك بصدق السلطان أحمد الذي جر عليه غضب المغول بسبب إسلامه و كان سبباً في إنهاء حياته، حيث إن قدامى المغول من البوذيين و النساطرة احتجوا على ذلك لدى الخان الأكبر بالصين قوبيلاي عم تكودار و السيد الأعلى لإيلخانية فارس و بلغ من سخط قوبيلاي على هذا التصرف أنه هدد بالتدخل"[2]، وقد حاول أرغون أن يثير عواطف المغول الذين رفضوا الدخول في الدين الإسلامي، فقد قال لهم إن أحمد خرج عن شرعتنا بل ونبذها وتخلى عنها وأصبح مسلماً، وكم سيسوؤنا أن نسمح للمسلمين بالولاية على التتار و طلب من الأخوة والأصدقاء بذل قصارى جهدهم للحيلولة دون حدوث شيء كهذا حتى تكون السيادة للمغول وليس للمسلمين"[3]، وقد أعطى هذا فرصة لإعادة تحالف عناصر الصفوة المغولية الذين استاؤوا من تكودار وأفعاله"[4]،كما قال لهم إن السلطان أحمد أسقط أسرة جنكيز خان وقوض بنيانها ورفع راية عزة المسلمين بتوجيهات من صاحب الديوان عالية خفاقة إلى

---

١ – محمد سالم بكر باعمر: الصراع بين الإسلام والوثنية، ص ١٨–١٩

٢– السيد الباز العريني: المغول ص ٢٠٣.

٣ – ماركو بولو : رحلات ،ج٣،ص١١٤.

4 - Reuven Amital-Preiss :Op-cite,p32.

عنان السماء"[١] ،وقد راسل المسلمين حتى يصالحهم وإن طالت مدته لن يبقى من المغـول إلا القليل"[٢].

نلاحظ هنا اشتداد غيظ أرغون على إسلام أحمد تكودار وسعيه إلـى إشـعال نـار الحقـد والضغينة ضده، ولم يكتف بذلك بل أثار حقد المغول على المسلمين الذين سيصبحون سـادة عليهم وأيضاً غضبه من إسلام السلطان أحمد، وبهذا صدر الأمر بقتل السلطان أحمد فقبضوا عليه في ٢٦ جمادى الأولى سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م"[٣].

التعريف بأرغون خان:

أرغون خان هو الرابع من ملوك هذا البيت"[٤]،وهو الابن الأكبر لأباقـا خـان"[٥]،وهـو صاحب العراق وخراسان وقد جلس على كرسي المملكة بعد مقتل عمه أحمد "[٦]، استلم الحكم في يوم الجمعة سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م، وبعد أن تولى عرش المغول أصدر الأوامر بأن على الجميع أن يحافظوا على مسلك آبائهم وأجدادهم"[٧]،وربما يكون القصد من ذلك أن يعودوا إلى ممارسة العقيدة البوذية التي هي عقيدة الآباء والأجداد،وخاصة أن أرغون كان على عداء مع المسلمين ومن أسباب نجاحه في الوصول إلى الحكم تحريض المغول غير المـسلمين علـى السلطان أحمد الذي أجبرهم على اتباع ديانة مخالفة لديانتهم.

القضاء على الأسرة الجوينية:لقد ذكرنا من قبل كيف تعرضت الأسرة الجوينية لكثيـر مـن المحن على أيدي عدد من الحاقدين والحاسدين، وكان لعطا ملك الجويني النصيب الأكبر مـن

١ -خواندمير :دستور الوزراء ،ص٣٥٣.
٢- ابن الفرات : تاريخه،مج٨،ص٣.
٣- رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ ،ص١٢١.
٤- النويري :نهاية الأرب ،ص٤٠٤.
٥- رشيد الدين الهمذاني:جامع التواريخ ،١٢٤.
٦- الصفدي:الوافي بالوفيات،ط٢،دار صادر ،بيروت،١٩٨٢م ،ج٨،ص٣٥٠.
٧- رشيد الدين الهمذاني :جامع التواريخ،ص١٢٦-١٢٧.

هذه المؤامرات وقد انتعشت هذه الأسرة خلال حكم أحمد تكودار، لكن عطا ملــك الجــويني توفي بعد فترة من استلام السلطان أحمد، وبعد وفاته تعرضت الأسرة الجوينية مــرة أخــرى لآخر مرحلة من مراحل الصدام التي انتهت بالقضاء عليها على يد أرغون، وقد اســتطاعوا بالاشتراك مع السلطان أحمد من شل حركة المسيحيين المغول والوثنيين فقد أدى هذا التغييــر الذي طرأ إلى نكسة خطيرة أحلت قوانين جنكيز خان وتقاليد المغول مرة أخرى مكان الشريعة الإسلامية"[١]"، فبعد أن حلت الهزيمة بأحمد هرب الصاحب شمس الدين من جــاجرم"[٢]" إلــى أصفهان ثم هرب من تلك المدينة باتجاه قم"[٣]" حيث نزل بالمشهد الشــريف بظــاهر المدينــة واعتكف في ذلك المزار المقدس"[٤]"،وهنا بدأ شمس الدين يفكر إلى أي مكان سيفر،فهل سيرحل إلى شيراز ومنها يتوجه إلى هرمز"[٥]"، ثم يصل عن طريق البحر إلى بلاد الهند ولكن بعد ذلك فكر في أولاده فإنه لو أنقذ نفسه من الموت فلن يستطيع أن ينقذ أبنــاءه وعشــيرته ونوابــه فقرر الذهاب إلى السلطان أرغون عله يتجاوز عنه"[٦]"،والذي ساعده على الذهاب إلى أرغــون وصول بعض الأخبار التي تقول بأن أرغون قال حيث إن الله تعالى شملنا برعايته ومنحنــي تاج أبي الطيب الذكر وعرشه فإني قد عفوت عن ذنوب كل من أذنب فــإذا بــادر صــاحب الديوان بالحضور إلينا شملناه بعطفنا"[٧]"،وكان شمس الدين قد توجه إلى السلطان ونــزل فــي

١- صبري سليم :الصراع السياسي والمذهبي ،ص٣٦١،عبد السلام فهمي :تاريخ الدولة المغولية في إيران ،ص١٧١.

٢- جاجرم :بلد لها كورة واقعة بين نيسابور وجوين وجرجان تشتمل على قرى كثيرة وبلد حسن وبعض قراهــا فــي الجبل المشرف على آزاذوار قصبة جوين.(ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ج٢ ،ص٩٢).

٣- قم:كلمة فارسية مدينة تذكر مع قاشان طولها أربع وستون درجة ونصف وعرضها أربع وثلاثون درجــة وهــي مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها أول من مصرها طلحة بن الأحوص الأشعري وهي خصبة وذكر بعضهم أن قم بين أصبهان وساوة وأهلها كلهم شيعة إمامية .(ياقوت الحموي :المصدر نفسه ،ج٤ ،ص٣٩٧).

٤- رشيد الدين : جامع التواريخ،ص١٢٩.

٥ - هرمز: مدينة في البحر على بر فارس وهي فرضة كرمان إليها ترفأ المراكب ومنها تنقل أمتعة الهند إلى كرمان وسجستان وخراسان(ياقوت الحموي:معجم البلدان ،ج٥،ص٤٠٢).

٦- خواندمير :دستور الوزراء،ص٣٥٤-٣٥٥.

٧- رشيد الدين :جامع التواريخ،ص١٣٠.

البداية في مقر الأمير بوقا"[١]" حيث صحبه في اليوم التالي إلى مجلس السلطان فاستقبل أرغون الصاحب استقبالاً حسناً وبشره بمنصب الوزارة فقبل الصاحب الأرض أمام السلطان مردداً الدعاء بدوام دولته وسلطانه ثم عاد إلى منزله"[٢]"،لكن رشيد الدين ذكر أن الصاحب عندما توجه إلى أرغون ليقدم له فروض الطاعة لم يأبه به كثيراً كما إنه لم يبد غضباً عليه"[٣]"، أي أنه لم يعطه منصب الوزارة كما ذكر خواندمير،وقد عمد البعض إلى الإيقاع بين الصاحب وبين صديقه بوقا وقد نجحا في ذلك، وهنا قام بوقا بالدس للصاحب وأوغر صدر أرغون عليه فصدر الأمر بتكبيل الصاحب بالأغلال ومحاكمته"[٤]"، ثم طلبوا منه مبلغ ألفي تومان من الذهب لكن الصاحب لم يستطع دفع ذلك المبلغ لأنه لايمتلك هذا المال ثم أرسل إلى بوقا يقول له :أيها الأمير لا تعمل على إيذائي ولا تعلم الملك قتل الوزراء فإنهم اليوم يقتلونني وسرعان ما يقتلونك أيضاً فتأكد من ذلك"[٥]"،لكن الصاحب لقي مصرعه في النهاية بعد أدائه صلاة الظهر في بلدة أهر"[٦]" يوم الاثنين ٤شعبان سنة ٦٨٣هـ /١٢٨٤م"[٧]"،وهكذا انتهت حياة هذه الأسرة التي عملت الشيء الكثير لخدمة الإسلام والمسلمين وكان بإمكان شمس الدين أن يهرب لكنه آثر العودة ومقابلة أرغون خوفاً من بطش هذا الإيلخان، بعد ذلك أرسل بوقا أحد أمرائه إلى تبريز للاستيلاء على أملاك الصاحب وأمتعته وبعد مدة قتلوا ابنه يحيى أيضاً في ميدان تبريز"[٨]"،أما بالنسبة لبقية أولاد الصاحب فإن محموداً وعلياً ولدي الخواجة بهاء الدين محمد ابن صاحب الديوان عرضا على أرغون اختلال أحوالهما فصدر الأمر بأن يرد إليهما بعض أملاك الصاحب في العراق وقد سار علي مع والدته إلى أصفهان لهذا الغرض ثم حضر مجد

١- بوقا :من أشهر أمراء الجيش المغولي في هذا العصر وكان الساعد الأيمن للطاغية أرغون في تغلبه على عمه السلطان أحمد (إيمان ذكي :الأسرة الجوينية ،ص١١٥)

٢- خواندمير :دستور الوزراء ،ص٣٥٥.
٣- رشيد الدين : جامع التواريخ ،ص١٣٠.
٤- خواندمير : دستور الوزراء ،ص٣٥٥-٣٥٦.
٥- رشيد الدين : جامع التواريخ ،ص١٣١.
٦- أهر من مدن أذربيجان .(ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١ ،ص٥٠).
٧- خواندمير : دستور الوزراء ،ص٣٥٧.
٨-رشيد الدين : جامع التواريخ ،ص١٣٤.

الملك مومنان القزويني الذي كان يتولى الإشراف على شؤون الأملاك الخاصة في العراق وعرض على أرغون قائلاً :حيث أن نجلي الصاحب قد استوليا على كل بقعة عامرة من الأملاك الخاصة وقد تدهورت بسبب ذلك عوائد هذه الأملاك في العراق دفعة واحدة فامتعض أرغون خان من ذلك وأمر بالقضاء على جميع أبناء صاحب الديوان شمس الدين"[1]،وهكذا قتل في تبريز مسعود وفرج الله ودفنا في تربة أبيهما أما مسعود فإنه قد أعرس منذ ليال وأما فرج الله كان صبياً في المكتب فلما أخرج ليقتل توهم أنهم يريدون تأديبه لئلا ينقطع عن المكتب فجعل يقول والله مابقيت انقطع عن المكتب فرقت الناس له، وكان أخوهما نوروز في الروم فسارت الإيلجية إليه فقتل هناك"[2]،أما بالنسبة لمحمود فقد تمت الشفاعة له بحجة أنه قد نص الفرمان على أبناء الصاحب على حين أن محموداً من الأحفاد ولكنه ابتلي بمرض الخفقان بسبب الخوف وتوفي في آخر عهد كيخاتو كما أوعزوا بالقضاء على علي في أصفهان فأوفدوا خادماً من كاشان فاعتقل علياً وقتله وصار موضع قتله ومدفنه مزارين معظمين"[3]،وقد ذكرأحد المؤرخين المحدثين هذه الحادثة قائلاً: لعل في اسم هذا الحفيد ومقتله في قاشان"[4]" واهتمام الأهالي بإقامة مشهد له مايفسر بانتمائه إلى الشيعة الإثني عشرية وهو أمر إن صح افتراضه ريب في أسرة سنية متمسكة بمذهب أهل السنة والجماعة"[5]"، وأيضاً الأمر الذي يدعو إلى زيادة الاستغراب والاستفسار عن مدى علاقة الأسرة الجوينية بالشيعة ومدى الارتباط بها هو ماذكرناه سابقاً عندما تحدثنا عن هروب الصاحب شمس الدين والتجائه إلى قم ونزوله في مزارها الشريف معتكفاً فما الذي يدفعه إلى القيام بذلك الأمر وهل كانت له صلة قوية بالشيعة حتى تدفعه إلى اللجوء إلى تلك المدينة، وهذا يعني أن الناس في تلك المدينة كانوا واقفين إلى جانبه حتى إنهم لم يقوموا بالوشاية عليه لدى أرغون خان، وهكذا لم يبق أحد

١-رشيد الدين :المصدر نفسه ،ص١٥١.

٢-ابن الفوطي :الحوادث الجامعة ،ص٤٦٢.

٣-رشيد الدين : جامع التواريخ ،ص١٥١.

٤- قاشان: مدينة قرب أصفهان تذكر مع قم و منها تجلب الغضائر القاشاني و العامة تقول القاشي وأهلها كلهم شيعة إمامية .(ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٤ ص ٢٩٦).

٥- صبري سليم :الصراع السياسي ،ص٣٦٤.

حياً من أبناء الصاحب باستثناء زكريا إذ كان في أبخاز"[1]" فنجا من تلك المحنة وهلك الباقون جميعاً"[2]".

أرغون خان وموقفه من المعتقدات الدينية:

بعد سقوط الأسرة الجوينية تخلص أرغون من أهم المنافسين له لأن أرغون كان على عداء شديد مع المسلمين خصوصاً من كان لهم دور في مساندة عمه أحمد لذلك سنجد أن مساره السياسي سينحرف باتجاه مجموعات أخرى كان أبرزها بروز الدور اليهودي ونشاط هذه الفئة في عهده .

في البداية سنذكر أن أرغون أسند منصب الوزارة لبوقا كما إنه كان قد فوض إليه النظر في كل كبيرة وصغيرة من مصالح البلاد وجعله مطلق التصرف في كل أمر"[3]"،وكان الأمير بوقا وكانت له اليد الطولى في تنظيم شؤون الدولة، قد أسند منصب الوزارة لجلال الدين مخلص السمناني، وقد كان جلال الدين من أسرة حاكمة وعائلة فاضلة، كان جده ضياء الدين يلازم السلطان محمد خوارزمشاه ولما ارتكب بوقا جريمة الكفران بالنعمة وظهر منه الغدر بالسلطان أرغون خان وذلك لأن بوقا تجاوز لفرط غروره بالمال والجاه فكان ينظر بعين الازدراء والاحتقار إلى خواص الأمير أرغون"[4]"،وقد أمر السلطان أرغون بقتله ثم القبض على جلال الدين مخلص السمناني نظراً للعلاقة التي كانت بينه وبين الأمير بوقا، وقضى

١- أبخاز: اسم ناحية من جبل القبق بباب الأبواب وهي جبال صعبة المسلك وعرة لا مجال للخيل فيها تجاور بالد الان يسكنها أمة من النصارى يقال لها الكرج.(ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ١ ص ٦٤).

٢- رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ،ص١٥٢.

٣- رشيد الدين الهمذاني :المصدر نفسه،ص١٢٨.

٤- رشيد الدين الهمذاني:جامع التواريخ،ص١٤٠-١٤١.

بعدها عاماً من الزمن وهو في غاية الاضطراب والسوء إلى أن قضي عليه بإيعاز من سعد الدولة اليهودي"[1]".

وسعد الدولة أصله من أبهر"[2]" من كور عراق العجم"[3]"،واسم سعد الدولة بالعبرية مردخاى بن الحربية"[4]"،وكان سعد الدولة في مبدأ أمره دلالاً بسوق الصاغة بالموصل"[5]"،ثم أصبح فيما بعد واحداً من أطباء اليهود أيام أرغون خان، وفي عهد أرغون خان ضم نفسه إلى أطباء الأسرة المغولية وجعل إقامته في دار السلام بغداد"[6]"،وقد قام بعضهم بالوشاية عليه وقالوا إن سعدالدولة طبيب منقطع النظير ويليق أنْ يكون ملازماً للحضرة فلما عرضوا تلك القضية على السلطان صدر فرمان يقضي بأن يبقى سعد الدولة ملازماً للحضرة"[7]"، وحدث أن أرغون أصيب بمرض فقام سعد الدولة بالاهتمام به وعلاجه وكان سعد الدولة يعرف أن الإيلخان كان عنده رغبة في جمع الأموال فقص له قصة توضح إسراف النواب والكتاب في جميع البلاد وخصوصاً الموجودين في ولاية بغداد وقال له :إن الأمير بوقا وأقاربه يسيطرون على جميع أموال الدولة ولا يتركون عن قصد شيئاً منها يصل إلى خزانة السلطان وبناء على هذه القصة صدر حكم السلطان بأن يتوجه سعد الدولة مع مجموعة من الأشخاص إلى بغداد ليبذلوا مافي وسعهم من أجل تحصيل الأموال وذلك في أواخر عام ٦٨٦هـ /١٢٨٧م فقاموا خلال مدة وجيزة بجمع أموال طائلة فقدموا إلى أرغون وقدموا له تلك الأموال فخلع عليه السلطان الكثير

---

١ – خواندمير :دستور الوزراء،ص٣٥٨-٣٥٩.

٢ – أبهر :مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحي الجبل والعجم يسمونها أوهر (ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج١،ص٨٢).

٣ – النويري : نهاية الأرب ،ص٤٠٥.

٤– فاطمة نبهان : يهود إيران في العصر الإيلخاني من خلال كتاب تاريخ يهود إيران، تأليف: حبيب لوى،حوليات كلية الآداب ،جامعة عين شمس مج٢٦، ١٩٩٨م،ص١١٤.

٥– أبو الفدا :المختصر في أخبار البشر ،ج٤،ص٢٦،يوسف رزق الله غنيمة :نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ط١،مكتبة الثقافة الدينية،بورسعيد ،٢٠٠١،ص١٥٠.

٦ – خواندمير :دستور الوزراء،ص٣٥٩.

٧– رشيد الدين :جامع التواريخ ،ص١٣٩.

من الهدايا وعينه مشرفاً على جمع وإنفاق ولاية بغداد"[1]،وقد أثبت سعد الدولة جدارته، وفي أوائل جمادى الآخرة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م أسند أرغون خان إلى سعد الدولة منصب الوزارة وهكذا ارتفع شأنه وقوي مركزه للغاية"[2]، كما فوض إليه أرغون إدارة جميع مصالح الولايات"[3]،وقد قام سعد الدولة فيما بعد بإسناد المناصب الهامة إلى أقاربه فأرسل أخاه فخر الدولة ومهذب الدولة نصر بن الماشعيري ورتب معهما جمال الدين الدستجرداني كاتباً لحكم بغداد"[4]،مع أن أخاه فخر الدولة كان جاهلاً حيث قيل إن نسبة الجهل فيه بنسبة الحكمة في أفلاطون"[5]،كما إنه أعطى شمس الدولة ومنتجب الدولة إيالة فارس وعهد بديار بكر إلى أخ آخر له هو أمين الدولة ووكل مهمة الإشراف على تبريز إلى ابن عمه مهذب الدولة أي منصور الطبيب"[6]،وفي البداية حاول سعد الدولة أن يجذب قلوب الناس إليه فأمر الأمراء والحكام بأن يطبقوا أحكامهم وفق الشريعة الإسلامية وأن ينصفوا المظلومين ويأخذوا بيد العاجزين"[7]،كما أنه أظهر اهتماماً بالمسلمين حيث ساعد على ازدهار الحج، كما أنه كان يسعى في الظاهر لنشر الإسلام حتى إنه في رمضان سنة ٦٨٨هـ /١٢٨٩م أرسل رسالة إلى بغداد لإدارة الحجيج يدعو فيها لرعاية شؤون الحجاج"[8]، كان الظاهر من هذه الأمور في البداية محاولة كسب عطف وود المسلمين الذين كانوا بالتأكيد ساخطين على حكم أرغون الذي أقصى المسلمين عن المناصب الهامة وولى أمور الدولة إلى سعد الدولة اليهودي وأتباعه، بالإضافة إلى ذلك أظهر سعد الدولة مودة وعطفاً للمسلمين الشيعة، وقد قصد سعد الدولة في سنة ٦٨٨هـ /١٢٨٩م مشهد موسى بن جعفر الصادق وزار ضريحه الشريف وأخذ

١- خواندمير :دستور الوزراء ،ص٣٥٩-٣٦٠،خواندمير :حبيب السير ،ص١٢٨- ١٣٠.

٢- رشيد الدين : جامع التواريخ،مج٢،ج٢،ص١٥٠-١٥١.

٣- خواندمير :دستور الوزراء ،ص٣٦١.

٤- ابن الفوطي :الحوادث الجامعة،٤٠٨.

٥- خواندمير :حبيب السير،ص١٣١.

٦ - رشيد الدين : جامع التواريخ،١٥٢.

٧- فاطمة نبهان : يهود إيران ،ص١١٨.

٨ - خواندمير :حبيب السير ،ص١٣١،صبري سليم :الصراع السياسي ،ص٣٦٥.

المصحف متفائلاً به فخرج له "يابني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور ونزلنا عليكم المن والسلوى" فاستبشر بذلك وأطلق للعلويين والعوام مائة دينار"[1]".

إذاً كما ذكرنا سابقاً كان الهدف من هذه الأمور التي قام بها سعد الدولة محاولة كسب ود المسلمين من السنة والشيعة فهذه الأمور لم تكن بدافع المحبة للمسلمين بل كان الهدف منها هو تخفيف مشاعر الغضب عند المسلمين الساخطين عليه، لكن سعد الدولة اغتر فيما بعد واتصف بالجبروت وبدأ بالاستهانة بأمة محمد صلى الله عليه وسلم وشجع أرغون خان على طرد جميع الموظفين المسلمين من الديوان وأقنعه بتحويل الكعبة إلى معبد للأصنام وإجبار أهل الإسلام وبقية الفرق على عبادة الأوثان"[2]"،وهنا كشف سعد الدولة عن كراهيته للمسلمين وذلك عندما طلب من أرغون طرد جميع الموظفين من الديوان .

وقام سعد الدولة بالإقدام على عمل غاية في الخطورة والضرر بأمة الإسلام، ذلك أنه عرض على أرغون بمنتهى التبجح قوله إن النبوة موصلة بالميراث من جنكيز خان إلى حضرة السلطان وقد يسرت العناية الإلهية لحضرة السلطان إرساء قواعد الملك والملة وتشييد مباني الدين والدولة على خير وجه، وحيث أن النبي العربي وأصحابه وأنصاره وضعوا راية النصر متحدين، وقضوا على الكثير من المخالفين لهم والمعارضين، ووضعوا قلادة القبول والاعتناق لأركان الإسلام في رقبة الخاصة من الناس والعامة؛ فلو أن السلطان يسلك غاية العطف مع المؤيدين له ومنتهى العنف مع المعارضين لأمكنه أن يخلق أمة جديدة في هذا العصر ويقضي على عادات ورسوم السابقين وعلى قواعد وأطوار المتأخرين"[3]"، نلاحظ من خلال هذا الكلام الذي ذكرناه مدى الحقد الذي يكنه اليهود للمسلمين عامة وللنبي محمد صلى الله عليه وسلم بشكل خاص وذلك من خلال إيهام أرغون بالنبوة وخصوصاً ما قاله في آخر كلامه عن خلق أمة جديدة تقضي على رسوم السابقين وأطوار المتأخرين وربما

١- ابن الفوطي :الحوادث،ص٤٠٧.

٢- خواندمير :حبيب السير ،ص١٥٢،فاطمة نبهان : يهود إيران،ص١١٨.

٣- خواندمير :دستور الوزراء ،ص٣٦٣.

يكون القصد من ذلك هو دين محمد(ص) بشكل خاص أي القضاء علـــى الأمـــة الإســـلامية والخلاص منها، هذه الأمة التي كان يحمل لها اليهود العداء الدفين منذ القدم.

كما إن أحد المؤرخين المحدثين كان قد ذكر :أنه مما يلفت النظر في هذا الموقـف العجيـب الذي اتخذه ذلك اليهودي الموتور تجاه المسلمين هو أن المسيحيين في الإيلخانية وكانوا مقربين إلى أرغون ومحل اهتمامه ورعايته لم يحركوا ساكناً إزاء نظرية النبوة المزعومة لأرغـون البوذي وراثة عن جده جنكيز خان الشاماني على الرغم من تجاهل هذه النظرية لكل الأنبيـاء منذ آدم عليه السلام وبما فيهم أنبياء بني إسرائيل أنفسهم بل والمسيح عليـه السـلام، وفـي الحقيقة كان المسيحيون مستعدين آنذاك للتغاضي عن أي عمل أو نظرية توافق هـدفهم فـي القضاء على المسلمين"[١].

هذا الكلام الذي أورده المؤرخ هو كلام صحيح وخصوصاً نحن نعلم أن تلك الفترة كانت فترة صراعات بين المسلمين والمسيحيين من أجل استعادة ما تبقى من الإمارات الصـليبية، ولـم يكتف سعد الدولة بإيهام أرغون بأن النبوة وصلت إليه عن طريق جنكيز خان بل حرضه على هدم الكعبة المشرفة؛ ومؤدى ذلك أن سعد الدولة كان قد أقنع أرغون خان بتحويل الكعبة إلى معبد للأصنام وإجبار أهل الإسلام وبقية الفرق على عبادة الأوثان"[٢]"، وبهذا المفهـوم بعـث برسائل ومكاتبات إلى اليهود وصناع الأوثان من الأعراب يطلب إليهم الاسـتعداد لصـناعة أعلام الضلال للتوجه بها إلى مكة، وفي تلك الأثناء بعث نجيب النحال، وكان من طائفة ذلك الشرير نفسها، إلى ولاية خراسان وسلمه قائمة مفصلة بأسماء مائتين من أعيان وأغنياء تلـك البلاد ليتولى القضاء على حياتهم ويحول أملاكهم إلى ديوان السلطان كما كلف شمس الدولـة

١- صبري سليم :الصراع السياسي ،ص٣٦٦.

٢- خواندمير :حبيب السير ،ص١٣٢ ،عباس إقبال : تاريخ إيران ،ص٤٥٤،إدوار براون :تاريخ الأدب ،ج٣،ص٤٧.

بقتل سبعة عشر شخصاً من أئمة أصفهان العظام الذين لم يكن لهم ذنب قط سوى أنهم يتمتعون بالسمعة الطيبة بين الجميع ويعرفون بعلو النسب وكثرة البذل والعطاء"[1].

هذه الأعمال التعسفية التي قام بها سعد الدولة اليهودي ضد المسلمين قد أثارت مشاعر الناس ودفعتهم إلى التذمرحيث سطر في بغداد محضر كتب فيه أعيان الناس يتضمن الطعن على سعد الدولة ويتضمن آيات من القران وأخبار نبوية أن اليهود طائفة أذلهم الله تعالى ومن حاول إعزازهم أذله الله عز وجل، فعرف سعد الدولة بذلك الأمر ولما وصل الشخص إلى أرغون ليسلمه المحضر أخذها منه سعد الدولة وعرضهاعلى السلطان أرغون فحكم على كل من كتب فيه وقام بمعاقبتهم، واستعمل الحزم وعاقبة العجلة لكنه قام بصلب جمال الدين بن الحلاوي ضامن تمغات بغداد، فصلب بباب النوبي وثيابه عليه وسلم إلى أهله بقية النهار"[2]، ولم يقتصر الأمر على ارتفاع شأن سعد الدولة بل شأن اليهود جميعاً، حيث بلغ من ارتفاع شأنهم في عهد أرغون أنه في سنة ٦٨٧هـ /١٢٨٦م وصل إلى بغداد في شهر صفر جماعة من اليهود من أهل تفليس"[3]" وقد رتبوا ولات للإشراف على تركات المسلمين وهي وظيفة إسلامية، فحكموا بعدم توريث ذوي الأرحام فأنكر الأمير آروق ذلك وأمر أن يعمل بمذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه كما كان يعمل قديماً فاتفق وفاة بعض العوام وخلف ابن عم له فأنكر النواب نسبه وختموا على تركته فاستغاث وانتصر بالعوام فاجتمع معه خلق كثير ووقعت فتنة أوجبت خوف النواب من القتل فاختفوا وتحصنوا في بيوتهم، فنهب العوام دكاكين

١- خواندمير :دستور الوزراء ،ص٣٦٣-٣٦٤.

٢- ابن الفوطي :الحوادث الجامعة ،ص٤٦١-٤٦٢،فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص.١٧٢

٣- تفليس:بفتح أوله ويكسر بلد بأرمينية والبعض يقول بآران وهي قصبة ناحية جرزان قرب باب الأبواب وهي مدينة قديمة لإسلام وراءها يجري في وسطها نهر يقال له الكر افتتحها المسلمون أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه.(ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج٢،ص٣٥-٣٦).

اليهود من المخلطين وغيرهم فكفهم الديوان عن ذلك وخرج النواب من بغداد متوجهين إلـــى بلادهم فصادفهم الأكراد وقتلوهم"[١]".

يتضح من خلال ذلك الكلام ازدهار حال اليهود في ذلك الوقت وارتفاع شأنهم إلى درجة أنهم قاموا باستلام الوظائف الإسلامية لكن هذا الأمر بالطبع قد أثـــار المشـــاعر فحـــدثت الفـــتن والصراعات في بغداد ضد اليهود.

ومما يدل أيضاً على ارتفاع مكانة اليهود ماشاع في بغداد من أن عز الدولـــة ابـــن كمونـــة اليهودي قد صنف كتاباً سماه " الأبحاث عن الملل الثلاث " تعرض فيه بذكر النبـــوات وقـــال مانعوذ بالله من ذكره، فثار العوام وهاجوا وقد أرادوا قتله فاختفى حيث تم تهريبه إلى الحلـــة وذلك بوضعه في صندوق مجلد حيث كان ولده كاتباً فيها فأقام أياماً وتوفي هناك"[٢]".

النشاط الشيعي في عهد أرغون:

برز نشاط للشيعة في عهد أرغون وذلك إنه في عام ٦٨٣هـــ /١٢٨٤م من شهر رمضان ظهر في سواد الحلة"[٣]" رجل يعرف بأبي صالح ادعى أنه نائب صاحب الزمان الذي ادعى أنه أرسل إليه أن يعلم الناس عن قرب ظهوره، واستغوى الجهال بذلك، وأنعم عليه خلق كثير من الناس، فقصد بلاد واسط ونزل في موضع يسمى "بلد الدجلة" ،وأخذ من أموال النـــاس شـــيئاً كثيراً، وسار إلى قرية قريبة من واسط تعرف بالأرحاء وراسل صدر واسط فخر الدين بـــن الطراح بأن يخرج إليه، فقال لرسوله "قل له يرحل عن موضعه ويحفظ نفسه ومن تأخر أنفذت العساكر لقتاله " فرحل وقصد الحلة فأرسل إلى صدرها "ابن محاسن" يستدعيه إليـــه فـــأخرج

١- ابن الفوطي :الحوادث الجامعة الجامعة ،ص٤٥٥،محمد سهيل طقوش : تاريخ المغول العظـــام،ص٢٤٣،يوســـف رزق الله غنيمة :نزهة المشتاق ،ص١٥٤.

٢- ابن الفوطي :الحوادث الجامعة ،ص٤٤١،جعفر خصباك :العـــراق ،ص٢٠٥،محمـــد رضـــا الشـــبيبي : مـــؤرخ العراق،ص.١٥٩

٣- الحلة:قرية مشهورة في طرف دجيل بغداد من ناحية البرية بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ تنزلها القوافل .(يـــاقوت الحموي :معجم البلدان ،ج٢،ص٢٩٥).

ولده في جماعة من العسكر فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل ابن محاسن وجماعة من أصحابه وانهزم الباقون فكاتب والده الحكام ببغداد يعرفهم بذلك فركب شحنة العراق وسار إليهم، وأما أبو صالح فإنه قصد قبة الشيخ ابن البقلي بناحية النجمية من قوسان فقتل كل من بها من الفقراء والصالحين ونهب أموال أهل الناحية فوصل شحنة العراق بعساكره وأحاط به وبأصحابه وأعمل السيف فيهم فلم ينج منهم إلا نفر يسير، وحمل رأس أبي صالح وأصحابه إلى بغداد وعلق بها"[1]، وبالإضافة إلى تلك الحركة ظهرت حركة أخرى في قرية من قرى واسط تعرف بقرية الشيخ وقد تزعمها رجل اسمه "شامي"ادعى ما ادعاه أبو صالح وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فمال الناس إليه وتاب خلق كثير على يديه، واعترف قوم بالقتل وغيره وسأل أن يقتص منهم واعترف آخرون أنهم سرقوا مال فلان وفلان يوم كذا فكثر جمعه، فأرسل فخر الدين بن الطراح صدر واسط ينهاه عن فعله ويتهدده بالقتل، فلما اتصل به ماجرى لأبي صالح هرب والتجأ إلى العرب وتفرق جمعه"[2].

هنا يتبادر إلى ذهننا سؤال هو ماهي الأسباب التي دفعت هؤلاء الأشخاص إلى الإدعاء بعودة المهدي المنتظر آخر الأئمة الاثني عشرية ؟

هل كان لتدهور أوضاع المسلمين في عهد أرغون دور في ذلك الأمر مما دفع بالناس من كلا الطائفتين "السنة والشيعة "إلى تصديق ذلك الرجل وذلك بسبب ما أصابهم من جور وظلم على أيدي أرغون وأتباعه من اليهود مما دفع بالناس وخصوصاً المظلومين والفقراء منهم إلى تصديق هذه الادعاءات ومناصرة المدعين.

١- ابن الفوطي :الحوادث ،ص٤٤٠ ،عباس العزاوي : تاريخ العراق ،ص٣٢٨ ،جعفر خصباك :العراق ،ص٨٧-٨٨.

٢- ابن الفوطي :الحوادث الجامعة ،ص٤٤١ ،عباس العزاوي :تاريخ العراق ،ص٣٢٩،جعفر خصباك :العراق ،ص٢٨٨.

علاقة أرغون مع المسيحيين والغرب الأوربي:

كان أرغون يميل إلى المسيحيين وإلى ترميم الكنائس التي تهدمت في عهد السلطان أحمد، وانتزاع بيت المقدس من المسلمين وإعادتها إليهم"[١]"،وكان الهدف من عطفه على المسيحيين تكوين حلف مغولي صليبي تكون له القوة على مجابهة المماليك والانتصار عليهم"[٢]"،وبالإضافة إلى ذلك فإن ميل أرغون إلى المسيحيين يعود إلى زواجه من أوروك خاتون وهي بنت ساروجه من قوم كرايت وساروجه هو أخو دوقوز خاتون "[٣]"، وهذه القبيلة تدين بالمسيحية، كما إن هذه الأميرة هي ابنة أخي دوقوز خاتون وكانت مسيحية نسطورية فكان من الطبيعي أن يلقى المسيحيون من أرغون العطف والمحبة؛ فأعاد عمارة الكنائس التي دمرها تكودار منها كنيسة في مراغة ، وقد كان سلوك أرغون إزاء المسيحيين واضحاً لدرجة أنه أعدت ترتيلة كنائسية كان يرتلها المسيحيون من أجل سلامة الإيلخان، وقد توطدت الصداقة بين أرغون والجاثليق(جبلها الثالث) ووصلت إلى حد أن المغول غير المسلمين كانوا يوسطونه لدى الإيلخان في سبيل قضاء مصالحهم"[٤]".

بالإضافة إلى ذلك فإن أرغون اقتفى أثر والده أباقا خان في سياسته الخارجية الرامية إلى التحالف مع الغرب الأوربي"[٥]"، لذلك دخل في مراسلات مع البابا وملوك أوربا المسيحية، فراسل البابا هنريوس الرابع والبابا نيكولاي الرابع وأعرب عن نواياه في خدمة المسيحية، ونال ثناء البابوات وتشجيعهم"[٦]"،وقد أراد أرغون التحالف مع المسيحيين الأوربيين من أجل الدخول في هجوم مشترك ضد المسلمين فيعبر المغول إلى بلاد الشام، وينزل الصليبيون في عكا أو دمياط على أن يقتسما أملاك المماليك في بلاد الشام فتكون دمشق وحلب من نصيب

١-عباس إقبال :تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية،ص٢٥٤.

٢-فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص١٩٠.

٣-رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ،مج٢،ج٢، ،ص١٢٤.

٤- فؤاد الصياد :الشرق ،ص١٩١..

٥- محمد سالم بكر باعمر :الصراع بين الإسلام والوثنية ،ص٤٦.

٦-عباس إقبال : تاريخ المغول ،ص٢٥٤.

المغول ويستأثر النصارى ببيت المقدس، ولتحقيق هذا الأمر شرع أرغون بإرسال السفراء إلى ملوك أوروبا والبابوية"[1].

<u>السفارة الأولى:</u>

سفارة رابان صوما إلى الغرب: **هو** تركي الأصل، ولد في بكين في حدود سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، وقد تعرف على رجل يدعى مرقس من النسطوريين وهو تركي الأصل أيضاً وهما في طريقهما من الصين قاصدين زيارة بيت المقدس"[2"،استولت الدهشة والرعب على الطائفة المسيحية في بكين لسماعهما خبر الرحلة لأن مثل هذه الرحلة كانت آنذاك رحلة إلى آخر الدنيا"[3]"، وقد اجتاز هذان الشخصان آسيا الوسطى، ولكن تعذر عليهما مواصلة السير إلى الشرق الأدنى بسبب اضطراب الأحوال السياسية فأقاما عدة سنوات في إيران ثم انتخب مرقس جاثليقاً بالعراق سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م، وتلقب بلقب "ماريابهالا"الثالث"[4]"، وقد طلب أرغون من الجاثليق إعطائه رجلاً عاقلاً يكون قادراً على القيام بأعباء سفارة فقام الجاثليق باختيار صوما"[5]"، وقد أبحر هذا القس من القسطنطينية قاصداً نابولي فوصل إلى روما سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م ونظراً لأن البابا كان قد توفي منذ وقت قريب استقبلته هيئة الكرادلة استقبالاً حافلاً أول الأمر ولكن سرعان ماتبين له أن هؤلاء الكرادلة غارقون في الجهل ولا يتوقع أن يقدموا له المساعدة لأنهم يجهلون تماماً انتشار المسيحية بين المغول، وقد فزعوا عندما علموا أنه يعمل لحساب سيد وثني ولما حاول أن يناقشهم في الشؤون السياسية جابهوه بأسئلة عن

١- محمد سهيل طقوش :تاريخ المغول ،ص٢٤٥.

٢- فؤاد الصياد :الشرق،ص١٩٣.

٣- سهيل زكار :الموسوعة الشامية ،ج٤٧،ص١٤٧.

٤- فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص١٩٣.

٥- سهيل زكار :الموسوعة الشامية ،ص١٥٣.

ديانته فصاح فيهم قائلاً إنني لم أجئ إلى هنا للبحث في العقائد الدينية بل جئت لأقدم شكري واحترامي لمولاي البابا وأسلم رسالة السلطان والجاثليق وأرسم خططاً للمستقبل"[1]".

بعد ذلك رحل إلى باريس ٦٨٦هـ/١٢٨٧م ونزل ضيفاً عند الملك الشاب فيليب الرابع لوبل الذي بالغ في تكريمه وأبدى اهتماماً في الاستماع إلى رسالته وتلقى منه وعداً بأن يتولى بنفسه حملة لتخليص بيت المقدس، ولما هم بالمغادرة عين الملك الفرنسي سفيراً ليرافقه إلى الشرق يدعى جوبرت هلفيل كي يعقد اتفاقية التحالف مع المغول"[2]"،كما إن صوما التقى بادوارد ملك انكلترا في بوردو عاصمة ممتلكاته الفرنسية والمعروف أن ادوارد حارب في الشرق وظل زمناً طويلاً يدافع عن فكرة التحالف مع المغول لذلك لقيت مقترحاته الاستجابة التامة من قبل الملك الذي اعتبره صوما أكفأ من لقيه في الغرب من رجال السياسة"[3]"، وعندما سمع صوما أن نيقولا الرابع انتخب لمنصب البابوية خلفاً للبابا هونوريوس الرابع في فبراير ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨ عاد في ربيع السنة التالية إلى روما كي يقضي عدة أسابيع في ضيافة البابا الجديد، وهناك سمح له بالمشاركة في المراسم الدينية التي تقام في كنيسة بطرس المقدس، وقبل أن يغادر صوما روما في طريقه إلى الإيلخان وبصحبته جوبرت هلقيل حمله البابا رسائل إلى الإيلخان والجاثليق كما زوده ببعض الهدايا"[4]" .

يتضح من هذه الرسالة أن البابا الجديد كان كل مايهمه هو تنصير أرغون خان والشعب المغولي، وبالنسبة لملكي فرنسا وانكلترا فإن ردودهما لم تحمل سوى طابع المجاملة والود مع

١- فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص١٩٤،السيد الباز العريني :المغول ،ص٣٠٦-٣٠٧،سهيل زكار :الموسوعة الشامية ،ص١٥٧.

٢- سهيل زكار:المرجع نفسه،ص٢٤٧.

٣- السيد الباز العريني :المغول ،ص٣٠٧.

٤- فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص١٩٤.

الترحيب بالمشاركة في الحملة الصليبية الخامسة وإن لم يوضحا متى ستكون تلك المشاركة"[1]".

وفي الحقيقة إن هذه الرسائل لم تحدث أي تأثير يذكر، وكل ما أسفرت عنه هو زيادة الارتباط بين سلاطين أوروبا وبابواتها وبين المغول في إيران، ونتيجة لهذا الارتباط اشتد نفوذ رجال الدين المسيحي والتبشير بهذا الدين في ممالك الإيلخان"[2]".

سفارة بوسكاريل جيزولف:

في سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م بعث أرغون مبعوثاً آخر وهو بوسكاريل جيزولف وهو جنوي أقام زمناً طويلاً في بلاد الإيلخانيين وقد حمل معه رسائل موجهة إلى البابا وملكي انجلترا وفرنسا، وتضمنت أن الملك أرغون يرسل إلى ملك فرنسا بأنه سوف يتوجه إلى الشام في يناير سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م وإنه سيصل إلى دمشق في فبراير، فإذا أرسل الملك قوات مساعدة واستطاع المغول فتح بيت المقدس صارت له، أما إذا لم يتعاون فسوف تفشل الحملة"[3]"، وعمد بوسكاريل جيزولف حتى يشجع الدول الغربية على تلبية نداء المساعدة والاشتراك مع المغول في حملة صليبية إلى إضافة حاشية باللغة الفرنسية تتضمن تحيات الإيلخان أرغون إلى الملك الفرنسي وأنه سوف يصحب معه ملكي الكرج وأرمينيا الصغرى النصرانيين على رأس جيش يتراوح عدده بين عشرين وثلاثين ألفاً من الفرسان، وأنه سوف يقوم بتزويد الجنود الصليبيين بما يلزمهم من مؤن، ولابد أن رسالة مماثلة بمضمونها وجهت إلى الملك الانكليزي ادوارد الأول"[4]". ولكن على الرغم من هذه المحاولات لم تسفر هذه السفارة عن نتائج فعالة فاضطر أرغون إلى إيفاد بوسكاريل مرة أخرى مع اثنين من المغول

١- محمد سالم بكر باعمر : الصراع بين الإسلام و الوثنية،ص٤٨.
٢- فؤاد الصياد :الشرق ،ص١٩٥.
٣- السيد الباز العريني :المغول ،ص٣٠٩.
٤- محمد سهيل طقوش :تاريخ المغول،ص٢٥٠.

كانا يدينان بالمسيحية، فرحل ثلاثتهم إلى روما أولاً فاستقبلهم البابا نيقولا، ثم توجهوا إلى انكلترا وهم يحملون رسائل من البابا الذي كان يعتقد أن ملك انجلترا أكثر ميلاً إلى الاشتراك في حملة صليبية مغولية إلا أن موقف هذا الملك كان مخيباً لآمال هؤلاء السفراء، إذ أنهم عندما بلغوا انكلترا في أوائل سنة ٦٩١هـ /١٢٩١م وجدوا ملكها ادوارد مشغولاً بالاستيلاء على اسكتلندا بعد وفاة ملكها فرجع السفراء إلى روما يائسين حيث أقاموا أشهر الصيف وفي ذلك الوقت سمعوا بوفاة عاهلهم أرغون"[١]"، والواضح أن كل ما كان يأمله أرغون من التحالف مع الصليبيين هو محاولة الإبقاء على بقايا الإمارات الصليبية وإقامة التحالف مع المسيحيين لسحق قوة المماليك وإضافة بلادهم إلى إمبراطورية المغول على أن ماحدث فعلاً أن الإمبراطورية المملوكية ظلت قائمة لمدة ثلاثة قرون ولم يمض على وفاة أرغون أربع سنوات حتى دخل مغول فارس في الإسلام"[٢]".

كيخاتو وموقفه من المعتقدات الدينية:

كيخاتو هو الابن الثاني لأباقا خان"[٣]"،وقد تولى الحكم بعد أرغون سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م وأقام بالروم مدة"[٤]"، وكان أكثر الأمراء في بادئ الأمر قد اتفقوا على تولية بايدو"[٥]"،حيث أن الأمراء سعوا إلى تتويج بايدو بن طوغان حفيد هولاكو و حاكم بغداد بدلاً منه وكتبوا إليه يدعونه لذلك إلا أن بايدو رفض ذلك "[٦]"،ولما علم كيخاتو أن الأمراء في انتظاره توجه من الروم نحو إيران ولحق بالخواتين والأمراء في آلاتاغ وقد اتفقوا جميعاً على توليته وذلك في

١- فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص١٩٦،محمد سهيل طقوش : تاريخ المغول العظام ،ص٢٥١.

٢- السيد الباز العريني :المغول ،ص٣١١.

٣- رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ،ص١٧٠.

٤- الصفدي :الوافي بالوفيات ،ج٢٤،ص٣٧٨-٣٧٩.

٥- رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ،ص١٧٢،الصفدي :الوافي ،ج٢٤ ،ص٣٧٩.

٦- رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ،ص١٧٢،عبد المحمد ايتي : تحرير تاريخ وصاف،١٥٧،عباس إقبال :تاريخ المغول،ص٢٥٥.

يوم الأحد ٢٤رجب سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م"[١]"، وكان على رأس من استقبله أوروك خاتون زوجة أرغون خان وحفيدة دوقوز التي كانت من طائفة الكرايت وتدين بالمسيحية"[٢]"،وفي الرابع من رمضان سنة ٦٩٠هـ /١٢٩١م واجه كيخاتو أول تمرد ضده قام به جماعة من التركمان هناك، فتوجه إليهم واستطاع بمعاونة من الكرج المسيحيين أن يخمد هذه الثورة وعاد منتصراً إلى إيران في جمادى الآخرة سنة ٦٩١هـ /١٢٩١م"[٣]"،وقد أشاع بعض الأمراء بأن التركمان في الروم تغلبوا على كيخاتو وقضوا عليه فاتفقوا على تولية الأمير "انبارجي" لكن الأخبار وردت بعودة كيخاتو منتصراً، وأنه بصحة وعافية"[٤]"،ويذكر أن كيخاتو وهو في طريق عودته من بلاد الروم وعندما وصل الاتاغ زاد عليه المرض فتجمع جميع علماء وأئمة المسلمين والرهبان والجثاليق والأساقفة واليهود حتى يدعوا له ويطلبوا من الله شفاءه، وتم توزيع صدقات كثيرة كي تتحسن صحته"[٥]"،وقد ذكر رشيد الدين بأن الطبيبان النصرانيان ربيب الدولة وصفي الدولة قد بذلا جهوداً في سبيل علاجه حتى عادت صحته كاملة خلال أربعين يوما"[٦]"، نلاحظ من خلال الكلام الذي ذكرناه سابقاً محاولة الطوائف المختلفة أن تلقي المحبة في قلب الإيلخان الجديد عله ينضم إلى طائفة على حساب الأخرى.

وفي شهر جمادى الآخرة من ٦٩١هـ /١٢٩٢م جلس على العرش وأقام احتفالاً كبيراً بهذه المناسبة، وقام بإطلاق سراح المساجين وإنفاق الصدقات ومنح العلماء والسادات وأرباب الفضل العطايا والهبات، ولقد وزع تلك الأموال التي جمعها الآخرون من المذابح وإراقة الدماء ،على نساء وفتيات المغول"[٧]".

---

١ - رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ،ص١٧٢-١٧٣.

٢- عباس إقبال : تاريخ المغول ،ص٢٥٥.

٣- عباس إقبال : المرجع نفسه،ص٢٥٥،صبري سليم :الصراع السياسي ،ص٣٨٠.

٤- رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ،ص١٧٥-١٧٦.

٥- عبد المحمد ايتي : تحرير تاريخ وصاف ،ص١٥٩.

٦ - عبد المحمد آيتي :تحرير تاريخ وصاف ،ص١٧٩.

٧-عبد المحمد ايتي : المصدر نفسه ،ص١٥٩،عباس إقبال : تاريخ المغول،ص٢٥٥.

وربما يكون قصده من الذين أراقوا الدماء هو سعد الدولة وأرغون الذين قاموا بجمع الأموال من الناس بالظلم والاضطهاد، وعلى الرغم مما توحي به هذه التصرفات من جود وعطاء فقد أدت إلى تقويض دعائم دولته بسبب خواء الخزانة ونقص العوائد وبالتالي إلى شقاء الناس"[1]"، وبعد ذلك تقرر إسناد منصب صاحب الديوان إلى صدر الدين الزنجاني سنة ٦٩١هـ/١٢٩٢م وتلقب بلقب" صدر جهان "أي صدر العالم"[2]"،وقد كان صدر الدين من أبناء أحد قضاة ولاية زنجان والتحق وهو في عنفوان الشباب بخدمة الأمير المغولي طغاجار وقبل النيابة له، ولما استقل طغاجار بحكم تلك البلاد جعل صدر الدين أحمد مسؤولاً عن تنظيم أموال هذه البلاد، فنظم صدر الدين أعماله تنظيماً كاملاً والحقيقة أن صدر الدين أحمد كان كريماً فكان كلما حصل على شيء أنفقه على السادات والعلماء والمشايخ والفضلاء"[3]"، بالإضافة إلى ذلك فقد حصل أخاه قطب الدين على منصب قاضي القضاة كما أسندت إليه حكومة تبريز"[4]"، وولاه بالإضافة إلى ذلك أمر النظر في الأوقاف وبيت المال والصدقات والأمور الشرعية والمصالح الدينية"[5]" وأما حكومة العراق فقد عهد بها إلى ابن عمه قوام الملك"[6]".

هذه الأمور تدل على سياسة كيخاتو تجاه المسلمين إذ لم يحمل تجاههم شعور العداء والكراهية التي تميز بها سلفه أرغون بل على العكس أعاد الأمور إلى نصابها وسلم المسلمين مناصب الدولة الهامة كما ذكرسابقاً، وقد استقبل الأمراء تنصيب صدر جهان بالترحاب وأصبح هذا الوزير صاحب السلطة المطلقة والشخصية الأولى في الممالك الإيلخانية، كما إن كيخاتو أصدر أمراً بعزل كل الأمراء والكتبة من ضفاف جيحون حتى حدود مصر وتفويض صدر

١- عباس إقبال : تاريخ المغول،ص٢٥٦.

٢- رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ،ص١٧٩

٣- خواندمير :دستور الوزراء ،ص٣٦٦.

٤- رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ،١٧٩.

٥- عبد المحمد ايتي : تحرير تاريخ وصاف ،ص١٦٠.

٦ - رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ،ص١٧٩،عبد المحمد ايتي : تحرير تاريخ وصاف ،ص١٦٠.

جهان في الإبقاءعلى من يشاء منهم في منصبه"[1]"، وبناء على هذه الأمور ألب هذا الأمر عليه بعض الأمراء الحاسدين فوضعوا له سهم المكر والخديعة ووشوا به لدى السلطان بقولهم :"إن صاحب الديوان ينفق الأموال الكثيرة حسب هواه ولذلك أصبحت مصلحة العسكر وإمدادات الجيوش ومعداتها مهملة ومختلة، لكن السلطان لم يصغ إلى تلك الوشاية المذمومة وجدد الالتزام بتنفيذ أوامر دولته الممتدة من شاطئ جيحون حتى حدود مصر بفضل بصيرة صدر الدين وكفاءته وإعطائه حق التصرف في أمر جماعة الأعداء والحاسدين لكن صدر الدين عفا عنهم لأن شعاره كان العفو والرحمة"[2]".

هذه الأمور تشير إلى أن كيخاتو خان كان قد أحسن التعامل إلى المسلمين ويتضح ذلك من خلال حس معاملته مع صدر الدين الزنجاني والإحسان إليه بالإضافة إلى ذلك قام بإعطائه صلاحيات كبيرة في البلاد متجاهلاً بذلك حتى أمراء المغول أنفسهم وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن كيخاتو خان لم يكن يحمل حقداً على المسلمين بل كان يقربهم إليه ويوليهم المناصب المختلفة بالدولة، ولم يكتف بذلك بل إنه أيضاً كان يحاول التخفيف عن الناس الذين عانوا من الجور والظلم في عهد أرغون .

ذكر الصفدي بأن كيخاتو كان له ميل إلى الإسلام وإحسان إلى الفقراء"[3]"،ففي سنة ٦٩٣هـ /١٢٩٣م أمر السلطان كيخاتو شمس الدين محمد التركستان المعروف بالسكروجي بالمسير إلى العراق والياً عليه مزيلاً عن الرعية ماجدد عليهم من الأثقال، فلما دخل بغداد أظهر العدل والإحسان وحسن النظر في أحوال الناس وأجراهم على أجمل القواعد، ونظر في أمر الوقوف وأجرى أربابها على شروط الواقفين، وأدر عليهم الأخباز والمشاهرات ووعد الناس بأشياء يخاطب بها السلطان ويعتمدها معهم"[4]"، ولكن رغم هذه الأمور التي ذكرناها

١- عباس إقبال : تاريخ المغول ،ص٢٥٦.

٢- خواندمير :دستور الوزراء ،ص٣٦٨.

٣- الوافي بالوفيات ،ج٢٤،ص٣٧٩.

٤- ابن الفوطي :الحوادث ،ص٤٧٥،عباس العزاوي : تاريخ العراق ،ص٣٥٧.

سابقاً فإن العلاقة بين المغول والمسلمين بشكل عام لم تكن على درجة كبيرة من الود وذلك لأن المغول كانوا غزاة غاصبين للأرض وبالتالي لابد من وجود النزاع فيما بينهم وبين المسلمين وخاصة أيضاً أن طرفي النزاع كان متمثلاً بين جبهتين رئيسيتين هما المغول من جهة والدولة المملوكية من جهة أخرى التي حملت مهمة الدفاع عن الأراضي المغتصبة من قبل المغول فكان لابد من قيام المشاكل والخلافات من قبل الطرفين ، ففي سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م وثب باطني على تفاجو أمير المسلحة بالعراق على رأس الجسر العضدي ببغداد وضربه بحجر عدة ضربات قتله بها وشد هارباً فمد له رجل أصفهاني رجلاً على الجسر فسقط، وقد تم القبض عليه فجعل يقول "فداء الملك الأشرف – فداء الملك الأشرف"فسلم إلى ابن تفاجو المغولي فمثل به وقطع أطرافه وهو حي ولم يتأوه ثم قال لقاتله "يامحنث إنك لم تصنع شيئاً إلا وهو دون ما كان في نفسي فاصنع مابدا لك فقتله وألقاه في المكان الذي قتل فيه أباه"[١].

هذه الحادثة تدل على مدى الخلاف والصراع بين المغول والمسلمين إذ أن ذلك الباطني قد قام بقتل ذلك الرجل وربما بإيعاز من الملك الأشرف خليل بن قلاوون"[٢]، لأنه معلوم مدى العداء الذي كان بين هذين الطرفين، بالإضافة إلى ذلك قام السلطان كيخاتو بتحدي سلطان الإسلام والمسلمين وذلك عندما وصل مملوك نائب حلب يخبر بحضور رسل كيخاتو ملك المغول وهم جماعة كثيرة حيث أوصل الرسل الكتب وقالوا بأن الخان الجديد يريد أن يدخل مدينة حلب ويقيم فيها ويجعلها مكان إقامته فهي له بعد أن فتحها أبوه هولاكو بحد السيف وهي في ملكه وإذا لم يسمح للخان بدخول حلب فإنه سيعبر إلى الشام، فأسرع السلطان المملوكي

١- ابن الفوطي :الحوادث الجامعة،ص٤٧٥ ،عباس العزاوي :تاريخ العراق ،ج١،ص٣٥٦،صبري سليم :الصراع السياسي ،ص٣٨٢.

٢- الأشرف خليل : وهو الثامن من ملوك الترك جلس على كرسي الملك بعد وفاة أبيه في ذي القعدة سنة٦٨٩هـ/١٢٩٠م وكان والده قلاوون قد سلطنه في حياته بعد موت أخيه الملك الصالح علي وهو الذي هدم قبور الخلفاء الفاطميين وبنى مكانها الخان المسمى الآن بخان الخليلي وقتل في المحرم سة ٦٩٣هـ /١٢٩٣م (ابن تغري بردي :النجوم الزاهرة ،ج٨ ،ص٣،ابن إياس :بدائع الزهور،ص٣٦٥.،محمد فريد بك المحامي :تاريخ الدولة العلية العثمانية ،تح:إحسان حقي ،ط٢ ،دار النفائس ،بيروت ،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

بالجواب وهو يبتسم وقال :الحمدلله الذي وافق أخي القان ماكان في نفسي فكنت قد تحدثت مع أمراء دولتي أن أسير طالباً بغداد من أخي وإن لم يسمح لي بها ركبـت ودخلـت بعسـكري وخربت بلاده وقتلت رجاله وفتحتها قهراً وجعلت فيها نائباً من جهتي فـإن بغـداد هـي دار السلام وأرجو أن أعيدها للإسلام كما كانت، ولكن إذا وصلتم إليه عرفوه من يسبق إلى بـلاد صاحبه ويدخل فيها، فلما خرج الرسل طلب الوزير أن يكتب إلى سـائر الـبلاد والعواصـم بتجهيز الإقامات وكذلك للعساكر أن يجهزوا لدخول الفرات وأخذ بغداد ورسـم إلـى سـائر الأمراء أن لا يدخل أحد منهم الميدان يوم الميدان إلا وهو لابس عدة الحرب هو وفرسه"[١].

هنا نلاحظ مدى تجرؤ كيخاتو على المطالبة بحلب التي عدها من أملاك جده هولاكو، بـل ويظهر تجرؤه أيضاً بالمسير إلى الشام إن لم يقم السلطان المملوكي بتحقيـق هـذا الطلـب لكيخاتو وفي هذا دلالة كبيرة على مدى غطرسة الغاصب المغولي الذي يطالب بشيء لـيس من حقه كما نلاحظ من جهة أخرى ذكاء وحنكة السلطان المملوكي وهدوء أعصابه وذلك في الرد على الغاصب المغولي ومخاطبته بأخي وإنه أيضاً يريد بغداد التـي هـي أيضـاً حـق للمسلمين وقام المغول باغتصاب ذلك الحق، وقد قصد السلطان الممـلوكي أن يـري رسـل المغول العرض العسكري وذلك حتى يرى هؤلاء الرسـل قـوة المماليـك وقـدرتهم علـى محاربتهم.

نهاية كيخاتو:كان كيخاتو شديد الحرص على الشهوات وكثير التعدي على نواميس الأخلاق ويتعدى على الأولاد والبنات حتى وهو جالس على سرير الملك يحكي كل ما يحصـل فـي الخلوة بلذة كبيرة"[٢].

١- بدر الدين العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان،تح:محمد محمد أمين ،الهيئة المصـرية للكتـاب ،القـاهرة ،١٩٨٩م،ج٣(٦٨٩-٦٩٨هـ/١٢٩٠-١٢٩٨م)،ص١٨٧-١٨٨،المقريزي :السلوك ،ج١،ق٣ ،ص٧٧٥.

٢-عبد المحمد ايتي : تحرير تاريخ وصاف ،ص١٦١.

وقد ذكرت بعض المصادر العربية بأن كيخاتو أفحش في الفسق واللواط بأبناء المغول فأبغضوه على ذلك وفسدت نياتهم فيه"[1]، كل هذه الأمور أدت إلى كره الأمراء المغول له ورغبتهم في التخلص منه، بالإضافة إلى ذلك حصلت في عهد كيخاتو أزمة مالية هزت كيان دولته ، فقد عرف عنه البذل والسخاء حيث كان يهب الكثير من المال ويسلك طريق الإفراط والبذخ"[2"]،لذلك عمدوا إلى إصدار عملة (الجاو)"[3]"التي كانت رائجة في بلاد الخطا (الصين) وقد عرضوا هذه المسألة على كيخاتو الذي استحسن هذا الأمر وقد أظهروا هذا الجاو في يوم السبت من شوال سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م وكانت الأوامر تقضي بقتل كل من لايتعامل به مما اضطر سكان تبريز إلى الرحيل عن بلدهم"[4]".

كل هذه الأمور التي ذكرت آنفا دفعت بايدو وعدد من الأمراء بالتمرد عليه وشق عصا الطاعة لكن كيخاتو قبض على هؤلاء الأمراء المتمردين حيث سجنوا، وكان طغاجار قد بعث برسالة إلى بايدو يحثه على الخروج للقضاء على كيخاتو وعندما علم كيخاتو بذلك أراد الهرب إلى بلاد الروم لكن بعض أفراد حاشيته قالوا له إنه ليس من المصلحة ترك التاج والعرش للعدو ثم الفرار منه ،وطلبوا منه السير لمحاربتهم وقد دارت الحرب بين الطرفين والتي انتهت بانتصار بايدو وإعدام كيخاتو سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م"[5]".

بايدو وموقفه من المعتقدات الدينية

بايدو خان هو ابن طرغاي بن هولاكو وكان والده قد توفي على إثر صاعقة أصابته وهو في طريقه إلى إيران وأمه من محظيات هولاكو واسمها "بورقجين" وقد تولى حكم المغول عدة

١- أبو الفدا :المختصر ،ج٤ ،ص٣٦ ،ابن خلدون :العبر،ج٥ ،ص٥٤٧،بدر الدين العيني :عقد الجمان،ج٣،ص١٠٥.

٢- رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ،ص١٨٢ ،فؤاد الصياد :مؤرخ المغول الكبير رشيد الين ،ص٦٨.

٣ – سيرد الحديث عن عملة الجاو وعن أصل هذه العملة في الفصل الرابع

٤ – رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ ،مج٢،ج٢،ص١٨٢.

٥ – رشيد الدين الهمذاني: المصدر نفسه،ص١٨٦-١٨٨.

أشهر بعد كيخاتو"[1]،وقد تولى الحكم في ١٩ من جمادى الأولى سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م وذلك عندما وصله نبأ مقتل كيخاتو فقد أرسل إليه الأمراء رسولاً كي يحضر ويجلس على العرش وعندما سمع نبأ ذلك ابتهج وفرح فرحاً شديداً وقتل طائفة الأمراء الذين كانوا على عداء معه"[2].

لم يكن بايدو على عداء مع المسلمين ويتضح ذلك من خلال إبقائه الوزارة بيد المسلمين كما كانت في زمن سلفه كيخاتو حيث قلد الوزارة إلى الوزير كمال الدين الدستجرداني بدلاً من صدر الدين الزنجاني"[3]، بالإضافة إلى ذلك قام بايدو بإصدار عدة قرارات منها أنه أصدر أوامره بأن كيخاتو كان لاهياً عن شؤون الدولة دون اعتبار للياسا الجنكيزية فقمنا بإقصائه بالاتفاق مع الخواتين والأمراء وقررنا إعادة الخيرات التي أقرها أجدادنا إلى مستحقيها وإعفاء الأوقاف الإسلامية من الضرائب"[4]،هذه الأمور كلها تدل على أن بايدو لم يعامل المسلمين كما عاملهم أرغون وإنما تعامل معهم بشكل أقل قسوة منه،أما بالنسبة لديانته فتشير بعض المصادر إلى أن بايدو كان مسيحياً يميل إلى دين النصرانية وقيل إنه تنصر"[5]، ويدلل كلام ابن العبري على أن بايدو كان مسيحياً ويرجع الفضل في ذلك إلى دسبينا قرينة أباقا التي كانت مقيمة لدى بايدو منذ بضع سنين فلذلك كان يميل إلى العطف على المسيحيين وينقل معه في معسكره كنيسة وناقوساً غير أنه لم يستحسن المجاهرة بالدين المسيحي لأن المغول في عهد ابن العبري كباراً وصغاراً قد انضموا إلى الدين الإسلامي واختتنوا وجعلوا يزاولون الغسل والصلوات الخاصة بهم مما حمله على المجاهرة بالإسلام تحبباً إليهم ومع ذلك كله لم يتمكن من الاستغناء عن النصارى إذ لم يكن يثق بغيرهم في شؤون الدولة وحساباتها وهذا ما

---

١ – رشيد الدين الهمذاني :جامع التواريخ،مج٢ج١،ص٢٢٥-٢٢٦.

٢– رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ،مج٢ج٢،ص١٨٨.

٣– خواندمير :دستور الوزراء ،ص٣٧٢.

٤– عباس إقبال : تاريخ المغول ،ص٢٦١،محمد صالح داود القزاز :الحياة السياسية ،ص٨٣.

٥– ابن تغري بردي الأتابكي :النجوم الزاهرة ،ج٨،ص٥٣،الصفدي :الوافي،ج٢٤،ص٣٧٩،ماركو بولو : رحلات ،ج٣،ص١٢٨.

حمله على أن يعرج على الجنبين إذ كان يقول للنصارى أنه نصراني والصليب معلق في عنقه وللمسلمين أنه مسلم ولكنه لا يستطيع أن يمارس غسولهم وصلواتهم، وكان إذا حضر أئمة المسلمين للصلاة وجه ابنه ليصلي معهم تأميناً لأفكاره وتهدئة لسخطهم وقد عرف المسلمون أنه يميل إلى المسيحيين أكثر من ميله لهم"[1].

نهاية بايدو:

بلغ غازان الابن الأكبر لأرغون خان ماجرى على السلطان كيخاتو و كان في خراسان عظم عليه ذلك الأمر و أقبل بعساكره و معه الأمير نوروز وقصد بايدو وهو بأذربيجان فلما قرب منه أرسل إليه نوروز ينكر عليه قتل عمه فاعتذر بالأمراء و ركب الحجة عليهم في ذلك و طلب من نوروز أن يصلح الحال بينهما، فعاد إلى غازان و عرفه ذلك فترددت الرسل بينهما و مال أكثر الأمراء إلى غازان فهرب بايدو بنفر من أصحابه فأدركوه و حملوه إلى غازان فأمر بتسليمه إلى أصحاب كيخاتو فسار إليهم فقتلوه و كان ذلك في شوال و كان عمره نحو أربعين سنة و ملكه سبعة أشهر"[2].

وبمقتل بايدو انتهى حكم المغول الوثنيين و سيبدأ حكم جديد باعتلاء غازان العرش الإيلخاني حيث سيتم التحول إلى الديانة الإسلامية.

نلاحظ تأرجح موقف بايدو بين المسيحية والإسلام ونلاحظ من خلال هذا التأرجح أن المغول بدأت تتطور لديهم فكرة قوية عن الدين وضرورة اعتناقهم لدين من الأديان سواء أكان هذا الدين المسيحية أو الإسلام وهذا ما سنلاحظه فيما بعد حيث أننا أصبحنا نلاحظ تغلغل الدين الإسلامي بين صفوف المغول وهذا ما سيحول مسار المغول باتجاه اعتناق الإسلام الذي سيتبلور مع استلام غازان الحكم وإعلانه اعتناق الإسلام.

---

١ - ابن العبري :تاريخ الزمان ،ص٣٧٦،جعفر خصباك :العراق ،ص١٩٤ ،فؤاد الصياد :الشرق ،ص٢٤٣،صبري سليم : الصراع السياسي،ص٣٩٥.

٢- ابن الفوطي: الحوادث، ص ٤٨٣، عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٢٦٥-٢٦٦ .

الفصل الثالث

موقف المغول الإيلخانيين المسلمين من المعتقدات الدينية

- غازان خان ٦٩٤-٧٠٣هـ/١٢٩٤- ١٣٠٣م

- أولجايتو(محمد خدابنده) ٧٠٣- ٧١٦هـ/ ١٣٠٣- ١٣١٦ م

- أبو سعيد (بهادر خان) ٧١٦-٧٣٦هـ/ ١٣١٦- ١٣٣٥م

يتناول هذا الفصل الحديث عن المغول الإيلخانيين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي؛ فالسلطان محمود غازان اعتنق الإسلام وجعله دينًا رسميًا للدولة، وأعلن انفصاله عن الخانات العظام الذين كانوا يحكمون باسمهم , وسيتطرق الفصل للحديث عن السلطان محمد خدابنده ، وموقفه من المسلمين ، ومذهبه الذي اعتنقه ، وأيضا لابد من الحديث عن السلطان أبو سعيد بهادرخان الذي يعدّ آخر الإيلخانات في السلسلة التي يتم الحديث عنها ، لأن فترة حكمه تعد آخر فترة حكم فيها مغول أقوياء ومن ذرية هولاكو حيث سيضعف حكم المغول الإيلخانيين وسيؤول ذلك إلى نهاية حكمهم وزواله .

وسيتم الحديث أيضاً عن تمكن الإسلام من صهر هؤلاء المغول الغزاة في بوتقته , وبدلاً من أن يكون المنتصر الغالب هو المؤثر في الشعوب المغلوبة , نجد عكس ذلك تماماً فالمغلوب هو الذي فرض ثقافته , وحضارته على الغالب , وذلك بفضل الإسلام , والمبادىء التي يتضمنها , والقيم التي يحملها , والتي تأثر بها كل من عرف هذا الدين , ولقد تتوج ذلك باعتلاء محمود غازان العرش الإيلخاني .

غازان خان ٦٩٤-٧٠٣هـ/١٢٩٤-١٣٠٣م:

غازان هو الابن الأكبر لأرغون خان , وهو سابع الإيلخانيين حكام إيران ولد في ليلة الجمعة ٢٩ربيع الآخر سنة ٦٧٠هـ /١٢٧١م في آبسكون"[١]" من نواحي مازندران"[٢] "، ولقد حظي غازان بمحبة كبيرة من جده أباقا الذي قام بتربيته بنفسه , وذلك بعد أن طلب ذلك من والده أرغون لأن غازان كان عاقلاً في طفولته لدرجة أنه كان يجمع الأطفال ويعلمهم

١- آبسكون :بليدة على ساحل بحر طبرستان بينها وبين جرجان ثلاثة أيام وإليها ينسب بحر آبسكون.(ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج١،ص٢٨٤).

٢- رشيد الدين الهمذاني :جامع التواريخ (تاريخ غازان خان)،تر:فؤاد عبد المعطي الصياد،ط١،الدار الثقافية للنشر ،القاهرة ، ٢٠٠٠،ص٧٨،خواندمير :حبيب السير ،،ج١،م٣،ص١٤٠،فتحية حلمي أمين الدالي ،تاريخ كزيده (حمد الله المستوفي القزويني)رسالة ماجستير ،جامعة الأزهر ،القاهرة ،١٩٩٤م،ص٤،فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي في عهد المغول الإيلخانيين،ص٢٤٧،فؤاد الصياد :غازان خان ،ص٣.

القواعد والقوانين , وكان قد عين له أحد أقاربه من بين كبار أفراد الأسرة ومن الأصدقاء المقربين بحيث إنه لو تجاوز شخص حده فإنه كان يؤاخذه طبقا لقواعد الياسا , بالإضافة إلى ذلك فإن جده أباقا خان قد عهد إلى عالم خطائي أن يشرف على تربيته , وليعلمه الخط الأويغوري والمغولي والعلوم والآداب، وفي مدة خمس سنوات أتقن تلك الفنون"[1]".

وقد حرص جده أباقا أن يكون الكهنة البوذيون ملازمين له ومعلمين , فرسخت الديانة البوذية في ذهنه وخصوصاً أن هذا المذهب كان عقيدة آبائه وأجداده وكانوا حريصين على تعاليمه، والواقع أن عبادة الأصنام التي زالت بعد الإسلام من جميع البلاد تجددت شعائرها مرة أخرى في عهد المغول، وقوي أمر هذه العقيدة لدرجة أن إيران كانت تغص بجموع الكهنة البوذيين القادمين من الهند وكشمير والخطا والأويغور, وفي هذه البلاد أقاموا لهم معابد كثيرة"[2]", وكان غازان يلازم الكهنة في معابد الأصنام , ويتابع تلك الطريقة , ويومًا بعد يوم كان يزداد ميله إليها فيستحكم اعتقاده بها لدرجة أنه أقام معابد فخمة للأصنام في مدينة خبوشان"[3]" عندما كان حاكماً على خراسان "[4]".

نلاحظ من خلال ذلك حرص أباقا خان الذي كان متشرباً بالتعاليم البوذية التي كان يعتنقها أن يكون غازان مثله يعتنق البوذية ويدافع بشدة عنها وأن يكون عالماً بها لأنها تعتبر الديانة المفضلة لدى المغول الايلخانيين , وربما نجح بثاقب نظره التنبؤ بامتلاك حفيده القدرة على فرض هذه الديانة على كل المغول , وربما سيفرضها بعد ذلك على الشعوب التي سيسطر عليها .

---

١ – رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان،ص٨٠-٨٢،فتحية الدالي :تاريخ كزيده ،ص٥،فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص٢٤٧.

٢ – فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص٢٤٨،فواد الصياد :غازان خان ،ص٤،فتحية الدالي :تاريخ كزيده،ص٥.

٣ – خبوشان :بفتح أوله وضم ثانيه بليدة بناحية نيسابور.(ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج٢،ص٣٤٤).

٤ – رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان،ص٢٠٢،أحمد عبد العزيز بقوش :المجتمع المغولي،ص٢٦.

وقد فوض السلطان أرغون حكم ولاية خراسان لغازان , وجعل الأمير نوروز ملازما له"[1] .

ويرجع الفضل للأمير نوروز في اعتناق غازان الإسلام , فقد كان نوروز مسلماً وفي أثناء صراع غازان مع بايدو عرض نوروز على غازان اعتناق الدين الإسلامي وقد طرح هذه القضية بحضور الشيخ زاده العظيم صدر الدين إبراهيم بن قطب الدين بن حمويه الجويني"[2]" الذي صار يشرح له تعاليم الإسلام"[3]"وذلك لأن غازان كان بحاجة إلى الحجة والإقناع من أجل اتباع هذا الدين وخاصة أنه كما ذكرنا من قبل كان دارساً للتعاليم البوذية وملازماً للكهنة البوذيين، بالإضافة إلى ذلك كان له ميل إلى المسيحيين وذلك نتيجة تربيته وتنشئته عند دسبينا خاتون زوجة جده أباقا خان"[4]", فكل هذه الأمور تجعل غازان بحاجة إلى حجج كثيرة مقنعة حتى يتم بها التحول إلى الدين الإسلامي , وهذه الخطوة بحاجة إلى جرأة كبيرة ومخاطرة من قبل غازان حتى يستطيع أن يقبل الدين الإسلامي الذي طالما كان آباؤه وأجداده يضطهدونه ويقفون ضده ، لكن غازان أعلن إسلامه في النهاية وذلك في الرابع من شهر شعبان سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م وذلك بموجب الوعد الذي قطعه للأمير نوروز، وبذلك قبل الإخلاص للدين الإسلامي وترك الكفر وعبادة الأوثان"[5]"، وقد تلفظ بالشهادتين بإشارة نائبه نوروز ونثر الذهب واللؤلؤ على رأسه وكان يوما مشهوداً، وقد لقنه نوروز شيئاً من القرآن"[6]".

١ – خواندمير :حبيب السير ،ص١٤٠.

٢ – تنسب هذه الأسرة إلى حمويه بن علي يقال أنه من ولد رزم بن يونان أحد قواد كسرى أنوشروان ، وولي قيادة جيش نصر بن نوح بن سامان ودبر دولته ،وقد ولد صدر الدين إبراهيم ٦٤٤هـ/١٢٤٦م في آمل بطبرستان وتتلمذ على أكثر علماء عصره وقد رحل في طلب العلم إلى العديد من البلاد والمدن العربية والإسلامية وقد تزوج من إحدى بنات المؤرخ الفارسي عطا ملك الجويني ،توفي في سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م ودفن في بحر آباد إحدى قرى قزوين . (حامد زيان غانم : العلماء بين الحرب والسياسة ،مطبعة دار نشر الثقافة ،القاهرة ،١٩٧٨م،ص٩،أحمد بقوش : المجتمع المغولي ،ص٢٦٢،حاشية رقم "٣")

٣ – رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص١٢٣.

٤ – عبد السلام عبد العزيز فهمي :تاريخ الدولة المغولية في إيران ،ص١٩٠.

٥– خواندمير :حبيب السير ،ص١٤٤.

٦ – الذهبي : دول الإسلام ،ج٢ ،ص٢٢١

وكان يوم إسلامه يوماً عظيماً حيث إنه دخل الحمام واغتسل وجمع الناس وشهد شهادة الحق على الملأ العام،وكان لمن حضر ضجة عظيمة ، وكان نوروز قد علمه الصلاة"[1]"، وفي اليوم نفسه الذي دخل فيه الإسلام أصدر قراراً ملكياً أرغم فيه المغول على اعتناق الإسلام وترك الكفر ،كما إنه أمر بقطع رأس كل من لايعتنق الإسلام"[2]".

هنا قد يتساءل المرء ماالذي دفع غازان للدخول في الإسلام هل كان ذلك بدافع الرغبة في اعتناق الإسلام وحباً له أم كان ذلك لأبعاد سياسية أخرى؟ ربما يكون القصد من إسلامه تكوين جبهة إسلامية مغولية تواجه الجبهة الإسلامية المملوكية التي كانت في صراع مستمر مع المغول، أم للحصول على عرش المغول والتخلص من بايدو وذلك بجمع الفئات الإسلامية وجعلها مناصرة له،حيث أن نوروز طرح قضية إسلام غازان عندما عاد من عند بايدو من غير أن ينتصر عليه وهنا غضب السلطان وصار يفكر في تدارك الأمر فطرح نوروز قضية الإسلام على غازان"[3]" وذلك بسبب كثرة المسلمين في بلاط المغول في إيران"[4]"، ومما ورد على لسان نوروز قوله لغازان: إذا اعتنقت الإسلام صرت سيد إيران وأصبح المسلمون وقد رفعتهم من حالة الذل التي يئنون فيها تحت نير التتار الوثنيين يكرسون حياتهم لمصلحتك وبارك الله في أسلحتك"[5]"،وسواء اعتنق غازان الإسلام لمصلحة سياسية أم عن قناعة دينية فإنه لم يرتد عن الإسلام بل أصدر قراراته ومراسيمه فيما بعد وفقاً للشريعة الإسلامية"[6]"،ومن ضمن الأعمال التي قام بها أن قطع آخر خيوط العلاقة بالخانات العظام حيث بدأ بالاستقلال التام عن قراقورم،وأصبحت إيران منذ عهده خانية ،وأصبح حاكمها يسمى بلغة المغول خان بدلاً من إيلخان أي نائب عن الخان الأعظم في قراقورم، وكانت إيران

---

١ – ابن حجر العسقلاني :الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ،دار الجيل ، بيروت، ١٩٩٣م،ج٣،ص٢١٢

٢– خواندمير :حبيب السير ،ص١٤٦.

٣– رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص١٢٣،رجب عبد الحليم :انتشار الإسلام بين المغول،ص٧٤،فتحية الدالي :تاريخ كزيده ،ص٦.

٤ – رجب عبد الحليم :انتشار الإسلام بين المغول ،ص٧٤.

٥ – أي يتوفر لديك العدة والعتاد الذي تستطيع به تحقيق مآربك .

٦– عبد السلام فهمي :تاريخ الدولة المغولية ،ص١٨٩.

نفسها قبل عهد غازان ايلخانية"[1] ،وقد ورد ذكر اسمه في خطبة الجمعة وعلى العملة بدون اسم الخان الأكبر وطرد ممثلي الخان الأكبر من بلاده"[2]،وجاء في كلامه إلى أمرائه في المجلس الذي اختاره إيلخاناً أن اسم الشخص الذي يعتبر بنظره كافراً يجب ألا ينقش في المستقبل على عملة إيران"[3] ".

موقف غازان من المسلمين:

لقد قام السلطان غازان بمجموعة من الاعمال تجاه الإسلام والمسلمين , منها أنه جعل الخواجة أحمد الزنجاني وزيراً له وقرن توقيعه بتوقيع أمير الأمراء نوروزبك، بالإضافة إلى ذلك توجه غازان خان إلى بغداد، وجعل الخواجة جمال االدين الدستجرداني مختصاً بالياسا الإيلخانية، كما جعل بعض الأمراء قيمين على أمر تنفيذ الياسا"[4] , وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال ما المقصود بالياسا الإيلخانية ؟ وما هو الهدف من تنفيذها ما دام غازان قد اعتنق الإسلام وأصبح له منهجاً جديداً يدبر أمور الدولة من خلاله ؟ وهل يقصد بتنفيذ الياسا ما يتعلق بها فقط من الناحية العسكرية وطريقة تنظيم أمور الجيش ؟ وكيف رضي هذا الرجل المسلم باستلام هذا المنصب الذي قد يكون من المحتمل أن تخالف بعض نصوصه ما ورد في الشريعة الإسلامية .

كذلك أمر بأن ينادي المنادي بدخول جميع المغول والأويغور في الإسلام , وأن ينطقوا بالشهادتين"[5].ولقد شمل برعايته جماعة السادات والأئمة والمشايخ وأجرى عليهم الإدارات

---

١ – ابن حجر العسقلاني :الدرر الكامنة،ج٣،ص٢١٣،الشوكاني :البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ،تح:حسين بن عبد الله العمري،ط١،دار الفكر ،دمشق،١٩٩٨م،ص٥٢٢-٥٢٣،رجب عبد الحليم :انتشار الإسلام ،ص١٨٨.

٢ - ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة،ج٣،ص ٢١٣. الشوكاني: البدر الطالع ،ص ٥٢٣.

Reuven Amital Preiss:Ghazan Islam And Mongol Tradition,p, Phillips:op-cit ,p123.

٣–سهام محمد المهدي:الدنانير الإيلخانية بمتحف الفن الإسلامي ،دراسات آثارية إسلامية، وزارة الثقافة ،مج٥ ،القاهرة ،١٩٩٥م،ص١٥.

٤ –خواندمير :حبيب السير ،ص١٤٥-١٤٦.

٥ –عبد المحمد آيتي :تحرير تاريخ وصاف ،ص١٩٨.

والصدقات، وفيما يتعلق بتعمير المساجد والمدارس والخوانق وأبواب البر فقد بالغ في إصدار الأحكام المتعلقة بهذه المؤسسات "[1]". وهناك حادثة تقول إنه همّ أن يرتد عن الإسلام ذلك أنه عندما أسلم قيل له إن الدين الإسلامي يحرم نكاح نساء الآباء بعد وفاة الأب , وكان غازان قد أضاف إلى نسائه نساء أبيه طبقاً لعادات المغول وتقاليدهم التي تحتم انتقال نساء الأب إلى الابن الأكبر ماعدا أمه"[2]" , وكانت بلغان خاتون زوجة أبيه أحبهن لقلبه فهم أن يرتد عن الإسلام لأجلها , فقال له بعض خواص أبيه : إن أباك كان كافراً , ولم تكن معه بلغان في عقد صحيح إنما كان مسافحاً لها فاعقد أنت عليها فإنها تحل لك ففعل , ولولا ذلك لارتد عن الإسلام"[3]"، وبعد ذلك أصدر المراسيم لمنع شرب الخمور ومعاقبة من يكون ثملاً في الطرق"[4]", كما أصدر مرسوماً يقضي بأن كل جارية لا ترغب في ممارسة الرذيلة في بيوت الدعارة لا تباع إلى جماعة المشرفين عليها , وأما من يقمن في تلك البيوت فإن كل من تريد أن تغادرها لتعيش عيشة شريفة لا تمنع من ذلك ويحدد لها ثمن تشترى به , وتتزوج من الزوج الذي يقع عليه اختيارها"[5]"، ومما هو جدير بالذكر أن غازان عندما أصبح مسلماً كان عليه أن يختار إما أن يكون من أهل السنة , أو من الشيعة , فاختار مذهب أهل السنة , ومع ذلك فقد عامل الشيعة بتسامح , ولم يظهر أي تعصب أعمى تجاههم"[6]",وهنا نستطيع القول أن الذي دفع غازان لاتباع المذهب السني هو أن غالبية سكان المنطقة كانوا من السنة ولهذا السبب قام باتخاذ هذا المذهب.

---

١ – رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص١٢٤.

٢– إن عادة الزواج من زوجة الأب المتوفى هي عادة قديمة موجودة عند كل الشعوب الوثنية وكان هذا الزواج يسمى بزواج المقت .

وزواج المقت هو أن يتزوج الرجل زوجة أبيه كجزء من ميراثه فتكون عند ئذ من أملاكه إن شاء تزوجها وإن شاء عضلها أي منعها من الزواج من غيره .شكران خربطلي :سطور منسية في تاريخ الحجاز ،ط١ ،مؤسسة علاء الدين ،دمشق ،٢٠٠٥م،ص١٦٦-١٦٧.

٣ – ابن حجر العسقلاني :الدرر الكامنة ج٣ ،ص٢١٣

٤ – رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص٣٦٤،فتحية الدالي :تاريخ كزيده ،ص٧.

٥ – رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص٢٢٣.

٦ – برتولد شبولر :العالم الإسلامي في العصر المغولي ،ص٧٢.

بالإضافة إلى ذلك فإنه بعد اعتلائه العرش أصدر من باب التيمن صنع تمغات التي كانت على شكل مربع جعلها بشكل مستدير، ونقش في وسطها عبارة لاإله إلا الله محمد رسول الله"[1] . كما أمر بكتابة البسملة في بداية الرسائل والفرمانات"[2]"، وروعي أيضا في المسكوكات التي ضربت باسم السلطان محمود غازان ونقشت عليها أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة اقتداء بالخلفاء العباسيين"[3]"، وقد كان السلطان غازان يحب آل الرسول صلى الله عليه وسلم حيث إنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم مرتين في المنام، وقد أيده الرسول صلى الله عليه وسلم وقوى عزيمته ، وكان الحسن والحسين (رضي الله عنهما) في صحبته فعرفهم به قائلا يجب أن تكونوا إخوة ثم أمر سلطان الإسلام بمعانقتهم ، ومنذ ذلك التاريخ ازداد حبه لأهل النبوة وصار يزور قبر أسرة الرسول ويعز السادات، ويأمر لهم بالصدقات والإدارات"[4]"، وكان يزور قبور أسرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقد توجه إلى الحلة"[5]"، وقصد مشهد علي عليه السلام فزار ضريحه الشريف، وأمر للعلويين بشيء كثير ثم قصد مشهد الحسين رضي الله عنه"[6]"، وفعل مثل ذلك، كما إنه زار قبر سلمان الفارسي رضي الله عنه، وأمر للفقراء المقيمين هناك بمال"[7]"،هذه الأمور تدلل على أن غازان، وإن اعتنق الاسلام على

---

١ – خواندمير :حبيب السير ،ص١٤٦،عبد المحمد أيتي :تحرير تاريخ وصاف،ص١٨٩.

٢–خواندمير :حبيب السير ،ص١٤٦.

٣ – عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٢٦٨.

٤ – رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص٢٢٣.

٥ – الحلة :قرية مشهورة في طرف دجيل بغداد من ناحية البرية بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ،ولها أسواق حسنة جامعة للمرافق والصناعات وأهل هذه المدينة إمامية اثنا عشرية وبقرب السوق الأعظم بهذه المدينة مسجد على بابه ستر حرير مسدول وهم يسمونه مشهد صاحب الزمان ومن عاداتهم أن يخرج في كل ليلة مائة رجل من أهل المدينة عليهم السلاح وبأيديهم سيوف مشهورة فيأتون أمير المدينة بعد صلاة العصر ويأخذون منه فرسا مسرجا ملجما أو بغلة وكذلك يضربون الطبول أمام تلك الدابة ويتقدمها خمسون منهم ويتبعها مثلهم ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها ويأتون مشهد صاحب الزمان فيقفون بالباب ويقولون باسم الله ياصاحب الزمان باسم الله أخرج قد ظهر الفساد وكثر الظلم وهذا أوان خروجك ولايزالون كذلك إلى صلاةالمغرب وهم يقولون أن محمد بن الحسن العسكري دخل المسجد وغاب فيه وهو سيخرج وهو الإمام المنتظر.ياقوت الحموي :معجم البلدان،ج٢،ص٢٩٥،(ابن بطوطة :تحفة النظار،ج١،ص٢٠٠–٢٠١).

٦– مشهد الحسين :يوجد في مدينة كربلاء وهي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل ويسقيها ماء الفرات والروضة المقدسة داخلها وعليها مدرسة عظيمة وزاوية.(ابن بطوطة :المصدر نفسه،ج١،ص٢٠١).

٧ – ابن الفوطي :الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ،ص٤٩٣.

المذهب السني كان في داخله يضمر الصداقة والحب للشيعة ويؤيدهم بشكل كبير"[1]، والـذي يدلل أيضاً على تأييد غازان للشيعة هو حادثة مقتل رجل علوي حيث قتل بجامع بغداد لأنه كان متغير العقل نسب العوام إليه ما لايجوز فاجتمعوا عليه وضربوه ورفسوه حتى مات "[2] ، وقد ذكر عبد الله القاشاني سبب ذلك أن الرجل العلوي قد صلى صلاة الجمعة قضاء وقد قال إن صلاتي خلف هذا الإمام من الآن فصاعداً غير جائزة فقام الناس بقتله وحرقه ، ونتيجـة ذلك قام أقرباؤه وأنسابه من السادات بعرض هذا الأمر على السلطان غازان فقال السـلطان غازان إن أئمة المسلمين التسعة يقولون إن كل من يصلي صلاة يزيد ثوابه فكيـف يقتلـون رجلاً استزاد في الصلاة ، وخاصة إنه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال : لقـد صدق جنكيز خان ، وقد كنت منكراً لمقولته ، وهي أنه إذا كان دين وملة الإسلام هي خاتمة الملك والأديان لكن المسلمين أسوأ الأمم وأحط الأقوام ، فأمر غازان بالقصاص له من قاتليه ، وأمر بتفحص أوجه النزاع والخلاف بين علماء وأئمة المسلمين ، وسأل عن أحوال المذاهب ، ولما وقف على أوجه الخلاف سأل كيف يكون لكل طائفة وزمرة من المسلمين مقر وموضع من مدارس للعلماء وخانقوات للصوفية ، أو زوايا وخلوات ، ولا يكون للسادة مكان كذلك"[3]. وقد ذكر رشيد الدين أن غازان خان قال : إنه لواجب أن يكون للعلويين أماكن كـذلك فـأمر بإقامة دور السيادة في تبريز وفي أمهات المدن الأخرى في كل البلاد الهامة مثـل أصـفهان وشيراز وبغداد وأمثالها كي ينزل فيها السادات ، كما عين لهم مرتبات ينفقونهـا علـى أداء مصالحهم على النحو الذي رآه محققا لهذا الغرض وحسب ما نصت عليه حجج الأوقاف"[4].

و لقد سأل غازان عما يقوله الأئمة على رؤوس المنابر و هل هذا الكلام موافق لسنة رسول الله (ص)، أم أنهم يذكرون الخلفاء الراشدين و الأئمة المهديين و يذكرون العباس رغماً عـن أنف آل علي و طائفة السادات فأجابوه بالنفي، فقال غازان خان إن متابعة العباسيين الفسـقة

---

١ – برتولد شبولر :العالم الإسلامي في العصر المغولي ،ص٧٢-٧٣.

٢ – ابن الفوطي :الحوادث الجامعة ،ص٤٩٦.

٣ – تاريخ أولجايتو ،ص٩٠-٩١.

٤ –رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص٢٢٧.

بلا وضوح أمر غير واجب، ثم سأل هل التحية على النسق الذي يقرأ في الصلاة بنص كلام الله و حديث رسوله أم أنها من الخلط والتغيير فقالوا باتفاق جملة المذاهب المختلفة لم يحـدث فيها تغيير فقال غازان سنقيس الخطبة على التحيات و قال اللهم صل على محمد وعلـى آل محمد و لم يصل على أصحابه و إن ذكر الخلفاء الثلاثة بدعة و إن تقديم أهل البيت و علـي مقدم عليهم أمر واجب و أنا سأخرج أسماءهم من الخطبة في أرض إيران حتـى لا أكـون مبتدعاً."[1]"لكن الوزير رشيد الدين عارض هذا الكلام حيث قال له إن معظم أهـل المسـلمين على مذهب أهل السنة والجماعة وهذا الاعتقاد راسخ فيهم منذ سبعمائة سنة ونيف وقد وصل إلى الخلف عبر الآباء و السلف و لن يتركوا عقيدتهم القديمة و ستنقلب محبـتهم لـك إلـى بغضة وطلب منه أن يترك هذا الأمر حتى تفتح مصر والشام، و قد وافق غازان على هـذا الكلام "[2].و كان غازان قد أمر أيضاً بأن تضرب (التانجي) و هي عملة خاصة به وأن يكتب على تلك العملة آيات كلام الله و أسماء الأئمة الإثني عشرية"[3]، نلاحظ من خلال هذا العرض الذي قدمناه عن موقف غازان من الشيعة والسنة أن كلام عبد الله القاشاني فيه الكثيـر مـن المبالغة وخاصة فيما يتعلق بحادثة مقتل ذلك العلوي و كيف أن المسلمين قاموا بإحراق جثته فلم يورد ابن الفوطي الذي أرخ لهذه الحادثة مثل هذا الكلام و هو حرق ذلك العلوي و إنمـا قال إنه قد قتل لأنه كان متغير العقل و قوله ما لايجوز فكيف يقول إن الصلاة خلف الإمـام غير جائزة، و يفهم من ذلك النص أن ذلك الرجل بعد أن صلى الجمعة و هي في العادة تكون ركعتين، عاد و صلى أربع ركعات حيث تميز الشيعة عن السنة بأنهم كانوا يصلون الجمعـة أربع ركعات بدلاً من اثنتين و ذلك لعدم وجود الإمام، و رغم هذا الأمر فمن غير الممكن أن يقوم الناس بقتله لمجرد أنه صلى أربع ركعات و هنا نلاحظ تحاملاً من قبل المـؤرخ علـى المسلمين السنة، بالإضافة إلى ذلك ما أورده المؤرخ من أن جنكيز خان قال إن المسلمين من

---

١ –عبد الله قاشاني: تاريخ أولجايتو، ص ٩٣. صبري سليم ، الصراع السياسي والمذهبي،ص ٤٠٦.

٢ –عبد الله قاشاني، تاريخ أولجايتو ، ص ٩٣.

٣ – خواندمير، حبيب السير، ص ١٧٤.

أسوأ الامم فمن غير الممكن أيضاً أن يكون جنكيز خان قد أطلق هذا التعبير لأن جنكيز خان لم يكن يحمل أي حقد أو ضغينة على الدين الإسلامي و لم يعرف عنه أنه فضل ديانة على حساب أخرى أو ملة على جساب ملة أخرى، و أيضاً إيراده رواية أن غازان أمر بأن يحذف أسماء الخلفاء الراشدين من التحيات فهذا أيضاً غير وارد فالبرغم من ميل غازان خان إلى الشيعة فإن ذلك لا يدفعه إلى إلغاء التحية على أصحاب رسول الله (ص) خاصة أن رشيد الدين أورد أن غازان عندما رأى رسول الله (ص) في المنام و قد آخى بينه وبين أبنائه قال له بعد ذلك سأزيد في حبي لأهل البيت وإلا معاذ الله أن أنكر الصحابة"[١].فهذا الكلام يؤكد أن غازان لم يكن من السذاجة والتعصب الذي يدفعه إلى معاداة أصحاب النبي (ص) و خاصة أنه كان في الاصل بحاجة إلى عطف ومودة الناس لأنه كان في صراع مع المماليك وبحاجة لتدعيم جبهته ضدها وذلك للحصول على تأييد الرعية، إذاً فلا داعي أن يحارب غازان المسلمين السنة ، لكننا نقول إنه بالفعل كان يميل للمسلمين الشيعة و هذا يتبين من كثرة الإمتيازات التي حصلوا عليها في عهده وربما يعود السبب في ذلك إلى أن الشيعة كانوا يؤمنون بفكرة الوراثة و هذه الفكرة موجودة عند المغول باعتبارهم شعوب قبلية تؤمن بفكرة الوراثة الملائمة لفكرهم و هم بعيدون عن مبدأ الشورى الذي اتبع من قبل الخلفاء الراشدين الممثلين بالمذهب السني، فمن المحتمل أن يكون الفكر الشيعي قد وجد الاستحسان والقبول من قبل المغول وهذا الأمر جعلهم بطبيعتهم يميلون إلى الشيعة.

ومن الأمور التي تذكر لغازان أنه عندما وصل إلى همذان بلغه أن نورزو تغيرت طاعته و فسدت سريرته، و أن جمال الدين الدستجرداني صاحب الديوان عين له يخبره بالأحوال فأمر بقتل الدستجرداني وعين بدلاً عنه صدر الدين الخالدي ثم توجه إلى بغداد بجيوش كثيرة وشمل الناس بالعدل والإحسان"[٢]، كما أنه قام بنصح القضاة والمشايخ و الزهاد وأهل العلم و التقوى بأن يبتعدوا عن الرياء و طالبهم بالصدق و طلب منهم اتباع سلوك وسنة

١ – رشيد الدين الهمذاني، تاريخ غازان، ص ٢٢٧.

٢ – ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص ٤٩٢، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٧١.

الرسول(ص)، و أمر أن يبتعدوا عن التعصب و طلب منهم أن ينبهوه لو قام بفعل خارج الشريعة"[١]"و يذكر أيضاً أنه لما دخل المدرسة المستنصرية من الدار المجاورة لها كان يسكن بها نظام الدين محمود شيخ المشايخ وكان المدرسون و الفقهاء قد جلسوا على عادتهم والربعات الشريفة في أيديهم فلما عاينوه قاموا فخدموه فأمر رشيد الدين أن يقول : أنتم مشغولون بقراءة كتاب الله عز وجل كيف جاز لكم تركه و الاشتغال بغيره فقال أحد المدرسين السلطان ظل الله في أرضه و الانقياد له واجب في الشرع"[٢]"، ومن الممكن أن نلاحظ هنا قضية تأليه الحاكم بوصفه ظل الله في أرضه فقد وصلوا إلى درجة أنهم تركوا ماكان بأيديهم لمجرد رؤيتهم السلطان غازان .

موقف غازان من باقي الأديان :

عندما أعلن غازان إسلامه ، وتم ذلك بعد أن جلس على عرش تبريز سنة ٦٩٤هـ /١٢٩٤م في وقت النيروز"[٣]" ، أمر أن يدخل المغول في الإسلام ، وألا تنسب فرقة النصارى الابن إلى الإله , وأنه إن لم يقر المجوس وعبدة الشمس والثانويين بالوحدانية سيقتلوا جميعاً لكن ستؤخذ الجزية من اليهود وسيعفون من القتل ولكن لن ينظر إليهم بعين التسامح "[٤]", كذلك أجبر غازان البوذيين على الدخول في الإسلام وهدد المنافقين منهم الذين يتظاهرون باعتناق الإسلام وخيرهم بين أمرين إما أن يرحلوا إلى بلادهم وإما أن يظلوا ثابتين على مافي قلوبهم وضمائرهم بشرط ألا يحاولوا تلويث الدين الإسلامي بنفاقهم، وهددهم بأنه سوف يجعل

---

١ – رشيد الدين الهمذاني،تاريخ المغول،ص ٢٣٣-٢٣٤.

٢ – ابن الفوطي :الحوادث الجامعة ،ص٤٩٢.

٣ – النيروز: النوروز كلمة فارسية مركبة من لفظين الأول نو أي الجديد والثاني روز أي اليوم فكلمة نوروز في اللغة تأتي بمعنى اليوم الجديد أما في الاصطلاح فتطلق على رأس السنة الفارسية الذي يقع في اليوم الأول من شهر مزوردين الموافق ٢١مارس أي أول فصل الربيع وهو من أعظم أعياد الفرس وأجلها ويتميز على بقية الأعياد مثل المهرجان بأنه استقبال السنة (سعيد نفيسي :الأجزاء المفقودة من تاريخ البيهقي، ت محمد حسن العمادي ،مكتبة الثقافة ،القاهرة ،٢٠٠٨م ،ص٢٠٦-٢٠٧).

٤ – عبد المحمد آيتي :تحرير تاريخ وصاف ،ص١٩٨.

المخالفين منهم طعمة للسيف"[١]، وقد صدرت الأوامر بأن تقوض الكنائس وبيوت الأصنام , ومعابد اليهود وأن يقتل أحبار الوثن ويحتقر الأساقفة , ويؤدوا الجزية والضريبة "[٢]، كما أمر أهل الذمة بلبس الغيار , فكانت علامة النصارى شد الزنار في أوساطهم وعلامة اليهود خرقة صفراء في عمائمهم" "[٣] ، ومما ذكره ابن العبري أن الرجال المسيحيين لم يتجرؤا أن يظهروا في السوق وإن نساءهم كن يخرجن ويدخلن ويقمن بالبيع والشراء لأنهن لا يتميزن عن النساء المسلمات في زيهن "[٤]".

هذه الأمور تدلل على أن النساء من كافة المذاهب والطوائف كن يرتدين الحجاب وإلا لاستطاع المغول والعامة تمييز النساء المسلمات عن المسيحيات وذلك بسبب اختلاف عاداتهن عن العادات الإسلامية وبالتالي نجد من خلال ذلك مدى التشابه في زي النساء المسلمات والمسيحيات , والذي يدلل على ذلك ما أورده ابن العبري في قوله : إذا اتفق للمسلمين أن يعرفوهن انصبوا عليهن بالضرب واللطم والسب والشتم "[٥]" .

طبعاً نجد أيضاً أن في رواية ابن العبري كثير من المبالغة إذ أنه لم يكن المسلمون بهذه الأخلاق السيئة التي تدفعهم إلى التجرؤ على الناس وضربهم في الشوارع،وأيضاً فإن هذا الإجراء وهو إلزامهم بلبس الغيار قد استمر شهوراً ثم أزيل بمجرد تسلط العوام عليهم"[٦]" .

---

١ – رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص٥٠.

٢ – ابن العبري :تاريخ الزمان ،ص٣٧٨.

٣ – ابن الفوطي :الحوادث الجامعة ،ص٤٨٣،يوسف رزق الله غنيمة :نزهة المشتاق ،ص١٥٦،شيرين عبد النعيم حسنين :الثقافة العربية الإسلامية في بلاد فارس من بعد العصر العباسي وحتى بداية العصر الصفوي ،ص٣١
J.A Boyle:History of IRAN op-cit ,p379.

٤ – تاريخ الزمان ،ص٧٣٨،عبد السلام فهمي : تاريخ الدولة المغولية في إيران،ص١٩٠،
J.A.Boyle:op-cit, ,p379.

٥ – تاريخ الزمان ،ص٣٧٨.

٦ – ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ،ص٤٨٣.

وأيضا في تبريز تم تحطيم أوثان الكفار والمشركين ونثر حطامها في الحارات"[1]، وقد شمل هذا الاضطهاد النصارى واليهود معاً، أما أحبار الوثن عبدة الأصنام فكان سلاطين المغول يخصونهم بكثير من الإجلال والإكرام حتى إنهم كانوا يجودون عليهم بنصف واردات الدولة ينفقونها في سكب الأصنام الذهبية والفضية فلما شملهم الاضطهاد جاهروا بالإسلام"[2]، بالاضافة إلى ذلك تقدم السلطان بأخذ دار علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير من النصارى فإنها كانت بأيديهم منذ أن دخل المغول بغداد وأزيل مابها من التماثيل والخطوط السريانية واستعيد الرباط الذي تجاه هذه الدار المعروفة بدار الملك، وكان النصارى قد جعلوه مدفناً لأكابرهم فأزيلت القبور التي فيه , وصار مجلساً للوعظ "[3]، وبذلك عادت هذه الأملاك للمسلمين بعد أن أخذت من قبل المسيحيين.

إذاً فقد كان لاعتناق غازان الإسلام آثار كبيرة منها القضاء على الفجوة الكبيرة التي كانت تفصل بين المغول ورعاياهم المسلمين مما ساعد على اندماج المغول في المجتمع الإسلامي واشتد تأثرهم بالحضارة الإسلامية . ثانياً أنه وضع حداً لسياسة تفضيل الأقليات المسيحية واليهودية في مقابل تجاهل الأغلبية المسلمة وبهذا تحددت مكانتهم وصاروا يعاملون كأهل ذمة , ثالثاً : بدخولهم الإسلام فإن الإيلخانيين المسلميين كفوا أيديهم عن القتل وجهدوا في إصلاح ما أحدثه الايلخانيون البوذيون من تخريب وتدمير، واتبعوا الشريعة الإسلامية بدلا من قوانين المغول التي كان قد أسسها جنكيز خان "[4].

١ – عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٢٦٧.

٢ – ابن العبري :تاريخ الزمان ،ص٣٧٨.

٣ – ابن الفوطي :الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ،ص٤٨٤.

٤ – عبد السلام فهمي :تاريخ الدولة المغولية في إيران،ص١٩٠،فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص٢٦١.

وعلى إثر ذلك أصدر غازان مرسوماً يقضي بتخريب كل معابد البوذيين ودور الأصنام والكنائس والبيع في دار الملك في تبريز وبغداد وسائر بلاد الإسلام وقد فرح المسلمون فرحاً كبيراً بهذا النصر للإسلام "[1]"

تخلص السلطان غازان من بعض أتباعه:

التخلص من نوروز:

نوروز هو الابن الأكبر لأرغون آغا الذي حكم بعض ولايات إيران لمدة تسعة وثلاثين عاماً في عهد حكام الدولة الجنكيزية"[2]"، وقد كان له دور كبير في وصول غازان إلى عرش المغول الإيلخانيين ،فقد ساعد غازان في الانتصار على بايدو وأمرائه الأقوياء ،كما كان له دور هام في إسلام غازان "[3]"، لكن نوروز تعرض لعديد من المؤامرات بعد اعتلاء غازان الحكم؛ فقد عمل بعض الأمراء على التخلص منه ،كما تعرض لمؤامرة وتحريض من قبل وزير غازان صدر الدين أحمد الزنجاني الخالدي الذي عمل على الإيقاع بنوروز لدى السلطان محمود غازان"[4]"، كما إنه ذهب ضحية صراع الأمراء وذلك بسبب وقوع الخلاف والنزاع بينه وبين نورين الذي كان موضع اعتماده وكاتم أسراره وكانت له سلطة كبيرة في خراسان ومازندران" [5]"، وقد حدث تمرد في خراسان فأرجع نوروز سبب ذلك التمرد إلى تقصير نورين وكان يغتابه بكلمات لاذعة مزعجة فيتولد بذلك الكدر والنفور , وبعد ذلك مرضت زوجة نوروز فذهب لزيارتها وكان السلطان غازان قد طلب منه العودة إلى خراسان

---

١ – رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص١٢٧.

٢ – خواندمير : حبيب السير،ص١٤١.

٣ – عباس إقبال :تاريخ مفصل إيران ،٢٥٥-٢٥٦.

٤ – عباس إقبال :تاريخ المغول ،٢٧١

٥ – رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص١٣٦،محمد سهيل طقوش :تاريخ المغول العظام والإيلخانيين ،ص٢٧١ ،فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص٢٨١-٢٨٢.

فتعلل نوروز بمرض زوجته وصمم على عدم عودته حتى يراها، فكان ذلك سبباً في تغيير غازان عليه"[1] " .

ونتيجة لهذه الأمور قام غازان بقتل أتابكه نوروز , وكانت الحجة أن نوروز كان قد كاتب المماليك سراً والتمس منهم عسكراً ليساعدوه على الحضور ضد غازان فوقعت الأجوبة في يد غازان فأحضره وقتله"[2]"، وكان نوروز من خيار الأمراء والترك وكان ذا عبادة وصدق في إسلامه وقد أسلم على يديه عدد كبير من الناس"[3]".

القضاء على صدر الدين الزنجاني :

كان لصدر الدين الزنجاني دور في القضاء على نوروز وذلك لأن صدر الدين كان حاقداً على نوروز لأنه اختار جمال الدين الدسجرداني نائبا له ووزيراً للدولة فهذه الأمور جعلته عدواً لدوداً لنوروز فاشترك في القضاء على نوروز"[4]"، وبما أن للمتآمر أيضاً نهاية فقد وقع صدر الدين ضحية أمراء الدولة الذين وشوا عليه بالباطل لدى السلطان فتم القبض على الصاحب وإيداعه السجن فقتل في يوم الأحد ٢٢ شهر رجب عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م "[5]"،وقد تولى الوزارة بعده رشيد الدين، وقد جعله السلطان المغولي متصرفاً في مصالح الناس "[6]".

علاقة غازان بالمماليك:

اتسمت العلاقات بين دولة المماليك و بين دولة المغول في فارس بالعدائية بالرغم من اعتناق خانات المغول الدين الإسلامي و في الوقت الذي كانت الأوضاع الداخلية لدولة المماليك تمر

١ – رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص١٣٧،فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص٢٨٢.

٢ –النويري :نهاية الأرب ،ج٢٧ ،ص٤١٠.

٣ –ابن كثير :البداية والنهاية ،ج٩،ص٢٢٥.

٤ –رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص١٤٣،فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص٢٨٤–٢٨٥.

٥ –خواندمير :دستور الوزراء ،ص٣٧١.

٦ –خواندمير :المصدر نفسه ،ص٣٧٤–٣٧٥،فتحية الدالي :تاريخ كزيده ،ص٩.

في حالة من الارتباك بفعل الصراع على السلطة بين الأمراء المماليك قرر غازان غزو بلاد الشام و هذا يعني أن الخان المغولي نظر إلى علاقته مع المماليك المسلمين من المنظار السياسي و ليس الديني بهدف تحقيق طموحات المغول الدينية بالاستيلاء على بلاد الشام ومصر"[1].

وفي سنة ٦٩٩هـ /١٢٩٩م توجه غازان ومن انضم إليه من الكرج"[2]" والأرمن"[3]"، وصحبته الأمراء و النواب الذين التحقوا به من الديار المصرية والشام و سار بهم حتى قطع الفرات وانتهى إلى حلب، و تقدم إلى مجمع المروج"[4]"، بالقرب من حمص، والتقى مع السلطان الناصر محمد بن قلاون ٦٩٣هـ /١٢٩٣م في نفس السنة واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم جيش الناصر"[5]"،وبعد ذلك حاصر غازان دمشق وأصدر فرماناً يعلم الأمراء و الأكابر و أشراف السادات العظام والمشايخ الكرام و المعتبرين أنه في كل زمان يقتضي الدوران يرسل الله تعالى نبياً لهداية العالم و دلالة الإنسان إلى طريق الصواب، و لما ظهر الوهن في شريعة المسلمين و أقدم الناس على العصيان قيض الله شخصاً يقوي الأمور الدينية،وقدر الله أن يكون غازان هو الذي من أبناء جنكيز خان الذي اعتنق الإسلام و كيف أنه أمر ببناء المساجد ونصب المنابر وإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة، وعندما سمع بأن حكام الشام ومصر لا ميثاق لهم ولا أمانة و لا ديانة و يأخذون من أموال المسلمين توجه لديارهم لدفع الحركات الرديئة البادية فيهم"[6]"، هنا نلاحظ أن غازان أراد أن يسوغ هجومه على بلاد الشام بمسوغ ديني ألا وهو تهاون المماليك في تطبيق الشريعة الإسلامية و انحرافهم عن جادةالصواب فكان لابد من محاربتهم،

---

١ – محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر والشام، ص ٢٣٨-٢٣٩.

٢ – الكرج : جيل من الناس نصارى كانوا يسكنون في جبال القبق وبلد السرير وقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس ويقال لملكهم برزينان والخزر بلادهم خلف باب الأبواب المعروف بالدربند على السواحل الشمالية الغربية من بحر الخزر "المعروف ببحر قزوين .(ابن العبري :تاريخ مختصر الدول ،ص٣٥٠،حاشية ٢)

٣ – الأرمن : أمم مجاورة للروم تدين بالمسيحية.(ابن العبري : المصدر نفسه ،ص١٣٥)

٤ – مجمع المروج :تقع بين السلمية وحمص (ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج٢ ،ص٤٧٤).

٥ – النويري، نهاية الأرب، ص ٤١٢، طقوش، تاريخ المماليك في مصر والشام، ص ٢٣٨-١٣٨.

٦ – بيبرس الدوادار، زبدة الفكر، ص ٣٦٠-٣٦٢.

فأراد أن يظهر بمظهر المسلم الغيور على الدين الإسلامي و المدافع عنه، وطبعاً هذه خطة استراتيجية أراد منهاغازان أن يكسب مودة و عطف الطوائف الإسلامية الموجودة ضمن صفوف المماليك حتى تسهل عليه عملية السيطرة على الشام و منها التوجه إلى مصر و بذلك يتمكن من وضع العالم الإسلامي تحت قبضته، و كل هذه الأمور كانت دعاية إعلامية ،فقد ارتكب المغول أعمالاً وحشية ضد المسلمين وذلك لأن غازان عندما نزل الغوطة خرج إليه أكابر دمشق بالتحف والهدايا و تعرض من في عسكره من الأرمن إلى المدارس والمساجد و الجوامع بجبل الصالحية وقاموا بضرب الناس وإحراق تلك المنشآت "[١]"، إذاً فكيف يدعي غازان الإسلام و أنه مدافع عن الدين الإسلامي و يشرك في صفوفه عناصر معادية للإسلام ما إن وجدت الفرصة سانحة حتى قامت بمهاجمة المسلمين وقتلهم ،لكن المماليك انتصروا فيما بعد على غازان في عدة معارك حيث أن الناصر محمد بن قلاوون رفض التبعية لغازان وانتصر على المغول في معركة شقجب"[٢]" في ٥شعبان ٧٠٢هـ/٢٥مارس١٣٠٣م"[٣]"

موقف غازان من الغرب المسيحي:

على الرغم من كون غازان مسلماً إلا أن العلاقات العدائية مع المماليك لم تتوقف في عهده مثلما توقفت في عهد أحمد تكودار ٦٨١-٦٨٣هـ/ ١٢٨٢- ١٢٨٤م بل ازدادت سوءاً لدرجة أن غازان قام بغزو الشام ثلاث مرات و هزم المماليك لأول مرة في ديسمبر ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م، واحتل الشام لعدة شهورحتى مايو عام ١٣٠٠م ، وكانت اتصالاته ببقايا الصليبيين في الشرق و هم فرسان الداوية و الاسبتارية في قبرص، و ملك قبرص نفسه، فضلاً عن اتصاله بأتباعه الأرمن و بالغرب الأوروبي"[٤]"، و كان غازان قد أرسل إلى القبارصة يعلمهم

١ – النويري، نهاية الأرب، ص ٤١٢.

٢- حدثت بين الناصر محمد المملوكي وغازان خان المغولي وكان عسكر المغول تسعين ألفاً واتجه الناصر إلى الشام ومعه الخليفة العباسي المستكفي بالله وقد اجتمعوا مع المغول في مرج الصفر وحدث الاشتباك بين الطرفين وانتهت المعركة بانتصار المماليك.(ابن خلدون :العبر ،ج٥،ص٤١٨).

٣- محمد سهيل طقوش :تاريخ المغول العظام والإيلخانيين ،ص٢٨٤.

٤- عادل هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص ١٢٣.

أنه سيغزو بلاد الشام و يطلب منهم مقابلته في أرمينيا الصغرى مقابل إعطائهم بيت المقدس، و قام القبارصة و الداوية و الاستبارية بغارات ضد عكا و طرسوس وجزيرة أرواد، وأرسلوا قوة صغيرة إلى أرمينيا الصغرى، ولكن المغول لم يلحقوا بهم إذ إنهم أغاروا على بلاد الشام حتى حمص و من ثم تراجعوا بسرعة، و لم تثمر هذه الاتصالات عن شيء"[1].
و ليس هذا فحسب فقد تبودلت المراسلات بين البابا بونيفاس الثامن و الإيلخان غازان خان، وإن الايلخان أظهر استعداده للتحالف مع ملوك أوروبا ضد المماليك و موافقته على إعطاء فلسطين بعد تخليصها إلى المسيحين، كما أن البابا بونيفاس الثامن دعا إلى حرب صليبية سنة ٦٩٩هـ /١٣٠٠م ضد المماليك".[2]"وقد أدت انتصارات غازان في بلاد الشام ضد المماليك ٦٩٩هـ /١٣٠٠م إلى حدوث فرحة عارمة، وترددت الأخبار من الداوية أن المغول لم يستولوا فقط على القدس بل أعادوها إلى المسيحيين"[3] ، وهذه الأنباء التي وردت عن استعادة الأراضي المقدسة جاءت من قبرص عبر فينيسيا، و من هناك انتشرت إلى إيطاليا ووصلت روما ولومبارديا حتى وصلت إلى ألمانيا، وكان الناس يهنؤون البابا باعتباره الأسقف الذي اختاره الرب لرؤية الأراضي المقدسة التي تمت استعادتها خلال فترة بابويته"[4]، والذي ساعد على تصديق هذه الإشاعة بأن غازان هزم المماليك لصالح المسيحيين وصول سفارة من غازان في صيف ٧٠٠هـ /١٣٠٠م إلى روما على رأسها جويسكارد بوستارى تعرض التحالف مع الأوربيين "[5]، وجاء رد الفعل العملي لاستيلاء غازان على بلاد الشام من أراغوان فقد كتب الملك جيمس الثاني في ٢٧شعبان ٦٩٩هـ/مايو ١٣٠٠م رسالة إلى غازان وصفه بها بإمبراطور الشرق وبأنه أقدر وأكبر سلاطين المغول، وأعلن عن استعداده لتقديم السفن وكل مواد التموين اللازمة لجيش المغول، وأكد له بأن جميع رعاياه طلبوا زيارة فلسطين وأنهم مستعدون لأن يساندوه في حربه ضد المسلمين، والتمس منه أن ينال هؤلاء

---

١ – محمد سهيل طقوش: تاريخ لمغول، ص ٢٨٧.

٢ – مصطفى طه بدر: مغول إيران، ص ٦٣-٦٤.

3- David Morgan : medieval peria, p 74.

4- Gesta Die Per: Notes and Documents, 1979, p 814.

٥ – عادل هلال : العلاقات بين المغول وأوربا، ص ١٣٤.

الرعايا حرية زيارة بيت المقدس وأن يتم إعفاؤهم من الضرائب والرسوم وأن يمنحوا خمس الأراضي التي استولوا عليها من المسلمين"[١]"، وفي أثناء إرسال هذه السفارة كانت القوات المغولية قد هزمت أمام المماليك وطردت في نفس الشهر الذي أرسلت فيه الرسالة، ولذلك فلم يكن لها أي أثر على مجريات الأحداث فيما بعد"[٢]"، كما أرسل غازان سفارته الثانية إلى الغرب الأوربي عام ٧٠١هـ/١٣٠٢م برئاسة بوسكاريل جيزولف وأشار في رسالته لمراسلات أسلافه مع الغرب الأوربي وحث البابا بونيفاس الثامن على إعداد قوات لمهاجمة المماليك معاً، كما أرسل غازان رسالة أخرى إلى إدوارد الأول في لندن اشتكى فيها من طول مدة انقطاع الاتصال بالمغول، وكان الملك الانكليزي قد برر ذلك بأن الممالك النصرانية كانت في حالة حرب بعضها مع بعض، و أن السلام بدأ يسود في أوروبا، و أن الممالك سوف تتحد لاسترداد الأراضي المقدسة"[٣] ".

لكن التعاون المشترك ضد المماليك لم يتحقق بين ملوك أوروبا و إيران في عهد غازان خان، ويرجع ذلك لضعف الأمل عند الأوروبيين في استرداد الأراضي المقدسة خصوصاً بعد سقوط عكا آخرمعاقل الصليبين، وانشغال ملوك أوروبا بمشاكلهم الخاصة، وانصرافهم عن أمور الشرق مضطرين"[٤]".

وبعدهزيمة غازان في معركة مرج الصفر سقط مريضاً في آخر رحلاته الصيفية ،ولم يؤد

---

١ - محمد سهيل طقوش: تاريخ المغول العظام، ص ٦٧، مصطفى طه بدر: مغول إيران، ص ٨١٩.
- Gesta Die Per:Notes and Documents,p819.

٢ - عادل هلال : العلاقات بين المغول وأوربا، ص ١٣٦.

٣ - محمد سهيل طقوش:،تاريخ المغول العظام ص ٢٨٨.

٤ - مصطفى طه بدر: مغول إيران، ٦٨.

علاجه إلى نتيجة، وقد اشتدعليه المرض في طريق العودة من الري"[١]"، إلى قزوين"[٢]"، فتوفي في ١١شوال ٧٠٣هـ/١٣٠٣م وقد بلغ الثلاث والثلاثين من عمره"[٣]".

*السلطان أولجايتو (محمد خدابنده)*٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٣-١٣١٦م

هو الابن الثالث لأرغون خان "[٤]"،وقد ولد في ١٢ من ذي الحجة سنة ٦٨٠ هـ /١٢٨١م"[٥]" بين مرو وسرخس"[٦]"،في منطقة ليس فيها ماء، وكان الناس خائفين بسبب قلة الماء ولكن المقام كان ضرورياً فلما ولد أولجايتو أمطرت السماء واستمر الهطول سبعة أيام، ولأن قدومه كان مباركاً سموه أولجايتو،ثم غيروا اسمه بعد مدة وسموه تمورلان،على عادة المغول بتغيير أسماء أولادهم الأعزاء عليهم في كل مدة ليأمنوا من إصابتهم بالعين،ثم بعد مدة سموه خربنده"[٧]"،وعن سبب تسميته هذا الاسم الأخير عدة آراء ،فمنهم من يقول خدابنده بمعنى عبد الله لأن خدا بالفارسية (اسم الله عز وجل) وبنده غلام أو عبد أوفي معناهما، وقيل إنما هو خربنده، وتفسير خر بالفارسية حمار ومعناها غلام الحمار ، وقيل إن سبب تسميته بهذا الاسم الأخير هو أن التتر يسمون المولود بأول داخل على البيت عند ولادته ، فلما ولد هذا السلطان

١- الري :مدينة مشهورة من أمهات المدن قصبة بلاد الجبال بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا وقد بناها فيروز بن يزدجرد وليس بعد بغداد أعمر منها.(ياقوت الحموي :معجم البلدان،صج٣،ص١١٦-١١٧).

٢ - قزوين :مدينة حسنة وهي ثغر لبلاد الجبل بينها وبين الري تسعين ميلاً زمنها إلى مستقر ملك الديلم ست وثلاثون ميلا وليس لقزوين ماء جار إلا مقدار شربهم.(الإدريسي:نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج٢،ص٦٧٨).

٣ -خواندمير :حبيب السير ،م٣ج١،ص١٥٨،عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٢٨٥.

٤ - عباس إقبال :تاريخ المغول،ص٣١٩.

٥ - خواندمير :حبيب السير ،ص١٩١.

٦ - سرخس:أقدم مدينة من نواحي خراسان وهي كبيرة واسعة بين نيسابور ومرو في وسط الطريق بينها (الحموي :معجم البلدان ،ج٣،ص٢٠٨)

٧ - رشيد الدين الهمذاني : تاريخ الغازاني ويسمى "جامع التواريخ"مخطوط ،رقم المخطوط ٢٢٨٨٠ح،دار الكتب المصرية،ج٣ ،ص٤١٨.

كان أول داخل على البيت الزمال وهم يسمونه خربنده "[1]"،كما قيل في ذلك أيضاً أن أباه كلما كان يولد له ولد يموت صغيراً فقال له بعض الأتراك إذا جاءك ولد سمه اسماً قبيحاً فلما ولد سماه خربندا "[2] " ،ويقال أيضاً أن سبب تسميته خربنده هو أنه بعد وفاة أبيه كان هرب خوفاً من غازان إلى نواحي شيراز , وكرمان واختلط هناك بالخربندكية والمكارين (أي الحمارين والبغالين) , وأمضى وقتاً غير قليل معهم في التردد على هرمز وما حولها فأطلق عليه لقب خربنده"[3]" , وقد أورد البعض أيضاً بأن الشيعة هم الذين لقبوه خدابنده في حين حرّف أهل السنة هذا اللقب إلى خربنده "[4]", وقد تولى الحكم في ١٣ ذي الحجة سنة ٧٠٣ هـ /١٣٠٤م وتلقب بلقب غياث الدين محمد "[5]".

وكان قبل إسلامه يعتنق المسيحية وذلك لأن أمه أوروك خاتون قد عمدته وسمته نيقولا , وهو حفيد شقيق دوقوز خاتون من ناحية الأم"[6]", وكان أولجاتيو قد تزوج في شبابه بامرأة مسلمة رغبته في الدين الإسلامي فأعلن إسلامه على المذهب الحنفي"[7]", وبعد ثلاثة أيام من ارتقائه العرش أصدر مرسوماً بإقامة شعائر الإسلام واحترام الأحكام الغازانية بالإضافة إلى ذلك فقد أبقى على بعض أصحاب المناصب الذين كانوا في عهد غازان،كما عين بعض الموظفين في مناصب الدولة الهامة "[8]".

---

١ – ابن بطوطة :تحفة النظار ،ص٢٠٧.

٢ – ابن تغري بردي :النجوم الزاهرة ،ج٩،ص٢٣٨.

٣ – عبد السلام فهمي :اتاريخ الدولة المغولية في إيران ،ص٢١٥.

٤ – عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٣٠٩،حسن الأمين :المغول ،ص٣٤٣.

٥ – المقريزي :السلوك ،ج١،ق٤،ص٣٩٥،ابن خلدون :العبر ،ج٥،ص٥٤٩،العيني :عقد الجمان،ج٤(٦٩٩-٧٠٧هـ/١٢٩٩-١٣٠٧م)،١٩٩٢م،ص٣١٩.

٦ – عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٣٠٩،فاطمة نبهان:يهود إيران ،ص١٣٠،مجموعة مؤلفين: دائرة المعارف الإسلامية ،مج٢ص١٨٢.

٧ – فاطمة نبهان :مدينة السلطانية ،ص٥٤٢،فتحية الدالي ،تاريخ كزيده ،ص٢١.

٨ – عباس إقبال :تاريخ المغول،ص٣٠٩.

ومما يدلل على صدق إسلامه أنه عندما علم أن أهل جيلان"[١]" يدينون بغير الإسلام جرد حملة إلى هذه المنطقة بقيادة نائبه قتغلشاه ليتأكد من صحة إسلامه"[٢]".

وقد كان أولجاتيو معظماً للخلفاء الراشدين حين نقش أسماءهم على سكته"[٣]" وقد اقتدى بالكتاب والسنة"[٤]" ولكن السلطان أولجاتيو أقام سنة على السنة ثم تحول عنها إلى الرفض , وذلك بتأثير جمال الدين بن مطهر الحلي"[٥]"وكان السبب الذي دفعه إلى اتخاذ مذهب الرفض هو الصراع بين السنة الشافعية والحنفية، فقد أدى اهتمام أولجاتيو بالمذهب الحنفي إلى تشجيع علماء المذهب على إظهار تعصبهم وبغضهم لسائر المذاهب , وكان أولجاتيو قد عين نظام الدين عبد الملك المراغي الشافعي قاضي قضاة إيران العام بتشجيع من رشيد الدين ,ووضع أهل المذاهب كلها تحت إمرته"[٦]".

وكان رشيد الدين من أنصار المذهب الشافعي وكان يبذل كل مافي وسعه في حماية أئمة الشافعية ورؤسائهم , ومما يدلل على ذلك أنه في شهر جمادى الثانية سنة ٧٠٧هـ /١٣٠٧ - ١٣٠٨م وصل إلى بغداد رسول يحمل أمراً بأن يرسل إلى القصر كل من الشيخ شهاب الدين السهروردي"[٧]" وجمال الدين العاقولي الذي اشتهر في المدينة كلها بفقهه كما كان استاذاً لفقه الشافعية في مدرسة المستنصر , وكان الرجلان قد وشي بهما لدى السلطان حيث اتهما

---

١ - جيلان:اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان وليس في جيلان مدينة إنما هي قرى في مروج بين جبال، والعجم يقولون كيلان.(ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج٢،ص٢٠١).

٢ - فاطمة نبهان :مدينة السلطانية ،ص٢٤٢.

٣ - ابن خلدون :العبر ،ج٥،ص٥٤٩.

٤ - سهام محمدالمهدي:الدنانير الإسلامية ،ص١٦.

٥ - النويري :نهاية الأرب ،ج٢٧،ص٢٥٣، الذهبي : تاريخ دول الإسلام ،ج٢،ص ٢٥٣،ابن كثير :البداية والنهاية ،ج٩،ص٢٩٨،ابن خلدون :العبر ،ج٥،ص٥٤٩،محسن الأمين :أعيان الشيعة ،ص٦٤٦.

٦ - عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٣١٤.

٧ - شهاب الدين السهروردي:قدوة أهل التوحيد أبوحفص أبو عبد الله عمر بن محمد بن عبدالله بن محمد التميمي البكري الشافعي الصوفي ولد سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م بسهرورد وقدم بغداد وصنف التصانيف منها عوارف العلوم في بيان طريقة القوم وانتهت إليه تربية المريدين ومشيخة العراق.(عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،د.ت،ج٣،ص١٥٣).

بالتواطؤ مع المصريين، فلما وصلا القصر أعلن رشيد الدين أنه حاميهما وبذل كل ما في وسعه لإظهار براءتهما، وعلى الرغم من استهجانه لمزاعم أنصار رأي أبي حنيفة لكنه أخفى ضيقه لأن هذا كان مذهب السلطان"[١]"،وفي عهد أولجايتو حدثت صراعات فقهية ما بين الشافعية والأحناف، فازدهرت المناظرات بل المواجهات المذهبية خاصة في سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧-١٣٠٨ حيث أخذ كل فريق في ذم مذهب الفريق الآخر"[٢]" ففي خطبة الجمعة قام بعض الأحناف بعد أداء خطبة يوم الجمعة وإقامة الصلاة بالحديث عن المخلوقة من ماء الزنا الموجودة في المذهب الشافعي على سبيل الاستهزاء، وكان قد حدث هذا النقاش في حضور أولجايتو فأجاب القاضي الشافعي نظام الدين إن هذه المسألة ليست في مذهب الإمام الشافعي على الوجه الذي تقررونه أنتم ولكن من منطلق جواب الفاسد بالفاسد، فمذهبكم أولى بالطعن والقدح واعترض عليهم بجواز نكاح الأم والأخت قائلاً أن بمذهبكم يجوز وطء الأخت فلما أنكر الحنفية وجود هذه المسألة في مذهب الإمام أبي حنيفة قرأ القاضي الشافعي هذا البيت من المنظومةالتي يعتبرها الأحناف أصح الكتب:

وليست في لواطة من حد ولا لوطء الأخت بعد العقد

وقال أحد الأمراء وهو قتلغ شاه ماذا فعلنا وقد تركنا ياسا جنكيز خان وتوجهنا إلى دين هؤلاء العرب الذي ينقسم إلى أقسام عديدة وتقوم بينهم الفضائح فأحدهما يجيز نكاح الأخت والآخر يبيح الزنا مع الأم والأخت لذا لابد أن نرجع إلى ياسا وسنن جنكيز خان "[٣]"، ولما وصلت هذه الأخبار إلى مسامع الأمراء والخواتين وقادة الجيوش اشمأزوا من الأمر وكانوا كلما رأوا أحداً من أصحاب العمائم سألوه من أي الطائفتين أنت من طائفة الأخت أم من طائفة الأم

١- رشيد الدين الهمذاني :جامع التواريخ (مقدمة كاترمير)،ص٢٢-٢٣،صبري سليم :الصراع السياسي والمذهبي ،ص٤٣٥،فؤاد الصياد :مؤرخ المغول رشيد الدين ،ص١٤٣.

٢ – عبد الله القاشاني:تاريخ أولجايتو ،ص٩٧،عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٣١٤.

٣-عبدالله القاشاني :المصدر السابق ،ص٩٨-٩٩،عباس إقبال :تاريخ المغول،ص٣١٤.

والأخت"[1]، وتصادف أن قصف الرعد ليلاً وهلك بالصاعقة عدد من مرافقي السلطان فقال بعض المغول هذا من شؤم المسلمين والإسلام فإذا ترك السلطان الصلوات الخمس و الآذان وتاب فسينجح مروره من فوق النار ليتطهر من هذا الشؤم حتى ترك الصلاة والطاعات و الآذان مدة ثلاثة أشهر تقريبا"[2].

يجدر بنا أن نتساءل هنا هل كان هذا الصراع بين الشافعية والحنفية فقط من أجل الحصول على المكاسب السياسية وذلك بانحياز أولجايتو إلى أحد المذهبين وهل كان الوقت مناسباً لهذا الصراع وخاصة أن المغول كانوا قد دخلوا حديثاً في الإسلام وهم بحاجة إلى أن يقووا إيمانهم ولا يتم ذلك إلا بابتعاد المسلمين عن إبراز مظاهر الخلاف والنزاع بين كلا المذهبين، لكن ما حدث هو العكس من ذلك فقد قام المسلمون بالتنازع والصراع فيما بينهم مما دفع ببعض المؤرخين إلى التشنيع بمذهب المسلمين السنة وإدخال أشياء بعيدة عن مذهب أهل السنة،وذلك لمجرد الافتراء عليهم والتدليل على أنها من الأسباب التي دفعت أولجايتو لاعتناق مذهب الشيعة، فأدى ذلك إلى نفور المغول من المسلمين السنة، حيث اتخذ المغول طابع الهزل والسخرية والسباب والفحش والمهاترة وانتصر كل فريق لحزبه، وكان هم كل حزب الكشف عن أقبح المسائل الموجودة في مذهب الآخر واتخاذها مادة للسخرية والتشنيع فحاولوا إبراز عيوبهم بصورة غير لائقة فيها تهوين وازدراء بمذهب الاسلام الذي يدين به هؤلاء"[3] "، وهنا تقدم الأمير طرمطاز الذي كان قد نشأ في بلاط غازان كما إنه كان قد نشأ بين الشيعة في مدينة الري و بذل عدة محاولات كي يجتذب أولجاتيو إلى التشيع، وكان قد قال لأولجاتيو إن غازان خان الذي كان أكثر أهل عصره تعقلاً كان قد اختار التشيع وسيكون من الأفضل له أن يختار هذا المذهب، فغضب السلطان وقال له أتريد أن تجعلني رافضياً، وصار طرمطاز يثني على التشيع وقال له : إن التشيع مذهب يجعل العرش محصوراً في عائلة جنكيز خان دون

---

١ – عبدالله القاشاني :تاريخ أولجايتو ،ص٩٩،عباس إقبال :المرجع السابق ،ص٣١٤–٣١٥.

٢ –عبد الله القاشاني : تاريخ أولجايتو،ص٩٩.

٣ –فؤاد الصياد :مؤرخ المغول الكبير ،ص١٤٦.

غيرهم، أما عقائد أهل السنة تعطي الحق لأي مسلم الوصول إلى هذا المنصب الرفيع، فمال أولجانتيو إلى مذهب التشيع نتيجة لذلك "[1]"،بالإضافة إلى هذه الأمور فإنه كما ذكرنا من قبل فإن جمال الدين بن مطهر الحلي"[2]" كان قد زين لأولجايتو مذهب الروافض وشرح له حال الصحابة والخلافة وقرر له أن أبو بكر وعمر كانا وزيرين لرسول الله وأن علياً ابن عمه وصهره فهو وارث الخلافة، ومثل له ذلك بما هو مألوف عنده من أن الملك الذي بيده إنما هو وارث عن أجداده وأقاربه مع حداثة عهد السلطان بالإسلام وعدم معرفته بقواعد الدين، فأمر السلطان بحمل الناس على الرفض"[3] "،ونتيجة لذلك حذف ذكر الشيخين من الخطبة ونقش أسماء الأئمة الإثني عشرية "[4]"وكتب بذلك إلى العراقين وفارس وأذربيجان وأصفهان وكرمان وخراسان , وبعث الرسل إلى البلاد؛ فكان أول بلد وصل إليها بغداد وشيراز وأصفهان "[5]" وقد امتنع أهل باب الآزج"[6]" من إقامة الخطبة على شعار الشيعة "[7]"، وكان أهل باب الآزج من أهل السنة على مذهب الامام أحمد بن حنبل، ولما كان يوم الجمعة صعد الخطيب المنبر ومعه رسول الملك أولجانتيو فلما صعد قام إليه اثنا عشر ألفاً من حماة بغداد فحلفوا له أنه إذا غير الخطبة المعتادة إن زاد فيها أو أنقص منها فإنهم قاتلوه وقاتلوا رسول السلطان ويستسلمون بعد ذلك لما شاء الله، وكان السلطان قد أمر بأن تسقط أسماء الخلفاء وسائر الصحابة من الخطبة و لا يذكر إلا اسم علي ومن تبعه كعمار رضي الله عنه، فخاف الخطيب وخطب خطبته المعتادة وفعل أهل شيراز وأصفهان كفعل أهل بغداد"[8]، كما قام أولجايتو

---

١ – عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٣١٥،صبري سليم :الصراع السياسي والمذهبي ،ص٤٣٩.

٢ – سيرد الحديث عنه بشكل مفصل في الفصل الرابع.

٣ – ابن بطوطة :تحفة النظار ،ص١٨٧.

٤ – ابن خلدون :العبر ،ج٥ ،ص٥٤٩.

٥ – ابن بطوطة :تحفة النظار،ج١، ،ص١٨٧.

٦ – باب الأزج : محلة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحال كبار في شرق بغداد فيها عدة محال كل واحد منها تشبه أن تكون مدينة.(الحموي :معجم البلدان ،ج١ ،ص١٦٨)

٧ – الذهبي : تاريخ دول الإسلام ،ج٢ ،ص٢٥٣.

٨ – ابن بطوطة :تحفة النظار :ص١٨٧.

بإعادة بناء مرقد الإمام علي الرضا حيث كان قد دمر أثناء الغزو المغولي "[1]" وعندما بنى مدينة السلطانية"[2]" اختمرت في ذهنه أثناء تقدم الأعمال الإنشائية فكرة إحضار رفات علي والحسين وأئمة الشيعة من العراق وتحويل مقابرهم إلى مزار"[3]".

وكان أولجايتو قد ذهب إلى عراق العرب وزار أضرحة النجف"[4]"، ورأى مناماً يحثه على نصرة الإسلام ونشر عقائد الشيعة فأمر أولجايتو باستقدام علماء الشيعة في كل مكان وإنشاء مدارس خاصة لتعليم أسس التشيع ومعتقداته، وأنشأ بجوار ضريح سلطانيه مدرسة قام فيها ستون معلماً بهذه المهمة والتحق بها مئتي طالب لتلقي علوم مذهب التشيع ، وأقام مدرسة أخرى من خيمة قماش تعرف بالمدرسة السيارة وترافق الجيش بصورة دائمة ، ويتحرك معها جمع من العلماء لتعليم الطلاب وتحتوي العديد من الغرف "[5]"، وقد أدت هذه المدرسة إلى ارتباط السلطان بالتشيع وسد الطريق أمام أئمة أهل السنة"[6]" ،وقد حظي عنده الشيخ جمال الدين بن مطهر الحلي بمكانة كبيرة وقد كان هذا تلميذ نصير الدين الطوسي" [7]"وكان قد أقطعه عدة بلاد"[8]"، وقد عقدت عدة مناظرات بينه وبين قاضي القضاة نظام الدين المراغي حول التشيع والتسنن ولما كان كلاهما من كبار علماء المعقول فقد خلت مناظراتهما من التعصب ولم تتعد حدود الجدل العلمي"[9]"، ومما يدل على تشيع خدابنده أنه عندما قتل تاج الدين أبي الفضل محمد نقيب السادة الأشراف ببغداد غضب وأراد أن يشنق قاضي الحنابلة الذي فرح لمقتل النقيب، وبعد أن عفا عنه لتدخل بعض الأمراء أمر فأركبوه حماراً وجعلوا وجهه إلى

---

١ – بطروشوفسكي :الإسلام في إيران ،ص٢٠٨-٢٠٩.

٢ – سيرد الحديث عن مدينة السلطانية في الفصل الرابع

٣– دونالدولبر :إيران ماضيها وحاضرها ،ص٧٠.

٤ – النجف :بظهر الكوفة ،وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.(الحموي :معجم البلدان ،ج٥ ،ص٢٧١)

٥ – عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٣١٥-٣١٦.

٦ – عباس إقبال :المرجع نفسه ،ص٣١٦.

٧– انظر الفصل الرابع .

٨ – ابن كثير ،البداية والنهاية ،ج٩ ،ص٢٩٨.

٩– عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٣١٦.

ذيل الحمار وطافوا به في بغداد، كما أمر بألا يكون للحنابلة قاض في المستقبل"[١]،وقد سأل أولجايتو ذات مرة جمعاً من الأئمة وجمال الدين بن المطهر عن أصحاب المذاهب الأربعة المعروفين بأهل السنة والجماعةالذين يعتبرون أنفسهم أهل الحق والصواب وبقية المذاهب مخطئة وهل هم مصيبون في ذلك ؟ وهؤلاء الأئمة الأربعة هل هم من جملة الصحابة الكرام الذين أدركوا صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم أم أنهم من جملة التابعين؟ وهل هم الذين جعلوا أنفسهم أئمة أم أن أشخاصاً آخرين نصبوهم أئمة، فأجابوه بأنهم ليسوا من الصحابة إلا أنه بعد مئة عام من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم استولى بني أمية ومن بعدهم العباسيون على الملك والدولة فأرادوا أن يباشروا المحظورات، وحتى لايلومهم المسلمون طلبوا من هؤلاء الأئمة إباحة المحرمات"[٢]، كل هذه المبالغات التي ذكرها الشيعة كانت من أجل أن يتخلى أولجايتو عن مذهب أهل السنة ويتبع المذهب الشيعي وقد نجحوا في تحقيق ذلك الأمر، لكن يذكر أن أولجايتو كان قد تخلى عن مذهب الرفض قبل وفاته، فقد أمر بإشهار النداء بنواحي مملكته وذلك بأن أمر بذكر أبي بكر وعمر"[٣]وقد يدلل هذا الأمر على أن أولجايتو قد عاد إلى اتباع مذهب أهل السنة وربما يعود السبب في ذلك أيضاً إلى قاضي شيراز مجد الدين ذلك أنه عندما أرسل أولجايتو الرسل إلى البلاد الواقعة تحت سيطرته من أجل اتباع مذهب الشيعة ووقوف أهل بغداد ضد ذلك الأمر، أمر أولجايتو أن يرمى القاضي إلى الكلاب التي عنده وهي كلاب ضخام في أعناقها السلاسل معدة لأكل بني آدم، فإذا أتي بمن يسلط عليه الكلاب،جعل في رحبة كبيرة مطلقاً غير مقيد ثم بعثت تلك الكلاب عليه فيفر أمامها ولا تفر منه فتدركه وتمزقه وتأكل لحمه فلما أرسلت الكلاب على القاضي مجد الدين بصبصت (أي حركت ذنبها) ولم تهجم عليه بشيء فبلغ ذلك السلطان فخرج من داره حافي القدمين فأكب على رجلي القاضي يقبلهما وأخذ بيده وخلع عليه جميع ماكان عليه من الثياب وهي أعظم كرامات السلطان عندهم وإذا خلع ثيابه على أحد كانت شرفاً له ولبنيه وأعقابه

١ – مصطفى طه بدر:مغول إيران،٣٣٠.

٢ – عبد الله القاشاني :تاريخ أولجايتو ،ص١٠١.

٣– النويري :نهاية الأرب ،ص٤١٧.

يتوارثونه كما أمر النساء بتعظيم مجد الدين والتبرك به ورجع السلطان عن مذهب الـرفض وكتب إلى بلاده أن يقر الناس على مذهب أهل السنة والجماعة وأجـزل العطـاء للقاضـي وأرجعه إلى بلاده مكرماً"[1] ".

يفهم من هذه الحادثة أن أولجايتو قد عاد في أواخر حياته إلى اتباع مذهب أهل السنة ولكـن ليس بالضرورة أن يكون السبب في ذلك الحادثة التي ذكرت من قبل فهذه الحادثة لاتخلو من أن تحمل بعض المبالغة والخيال وربما كانت عودته إلى مذهب أهل السنة بسبب المعارضـة التي لقيها من عامة الناس الذين كان معظمهم سنيون وذلك ليبتعـد عـن إثـارة المشـاكل والخلافات ضده ولكن هواه كان مع الشيعة لأننا كما نعلم أن معظم الحكام الإيلخـانيين كـان هواهم مع الشيعة والمذهب الشيعي الذي يفضلونه على المذهب السني ، أما عن موقفه تجـاه الطوائف الدينية الأخرى فذكرت الدكتورة فاطمة نبهان نقلاًعن حبيب لوى أن وضع اليهـود الإيرانيين كان سيئاً حيث كان يتم الاعتداء على اليهود من قبل بعض العـوام وكـان ذلـك مرضياً له كما إن عدد اليهود قد قل في عهده إلى مائة ألف وإن من اعتنق منهم الإسلام كان يعتنقه نفاقاً، ويعود حبيب لوي ويناقض نفسه مرة أخرى عندما قال أن خدابنده اختار يهوديـاً يسمى غياث الدين بن خواجه رشيد الدين ليكون الصدر الأعظم ولكن أباه كان يهودياً وأعلن إسلامه وقد ردت فاطمة نبهان على ذلك الإدعاء بأن غياث الدين بن رشيد الـدين لـم يكـن يهودياً بل كان مسلماً وخدابنده لم يستوزره وإنما استوزر أباه رشيد الدين"[2]".

أما الرهبان البوذيون فقد حاولوا استمالة الخان إلى ديانتهم فذهبت محاولتهم أدراج الرياح بل تسبب ذلك في طردهم نهائياً من البلاد"[3]"، أما عن علاقته مع الغرب المسيحي فقـد حـاول أولجايتو المحافظة على الصلات الودية التي أنشأها أسلافه مع أوروبا المسيحية "[4]"،وقد قـام

١ – ابن بطوطة :تحفة النظار ،ص١٨٧-١٨٨.

٢ – فاطمة نبهان :يهود إيران،ص١٣١.

٣ – برتولد شبولر :العالم الإسلامي في العصر المغولي ،٧٦.

٤ – مجموعة مؤلفين: دائرة المعارف الإسلامية ،مج٢ ص١٨٢.

بإرسال سفارته إلى فيليب الرابع ملك فرنسا سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٥م وقد طلب منه تبادل السفراء وتكثيف العلاقات بين الطرفين والتفاهم والسلام"[١].

كما إن أولجايتو أرسل سفارة ثانية إلى ملك انجلترا إدوارد الثاني في سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م وقد رد الملك الإنجليزي عليها في رسالتين الأولى مؤرخة في ١٧ربيع الآخر /١٦ أوكتوبر وقد أعرب فيها عن رغبته في الاستمرار في علاقات الصداقة مع الإيلخان المغولي لكنه لم يلزم نفسه بتعهدات جديدة وكانت عبارات أولجايتو إلى ملوك الغرب الأوروبي تخفي اعتناقه الإسلام وقد اعتقد ادوارد الثاني بأن أولجايتو كان نصراني أو يميل إلى النصرانية أو على الأقل ليس مسلماً"[٢]، وقد هاجم ادوارد في رسالته الثانية العقيدة الإسلامية ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بعبارات غير لائقة وطلب منه التخلص من أتباعه المسلمين وكتابهم القرآن الكريم وقد أخبره باستعداده لمساعدة الخان المغولي لولا البعد والمسافة وأن نخبة من هيئة الفرنسيسكان ستصل إلى بلاده كي تنشر العقيدة المسيحية الكاثوليكية"[٣]،وعندما وصلت سفارة أولجايتو من فرنسا إلى روما أواخر سنة٧٠٧هـ/١٣٠٨م فإن البابا كتب إلى الإيلخان رسالة مؤرخة في ٦رمضان /الأول من مارس أعلن فيها عن سروره وسعادته باستلام رسالته التي تتضمن معلومات قيمة تفيد بأنه سيجهز مائتي ألف سفينة ومائتي ألف كيس من القمح ويضعها تحت تصرف مملكة أرمينا الصغرى لإمداد الجيوش الصليبية حين قدومها لتخليص الأراضي المقدسة بالإضافة إلى ذلك فإن الإيلخان سيقود مائة ألف فارس لتدعيم هذه القوة لطرد المسلمين من الأراضي المقدسة وقد نصح البابا كليمنت الخامس أولجايتو بأن يواصل مساعيه لاسترداد الأراضي المقدسة من أعداء الرب الذين دنسوها"[٤] "

---

١ – عادل هلال :العلاقات بين المغول وأوروبا ،ص١٣٨.

٢ – محمد سهيل طقوش :تاريخ المغول ،ص٣١٣.

٣ – عادل هلال :العلاقات بين المغول وأوربا ،ص١٣٩.

٤ – محمد سهيل طقوش :تاريخ المغول العظام ،ص٣١٤-٣١٥.

ويميل بعض الباحثين إلى أن هذه العروض التي قدمها أولجايتو عروض خيالية وكانت هذه الأمور محضر مبالغات من أفواه السفير الإيطالي الأصل لأن خطاب أولجايتو الرسمي الذي يحمل خاتم وتوقيع الخان لم يتضمن كلمة واحدة من هذا الأمرتم أن أرغون نفسه وقد كان بوذياً وفي قمة حاجته ولهفته للتحالف مع الأوربيين عرض عليهم إمدادهم بعشرين ألفاً من الخيول بأسعار معتدلة فكيف يعرض عليهم أولجايتو عشرة أضعاف هذا الرقم وهو مسلم وكان في حالة صلح مع المماليك "[١] " .

ويعتقد أن تلك العروض الخيالية لم تحرك الأوربيين لإرسال حملة صليبية لانهماكهم بمشكلاتهم الإقليمية واهتماماتهم الجديدة الناتجة عن الانكباب على دراسة التقارير التي وضعها الفلاسفة والمنظرين وأرباب السيف والقلم حول أسباب فشل الصليبيين في الاحتفاظ بمواقعهم في الأراضي المقدسة وأنجع الأسباب لاسترداد هذه البقاع"[٢] ".

وفي عهد أولجايتو(خدابنده)حدث تطور هام على صعيد العلاقات بين الإيلخانيين والأراضي المقدسة، ويظهر ذلك من خلال لجوء حميضة" [٣]" سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م إلى أولجايتو(خدبندا) حيث قام بقتل أخيه أبي الغيث"[٤] "، فلجأ إلى خربندا الذي استقبله استقبالاً حافلاً وأكرمه "[٥] " وقد ساعده أيضاً وتعصب له الدلقندي الرافضي وساعده حتى جهز له جيشاً يغزو به مكة

---

١ – العلاقات بين المغول وأوربا ،ص١٤٠.

٢ – محمد سهيل طقوش :تاريخ المغول العظام ،ص٣١٦.

٣ – حميضة بن أبي نمى محمد بن حسن بن علي بن قتادة بن إدريس الحسني الشريف عز الدين أمير مكة كان هو وأخوه رميثة قد وليا أمر مكة في حياة أبيهما سنة ٧٠١هـ ثم استقلا بالإمرة وكان أبي الغيث قد شكا إلى بيبرس في موسم الحج أخيه حميضة ورميثة فقبض عليهما وحملهما إلى القاهرة ثم أفرج عنهما بعد ذلك.ابن حجر العسقلاني :الدرر الكامنة ،ج٢،ص٧٨-٧٩).

٤ – أبوالغيث بن محمد بن حسن بن علي بن قتادة الحسني أمير مكة أخو حميضة كان قد ولي إمرة مكة ووقع بينه وبين أخيه حميضة مناكدة كثيرة أدت إلى مقتله سنة ٧١٥هـ /١٣١٥م.(ابن حجر العسقلاني :الدرر الكامنة ،ج٣،ص٢١٨-٢١٩).

٥ – المقريزي :السلوك ،ج٢ق١،ص١٤٧.

وأطمعه في أن يخطب له في مكة وأن يقطع خطبة الناصر لكن ذلك لم يتم بسبب موت خربندا "[1] ".

هذا الأمر له دلالة خطيرة وهي إننا كما نعلم أنه في هذه الفترة كان محمد خدابنده على المذهب الشيعي وإن إعلان الخطبة في بلاد الحجاز باسم خدابنده دلالة على نشر المذهب الشيعي في البلاد، ويظهر ذلك واضحاً من تعصب الدلقندي الشيعي نائب خدابنده في البصرة لحميضة وجهوده الحثيثة لتقديم المساعدة له، والذي يدلل على ذلك أيضاً ماذكره ابن تغري بردي من تجريد خدابنده ثلاثة آلاف فارس إلى المدينة النبوية لينقل أبا بكر وعمر رضي الله عنهما من مدفنهما سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م"[2]"ويؤكد ذلك الأمر أيضاً ابن خلدون حيث ذكر أن حميضة استنجد خربندا على ملك الحجاز وقد شاع بين الناس أنه داخل الروافض الذين عند خربندا في إخراج الشيخين من قبريهما "[3]"، فكيف تلاقت مصالح خدابنده وحميضة المتفقين في المذهب على التجرؤ على نبش قبري الشيخين متجاهلين وجود المماليك الذين يعتبرون حماة أهل السنة متناسين ماقد يجره عليهم هذا العمل من ويلات تصيبهم على يد المسلمين الذين لن يرضوا بما يحدث.

ولكن بموت خربندا تفرقت جموعهم وظفر بهم محمد بن عيسى"[4]" أخو مهنا ومن معه من العرب فأخذوا مامعه ومع الدلقندي من الأموال ووقع في الأسر من المغول أربعمائة رجل وكتب محمد بن عيسى إلى سلطان مصر بالنصر فأنعم عليه السلطان نتيجة لعمله هذا " "[5] .

---

١ – ابن حجر العسقلاني :الدرر الكامنة ،ج٢ ،ص٧٩-٨٠.
٢ – النجوم الزاهرة ،ج٩،ص٢٣٨.
٣ – العبر وديوان المبتدأ والخبر ،ج٥،ص٤٣٢.
٤ – محمد بن عيسى بن مهنا أمير آل فضل وهو أخومهنا كان حسن الشكل له معرفة ودرايةمات في رجب سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٣م انتصر على حميضة الذي اتفق مع خربندا على أخذ مكةفأعجب به الناصر وبالغ بالإحسان له (ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ،ج٤،ص١٣١).
٥ – المقريزي :السلوك ،ج٢ق٢،ص١٤٨، ابن حجر العسقلاني :الدرر الكامنة ،ج٢،ص٨٠.

الصراع بين الوزيرين رشيد الدين وسعد الدين :

كان سعد الدين وزيراً فاضلاً وقد أسند إليه منصب الوزارة بناءً على أمر غازان بالاشتراك مع الوزير رشيد الدين الطبيب، وعندما تولى السلطان أولجايتو أمر السلطنة ترك تدبير شؤون الوزارة وإدارة مصالح الرعية في أيدي الوزيرين رشيد الدين وسعد الدين "[1] "،وكما ذكرنا من قبل فإن رشيد الدين كان على مذهب أهل السنة، و قد استطاع أن يجعل أولجايتو يعتنق هذا المذهب بل و استطاع أيضاً أن ينجح في تحويل أولجايتو إلى المذهب الشافعي ، أما زميله في الوزارة سعد الدين الساوجي فقد كان وزيراً اسمياً فقط، و لكنه بمجرد أن اعتنق أولجايتو مذهب الشيعة واختاره ليكون المذهب الرسمي للدولة تغيرت الأوضاع فصار الوزير سعد الدين مقرباً إلى محيط الشيعة، وعندئذ شعر بأنه أقوى من زميله رشيد الدين و يبدو أنه أراد أن يستفيد من هذا الوضع "[2]"، فقام بتحريض تاج الدين الأوجي و جماعة من نوابه بالكيد للوزير رشيد الدين" [3]"، لكن السلطان علم بالمؤامرة التي حيكت ضد رشيد الدين و ذلك بعد التحقيق مع جماعة المدبرين و تم القضاء على هذه الفتنة وذلك بالقضاء على سعد الدين الساوجي"[4]".

أما رشيد الدين فقد أشرك معه أولجايتو الخواجه عليشاه الجيلاني في الوزارة فأخذ ذلك الوزير يفصل في بعض الأمور دون علم من الوزير رشيد الدين ولهذا سيطر الحزن والملل على نفس رشيد الدين وشكا إلى السلطان قائلاً له :"حيث أنني أسبق من الوزير عليشاه في منصب الوزارة فإنه يلزم عليه أن يتبعني وإذا كان هو قد استقل بإدارة هذا المنصب فإنه يلزم علي أن انتقل إلى إدارة عمل آخرلكن السلطان أولجايتو طلب منهم الاتفاق لأن مصلحة الدولة قائمة على تصالحهما لكن المنافسة ظلت قائمة بين الطرفين رغم محاولات الإصلاح بينهما

---

١ – خواندمير :دستور الوزراء،ص٣٧٢-٣٧٣.

٢ – فؤاد الصياد،الشرق الإسلامي ص١٤٩

٣ – خواندمير، دستور الوزراء ، ص ٣٧٣.

٤ – خواندمير، المصدر نفسه، ص ٣٧٣.

فانتهت حياة رشيد الدين بقتله بدسائس من عليشاه بحجة أن إبراهيم بن رشيد الدين وقد كان ساقياً للسلطان أولجايتو قد دس السم للسلطان بتحريض من والده وقد توفي السلطان أولجايتو (خدابنده)بسبب ذلك فأمر أبو سعيد بن خدابنده بقتل ذلك الوزير الطيب وابنه إبراهيم في ١٧جمادى الأولى سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م "[١] ".

كان الهدف من ذكر هذه الحادثة هو إظهار مدى الصراع الذي كان بين الوزيرين الذين يمثلان اتجاهين مختلفين أحدهما يمثل الاتجاه السني والآخر يمثل الاتجاه الشيعي وصراع كل منهما مع الآخر ثم مقتل كل منهما بتأثير من تاج الدين عليشاه وأيضاً التساؤل عن قيام معظم الحكام المغول الإيلخانيين بقتل وزرائهم رغم تفاني هؤلاء الوزراء في إخلاصهم للحكام وخاصة إذا لاحظنا أن معظم الوزراء كانوا من المسلمين في كل مراحل حكم الإيلخانيين المسلمين منهم وغير المسلمين وهذا السبب ربما قد يدفعنا إلى الاعتقاد بأن السبب في قتل هؤلاء الوزراء هو خوفهم من تمادي نفوذهم مما قد يؤدي إلى تمردهم وعصيانهم أو الانقلاب عليهم.

وفاة أولجايتو :

كان أولجايتو كأغلب الإيلخانات مفرطاً في الشراب ومغرقاً في اللذات واللهو"[٢]" لذلك فقد اعتراه الوهن وفي رمضان سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م حين كان مشغولاً بالصيد على أطراف مدينة السلطانية وقد أصيب بالآم شديدة في ساقيه وسقط مريضاً "[٣] "،وقد توفي في ليلة ٢٩من رمضان من تلك السنة في سن السادسة والثلاثين ودفن في القبة التي بناها في مدينة السلطانية"[٤] " .

١ – خواندمير :دستور الوزراء ،ص٣٧٦-٣٧٧.

٢ – المقريزي :السلوك ،ج٢ق١،ص١٥٩.

٣ – عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٣٢٢

٤ – فؤاد الصياد :مؤرخ المغول رشيد الدين ،ص١٧٠.

ولد السلطان أبو سعيد بهادر خان بن أولجايتو بن أرغون في ٨ ذي القعدة سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م في منطقة نورقوى من بلاد أذربيجان "[١]"،وقد عهدوا به إلى مربية اسمها مريم وبعد مرور سبعة أيام على ولادته وقع اختيار أبيه على الأمير المغولي سونج الذي كان يثق به ثقة مطلقة ليكون أتابكاً لولده الصغير حتى يشرف على تربيته وتنشئته"[٢]"،وكان أبو سعيد هو أول حاكم مغولي في بلاد إيران كان قد حمل اسماً إسلامياً"[٣]"،وفي سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م نصبه أبوه حاكماً على خراسان تحت إشراف الأمير سونج فظل يحكم في هذا المنصب حتى وفاة أبيه فترك مقر الحكم واتجه إلى السلطانية حيث اعتلى عرش الإيلخانية في صفر سنة ٧١٧هـ /١٣١٦م بمساعدة الأمير سونج والأمير المغولي جوبان"[٤]"[٥]"،وكان أبو سعيد طفلاً صغيراً حين وفاة والده خدابنده فاستصغره الأمير جوبان"[٦]"،وكان الأمير جوبان قد تولى منصب إمرة الأمراء وقيادة الجيش ونصب ابن الأمير جوبان الذي يدعى تيمور تاش حاكماً على حكومة الروم ثم ثبت الخواجة رشيد الدين على كرسي الوزارة بالمشاركة مع تاج الدين عليشاه كما عين الأمير إيرنجين حاكماً على ديار بكر"[٧]" ،وقد كان صغر السلطان أبو سعيد سبباً في حدوث الارتباك في الدولة حيث إن هذا الأمر جعل المجال مفتوحاً أمام ظهور زعماء جدد كانت أول خطوة لهم أن عزلوا الوزير ذي الضمير الحي الذي كانت قد علت

---

١ – خواندمير:حبيب السير ،ص١٩٨،فتحية الدالي :تاريخ كزيده ،ص٣٠.

٢ – فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص٤٠٩.

٣ – برتولد شبولر :العالم الإسلامي في العصر المغولي ،ص٧٨.

٤ – الأمير جوبان : نائب المملكة القاآنية تمكن من المملكة وأباد عدداً من الأمراء المغول وكان ابنه دمشق خواجا قائد عشرة آلاف الذي قتل على يد أبي سعيد وكان الجوبان صحيح الإسلام ،كثير النصح للمسلمين وقد سيطر على مقاليد الأمور في دولة أبي سعيد وازدادت قوته حيث لم يبق لأبي سعيد من السلطة سوى الاسم حارب محمد أوزبك خان القبيلة الذهبية وانتصر عليه(ابن حجر العسقلاني :الدرر الكامنة ،ج١ ،ص٥٤١،محمد سهيل طقوش :تاريخ المغول العظام ،ص٣٢١-٣٢٥).

٥ – خواندمير :حبيب السير ،م٣ج١،ص١٩٨ ،عبد المحمد آيتي :تحرير تاريخ وصاف،ص٣٥٦ ،صبري سليم :الصراع السياسي والمذهبي ،ص٤٦٨،فتحية الدالي :المرجع السابق ،٣٠.

٦ – ابن خلدون :العبر ،ج٥ ،ص٥٤٩،فاطمة نبهان :يهود إيران ،ص١٣٢.

٧ – خواندمير :حبيب السير ،ص١٩٨،فتحية الدالي :المرجع السابق ،ص٣١.

منزلته عند غازان وقدم معه إلى الشام وازدادت مكانته في أيام خدابنده فلما مات عزل عن وظائفه وقد اتهم مع ولده عز الدين إبراهيم بحجة أنه دس السم للسلطان أولجايتو (خدابنده) وكان رشيد الدين يبلغ من العمر حينئذ ثلاث وسبعون عاماً"[١]".

أما عن مذهب السلطان :

كان أبوسعيد مسلماً قليل الشر يكره الظلم وينقاد إلى الشرع "[٢]"،فلما اعتلى العرش ضرب السكة باسمه ونقش على أحد وجهيها أسماء الخلفاء الأربعة "[٣]"،حيث تشير الدنانير التي وجدت في عهد أبي سعيد ذكره أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة على سكته مما يدل على أنه كان سنياً"[٤]"وقد كان على المذهب الحنفي مذهب أهل السنة والجماعة"[٥]"كما إن جوبان كان واحداً من أبرز رجالات السنة في البلاط الإيلخاني وكان قد أعلن هو والأمير آيسن عن تمسكهما بالمذهب السني وهذا دفع غالبية رجال الدولة إلى الاقتداء بسلطانهم فكان طبيعياً بعد أن أصبح الرجل الأول في الدولة أن يعلن تأييده الكامل لهذا المذهب السني وأن يجتذب الإيلخان الجديد معه إلى هذا الاتجاه"[٦]"، وقد قام أبو سعيد بإجراءات كثيرة في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين منها أنه منع إراقة الخمور وأبطل الفواحش كما إنه أمر بهدم الكنائس"[٧]"،وأن توضع العلائم على الذميين من يهود ونصارى تمييزاً لهم عن المسلمين بأن

---

١ - المقريزي :السلوك ،ج٢ق١،ص١٨٩،برتولد شبولر :العالم الإسلامي في العصر المغولي ،ص٧٨،فتحية الدالي تاريخ كزيده ،ص٣٢ ،عباس العزاوي :تاريخ العراق بين احتلالين ،ج١،ص٤٥١.

٢- ابن تغري بردي :المنهل الصافي ،ج٣،ص٤٤٢،الصفدي :الوافي:،ج١٠،ص٣٢٣.

٣ - أحمد عبد العزيز بقوش :المجتمع المغولي :ص٢٨٥.

٤ - سهام محمد المهدي :الدنانير الإيلخانية،ص١٨.

٥- ابن تغري بردي :النجوم الزاهرة ،ج٩،ص٣٠٩،أحمد عبد العزيز بقوش:المجتمع المغولي ،ص٢٨٥.

٦ - صبري سليم :الصراع السياسي والمذهبي ،ص٤٦٨.

٧ - ابن تغري بردي :المنهل ،ص٤٤٢، المقريزي :السلوك ،ج٢ق١،ص٢١١،الصفدي :الوافي ،ج١٠،ص٣٢٣،فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص٤٧٧،سليمان الدخيل :الفوز بالمراد في تاريخ بغداد،تقديم: محمد زينهم عزب،ط١،دار الآفاق العربية ،القاهرة،٢٠٠٣م، ص٢٢٩.

يرتدي النصارى العمائم الزرقاء واليهود العمائم الصفراء"[1]"، بالإضافة إلى ذلك فإن أبا سعيد قام بنشر العدل بين الناس وعمر المساجد والجوامع"[2]" ،بالإضافة إلى ذلك فإنه قدم الخلع للذين أسلموا من أهل الذمة "[3]".

لكن أحد المؤرخين الشعة يصنف أبو سعيد على إنه في عداد الشيعة، وذلك لأن أباه أيـضاً كان قد تشيع على يد العلامة الحلي "[4]"، كما ذكرت فاطمة نبهان نقلاً عن أحد المؤرخين بأن أباسعيد أول سلطان اعتنق المذهب الشيعي وكانت قد ردت عليه بأن أباسعيد لم يكـن شـيعياً وإنما كان سنياً أما أبوه أولجايتو فهو الذي اعتنق المذهب الشيعي"[5]"،وهذا الأمر صـحيح لأن أبا سعيد كان على المذهب السني كما ذكرنا من قبل وليس على المذهب الشيعي وذلك لأسباب منها أن الأمير الجوبان وكبار رجال الدولة كانوا على المذهب السني وبما أن السلطان كـان صغير السن ومحاط بأمراء كانوا على المذهب السني فكان لابد من الاقتـداء بهـم واتبـاع مذهبهم وأيضاً لأن والده كان قد جر عليه غضب الناس وذلك لما قام به مـن إسـقاط اسـم الشيخين من الخطبة ومحاولاته نبش قبرهما وذلك عندما اتفق مع حميضة من أجل تنفيذ ذلك الأمر، فعندمااستلم أبو سعيد الحكم فكان لابد من إرضاء الناس وذلك بالعودة إلـى المـذهب السني .

ولكن من الأمور المثيرة للانتباه هي إقدام أبي سعيد على الزواج من بنت الجوبـان وكانـت تسمى بغداد خاتون وهي من أجمل النساء وكانت زوجة الشيخ حسن صاحب بغداد فقام أبـو

---

١ – يوسف رزق الله غنيمة :نزهة المشتاق ،ص١٥٧،فؤادالصياد :الشرق الإسلامي ،ص٤٧٧،أحمد عبد العزيز بقوش :المجتمع المغولي ،ص٢٨٥،سليمان الدخيل :الفوز بالمراد، ص٢٢٩.

٢– المقريزي :السلوك ،ج٢ق١،ص٢١١.

٣– ابن تغري :المنهل ،ص٤٤٢،الصفدي :الوافي،ص٣٢٣.

٤– محسن الأمين :أعيان الشيعة ،ج١٠،ص٢٦٥.

٥– فاطمة نبهان :يهود إيران ،ص١٣٣.

سعيد بالزواج منها رغم أنها كانت متزوجة "[1]"،وقد كانت الياسا الجنكيزية تقضي بـأن كـل زوجة يرغب بها الخان يتحتم على زوجها أن يطلقها أو يرسلها إليه "[2]".

وهنا يتبادر إلى ذهننا سؤال هو كيف يقوم أبو سعيد بالزواج من إمرأة متزوجة من رجل آخر ويجبر زوجها على طلاقها والزواج منها وأيضاً نلاحظ أن معظم المغول الذين أعلنـوا إسلامهم قد تجاوزوا في كثير من الأمور حدود الشرع الإسلامي فكما لاحظنا من قبل عندما أراد غازان أن يرتد عن دينه لمجرد أنه سيحرم من بلغان خاتون زوجة أبيه التي أحبها لولا أن قاموا بتبرير زواجه منها بأنه زواج شرعي وهذا هو أبو سُعيد يطلق زوجة من زوجهـا فقط لأنه أحبها ،هذه الأمور مجتمعة تدلل على أن إسلام المغول كان إسلاماً شكلياً غير متمكن في قلوبهم وخاصة إذا عرفنا أن أبا سعيد قد تزوج من دلشاد خاتون ابنة أخي بغداد خاتون أي أنه جمع بين العمة وابنة أخيها وهذا الزواج غير مباح شرعاً"[3]"، حيث إنهم كانوا مـستعدين لإرضاء رغباتهم حتى لو خالفت هذه الأمور الشرع الإسلامي.

وفي عهد أبي سعيد حدثت وفاة شخصين هامين كان لهما دورهام في بلاط المغول أحـدهما كان له الفضل في إسلام غازان وهو الشخصية السنية صدر الدين إبراهيم بن قطب الدين بن حمويه الجويني الشافعي الذي توفي سنة ٧٢٢هـ/١٣٠٢م والذي أسلم غازان على يديه فـي الرابع من شعبان سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م "[4]"،والشخصية الثانية التي كان لها الفضل الكبير في تشيع أولجايتو(محمد خدابنده)و هو أبو منصور شيخ الرافضة جمال الـدين الحـسين بـن يوسف بن مطهر الحلي العراقي الشيعي و كان ذو وجاهة عند خدابنده ملك التتر ولـه عـدة

١ – ابن بطوطة :تحفة النظار ،ص٢٠٩.

٢ – عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٣٣٣.

٣ – خواندمير :حبيب السير ،ص ،أحمد بقوش :المجتمع المغولي،ص٢٨٦.

٤– ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، الجزء الأول ، ص ١٤١. صبري سليم : الصراع السياسي والمـذهبي، ص ٤٧٤.

مصنفات تزيد عن مئة وعشرين مجلداً في الفقه والنحو و الأصول و الفلسفة والرفض وكان قد ولد ليلة الجمعة سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م وتوفي في ليلة الجمعة سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م

وقد قام ابن تيمية بالرد على كتبه في أربعة مجلدات وكان يسميه ابن المنجس على عكس شهرته كونه يعرف ابن المطهر"[١]".

المشكلات التي واجهت السلطان أبا سعيد :

تعرض أبو سعيد نتيجة لصغر سنه إلى مشكلات سياسية كبيرة حيث أن الأمير جوبان استولى على الإدارة و لم يملك أبو سعيد من السلطنة إلا الاسم والسكة والخطبة "[٢]".

ومن أهم هذه المشكلات المعقدة التي تعرض لها أبو سعيد هي مهاجمة الأعداء الخارجيين للدولة الإيلخانية حيث قام يسور الجغتائي بالاستيلاء على خراسان، ومن ثم عزم على مهاجمة مازندران وكان أبو سعيد قد أرسل الأمير آيسن قتلغ إلى خراسان وقد حاول استمالة أعوان يسوروقد تظاهريسور بالخضوع لطاعة الإيلخان وقنع قتلغ بهذه الطاعة الظاهرية وما إن عاد قتلغ حتى قام يسور بالتمرد مرة ثانية على السلطان حيث توغل في أواسط أراضي مازندران وشن غارات متوالية وأعمل القتل في الأهالي وقد فوض السلطان أبوسعيد الأمير حسين جوركان بن آقبوغا جلاير بصد الأمير يسور وقد قام بإخماد نار الفتنة وقتل يسور"[٣]"،كما إن دولته تعرضت لأخطار جسيمة من جانب أبناء عمومته حكام المغول الجغتائيين الذين يحكمون فيما وراء النهر ومغول القبيلة الذهبية الذين كانوا يحكمون في صحراء القبجاق وكان من الممكن أن تهدد هذه الحملات دولة أبي سعيد وتقوضها لو لم يسارع الأمراء والقواد المخلصون في دولة أبي سعيد التصدي لهؤلاء المهاجمين والقضاء على

---

١ – ابن كثير: البداية والنهاية ،ج٩، ص ٣٤٣. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ،ج ٩، ص ٢٦٧.

٢ – عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلا لين ، ص٤٤٧.

٣ – عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٣٢٨،فتحية الدالي :تاريخ كزيده ،ص٢٣.

محاولاتهم"[1]"،وكان الأمير جوبان قد تمكن من صد أوزبك خان ملك صحراء القبجاق وأجبره على العودة خائباً وإن انتصارات جوبان قد أدت إلى حقد بعض الأمراء عليه وتحالفهم مع بعضهم من أجل القضاء عليه لكن هذه المؤامرات كشفت في النهاية وتم إنقاذه من القتل"[2]" بالإضافة إلى هذه المشكلات التي ألمت بأبي سعيد فإن البلاد قد تعرضت خلال سنوات ٧١٧-٧٢٠هـ /١٣١٨- ١٣٢٠م إلى مجاعة و قحط شديد ثم تلاها أعاصير مدمرة ألقت الفزع في قلوب الرعية وعندما سأل أبي سعيد علماء الدين عن سبب تلك الثورة العارمة عزوا ذلك إلى انتشار الرذائل والمفاسد بالبلاد حتى جاورت الحانات المساجد ودور العلم في بعض الأحيان فأصدر أبو سعيد أمراً بإراقة الخمور وإغلاق الحانات كما أنه أظهر العدل والإحسان وزوج الخواطىء ففرح المسلمون بذلك"[3]"،بالإضافة إلى ذلك أيضاً قام أبو سعيد بالتخلص من الجوبان ودمشق خواجة حيث إنه علم بأن دمشق خواجة كان يفتك بحريم السلطان فأمر أبو سعيد بقتل دمشق خواجة وعندما علم الجوبان وأولاده بذلك هربوا إلى صحراء سجستان وقد أراد اللحاق بملك هراة غياث الدين مستجيراً به وكان هذا الأخير قد قتل الجوبان وابنه وبعث برأسيهما إلى السلطان أبي سعيد"[4]".

أما عن علاقة أبي سعيد بالمماليك:

فقد حاول أبوسعيد أن يقيم مع المماليك علاقة ودية حيث أنه بعث الرسل والهداياإلى الملك الناصر بالديار المصرية وتكرر ذلك منه"[5]"، كما طلب من سلطان مصر الصلح ولكن بشروط وهي ألا تدخل الفدائية إليهم"[6]"،فقد كان السلطان الناصر محمد بن قلاوون قد بعث بالفدائيين

---

١ -فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص٤٣١.

٢ -عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٣٢٩،فتحية الدالي :تاريخ كزيده ،ص٣٣.

٣ -ابن كثير :البداية والنهاية ،ج٩،ص٣١٨،نعمان الطيب سليمان :جهود المماليك في تصفية الوجود المغولي بالشام ،ص١٤٧،فتحية الدالي :تاريخ كزيده ،ص٣٣.

٤ -ابن بطوطة :تحفة النظار ،ص٢٠٨-٢٠٩، سليمان الدخيل:الفوز بالمراد في تاريخ بغداد،ص٢٢٨.

٥ - النويري :نهاية الأرب ،ج٢٧ ص ٤٢٠. عباس العزاوي : تاريخ العراق،ج١، ص ٤٦٤.

٦ -المقريزي :السلوك ،ج٢ق١،ص٢٠٩.

الإسماعيليين لقتل الأمير قراسنقر"[1]" وآقوش الأفرم"[2]" بعد أن فـرا مـن الشـام فـي أيـام أولجـايتو(خدابنـده) لاجئـين إليـه ومحرضـين إيـاه علـى غـزو الرحبـة"[3]" سـنة ٧١٢هـ/١٣١٢م"[4]"،وقد وصل خبر الفدائية إلى أبي سعيد الذين حاولوا قتله هـو والأميـر جوبان فاحترسوا على أنفسهم "[5]".

هذا هو السبب الذي جعل أبو سعيد يطلب إبعاد الفدائية عن بلاده وجعلها شرط من شـروط الصلح.

ومن ضمن شروط الصلح أيضاً أنه من حضر من مصر هارباً إليهم لايطلب ومـن حضـر منهم إلى مصر لايعود إليهم ،وأن يمتنع المماليك عن إرسال العرب والتركمان للإغارة على ممالك الإيلخانيين،كما طلب أن تكون الطريق بين المملكتين مفتوحة ويسير تجار كل مملكـة إلى الأخرى وأن يسير الركب من العراق إلى الحجاز ومعه سنجق فيه اسم صاحب مصر مع سنجق أبي سعيد ليتجمل بالسنجق السلطاني وألا يطلب الأمير قراسنقر وقد جمـع السـلطان

---

١ - قراسنقر: اشتراه المنصور قلاوون قبل أن يصبح سلطاناً ،ولي نيابة حلب ،ثم قدم مصر وكان فيمن سعى في قتل الأشرف ،ثم دخل في خدمة الملك الناصر وقد استنابه الملك الناصر على الشام ،لكنه تمرد عليه والتحق بخدمة السلطان المغولي خدابنده فأقطعه مراغة ،حاول الناصر قتله عن طريق الفدائية لكنه فشل في ذلك ،مات في مراغة سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م(ابن حجر العسقلاني :الدرر الكامنة ،ج٣،ص٢٤٦-٢٤٧).

٢ - آقوش الأفرم : الجركسي كان من مماليك المنصور في بداية أمره ولي نيابة الشام مدة وقد تمكن في دمشق حتى كان يكتب التواقيع بالوظائف ويرسلها لمصرفيعلم السلطان عليها ولايرد منها شيءفر من الملك الناصر إلى خدابنده سلطان المغول فأنعم عليه بإمرة همذان حاولت الفدائية قتله عدة مرات ولم تنجح إلى أن مات سنة ٧٢٠هـ بالفالج(ابن حجر العسقلاني :المصدر نفسه ،ج١،ص٣٩٧-٣٩٨).

٣ - الرحبة ناحية بين المدينة والشام قريبة من وادي القرى (ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج٣،ص٣٣).

٤ -الصفدي :الوافي ،ج٩،ص٣٣٤،محمد جمال الدين سرور :دولة بني قلاوون ،ص٢٠٦،صـبري سـليم :الصـراع السياسي والمذهبي ،ص٢٠٦.

٥ -المقريزي :السلوك ،ج٢ق١،ص٢٠٧.

الأمراء واستشارهم في ذلك بعد أن قرأ عليهم الكتاب فاتفق الرأي علــى إمضــاء الصــلح وجهزت الهدايا لأبي سعيد "[١]".

هذه الأمور التي ذكرناها تدلل على سعي السلطان أبو سعيد على كسب ود المماليك وتحسين العلاقات معهم والدخول معهم في صلح وذلك بسبب المشكلات الجسيمة التي تعرض لها أبو سعيد وبذلك هدأت العلاقات بين الطرفين وبالتالي سينعكس هذا الأمر على أوضاع المسلمين في تلك البلاد،وبعد ذلك وصل رسول أبي سعيد وأخبره بوصول الهدية السلطانية وسألوا تجهيز السنجق السلطاني ليسير مع الركب إلى الحجاز وكان أبو سعيد قد نادى فــي مملكتــه بالحج فتجهز كثير من الناس لأداء فريضة الحج"[٢]".

أما بالنسبة لموقف الإيلخان المغولي من أمراء الحجاز:

ذكرنا من قبل كيف التجأ حميضة إلى السلطان المغولي خدابنده بعد أن قتل أخاه أبا الغيث وكيف أمده بأربعة آلاف فارس كي يساعدوه في الدخول إلى الحجاز ثم هزيمته على يد محمد بن عيسى ،بعد ذلك قام حميضة بمراسلة أخيه رميثة وطلب منه أن يسمح له بــدخول مكــة فمنعه من ذلك إلا بعد إذن السلطان المملوكي فأرسل إلى السلطان كتاباً يخبره بــذلك فكتــب السلطان إلى حميضة أنه إذا حضر إلى الديار المصرية للإقامة بها قابله بالأمان أما الحجــاز فلا يقيم بها لكن حميضة دخل مكة عنوة وقطــع خطبــة الناصــر وخطــب لأبــي ســعيد خدابنده "[٣]"،بالإضافة إلى ذلك فقد بعث وزير أبو سعيد علي شاه مع موكب الحج حلقتين مــن ذهب مرصعتين باللؤلؤ كل حلقة وزنها ألف مثقال وفي كل حلقة ست لؤلؤات فاخرات وذلك في سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م ولما أراد تعليق ذلك بباب الكعبة منعه أمير الركب المصري وقال هذا لايمكن إلا بأمر السلطان المملوكي محمد بن قلاوون فقال الحاجي بولــوداج إن الــوزير

---

١ – المقريزي :السلوك،ج٢،ق١،ص٢٠٩،عباس العزاوي :تاريخ العراق ،ج١ ،ص٤٦٤،مصطفى طه بــدر:مغــول إيران،ص١٢٢

٢ – المقريزي :السلوك ،ج٢ق١،ص٢١١.

٣ – ابن حجر العسقلاني :الدرر الكامنة ،ج٢،ص٧٩-٨٠.

علي شاه كان قد نذر متى ظفر بالخواجة رشيد الدين وقتله أن يعلق على باب الكعبة حلقتين فيقال إنه أذن له بتعليقهما زمناً طويلاً ثم رفعتا وأخذهما أمير مكة"[١] .

وهناك حادثة مهمة حصلت في عهد أبو سعيد في سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م وهي أنه سديد الدولة ديان اليهود مرّ بقارىء يقرأ قوله تعالى "ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث فيهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً"[٢] "فوقف واستعاد قراءتها وبكى بكاءً شديداً وقد اجتمع عليه الناس ثم أعلن بكلمة الإسلام فارتجت بغداد لإسلامه وغلقت أسواقها وخرج النساء إلى بيع اليهود فخربوها ونهبوا مافيها "[٣] .

نلاحظ من خلال هذه الحادثة أنه قد يكون لسياسة أبي سعيد ضد أهل الذمة دور في إقدام هذا الرجل على اعتناق الإسلام أو أن الإسلام قد أثر في اليهود السبب الذي دفع بعض اليهود إلى اعتناق الإسلام .

وفاة أبي سعيد:توفي أبو سعيد في ١٣ربيع الآخر ٧٣٦هـ/١٣٣٥م عندما كان متوجهاً لمحاربة أوزبك خان مغول القبجاق حيث توفي بمنطقة قراباغ من آران الواقعة في إقليم أذربيجان ثم حمل جثمانه إلى السلطانية ودفن هناك بجوار قبر أبيه"[٤]"وعندما توفي كان عمره لايزيد عن ثلاثين سنة وكانت مدة حكمه عشرين سنةوهو آخر ملوك التتارمن بني جنكيزخان"[٥]"وبموته انقرض بيت هولاكو"[٦]" وقد ذكرابن بطوطة سبباً آخر لوفاته وهو مقتله

١- فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص٤٣٠،صبري سليم :الصراع السياسي والمذهبي ،ص٤٨٣.

٢ – سورة النساء: آية (١)

٣ – المقريزي:السلوك ،ج٢،ق٢،ص٣٨٩.

٤- خواندمير :حبيب السير :م٣ج١،ص٢١٩،صبري سليم ،الصراع السياسي والمذهبي ،ص٤٨٩.

٥ – المقريزي :السلوك ،ج٢ق٢،ص٣٩٠.

٦ – الصفدي :الوافي ،ج١٠،ص٣٢٣.

على يد بغداد خاتون التي سمته بطريقة مشينة وذلك بعد أن هجرها وتزوج من دلشاد خاتون التي أحبها حباً شديداً "[1]"

فقد كانت دلشاد خاتون قد تسلطت على زوجها أبي سعيد واستحوزت على قلبه فكان لا يقطع رأي دون مشورتها واستطاعت أن تتدخل في أمور المملكة وتقحم نفسها فيها إقحاماً وهذا الأمر دفع عمتها بغداد خاتون إلى قتل زوجها أبي سعيد"[2]".وهكذا انتهت حياة أبي سعيد وبموته انتهى حكم المغول الأقوياء الذين لعبوا دوراً كبيراً على مسرح الأحداث السياسية بعد أن عرضنا للمغول الإيلخانيين من خلال الفصول السابقة يتبادر إلى ذهننا قول ابن خلدون على أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله "[3]" .

ويتضح من خلال النص أن الغالب هو الذي يفرض ثقافته كما يفرض عاداته وتقاليده على الدولة التي يحكمها لكن مع المغول وجدنا العكس تماماً فلقد تأثر المغول بعادات وتقاليد الشعوب المغلوبة كما تأثروا بثقافتهم وديانتهم التي فرضت مع الزمن عليهم وهذا طبع الحضارة العربية الإسلامية التي صهرت في بوتقتها جميع الغزاة لما حملته من مظاهر ثقافية وحضارية.

---

١ – ابن بطوطة :تحفة النظار ،ص٢١٠.

٢ – فاطمة نبهان :المرأة في العصر المغولي ،حوليات كلية الآداب ،جامعة عين شمس ،القاهرة ،مج٢٤،ج٣ ،٢٠٠٢م ،ص١٢٥-١٢٦.

٣ – العبر ،ج١،ص١٢٣.

الفصل الرابع

أثر سياسة المغول الإيلخانيين من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

- أثر سياسة المغول الإيلخانيين من الناحية الاقتصادية
- أثر سياسة المغول الإيلخانيين من الناحية الاجتماعية
- أثر سياسة المغول الإيلخانيين من الناحية الثقافية

أثر سياسة المغول الإيلخانيين من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية:

تأثر العالم الإسلامي بعد سقوط بغداد على أيدي المغول سنة٦٥٦هـ/١٢٥٨م حيث أحدث هذا الغزو خللاً في العالم الإسلامي، وأوجد نظاماً سياسياً جديداً وذلك بإسقاط الخلافة العباسية، وحلول الدولة المغولية الإيلخانية بدلاً منها .

وقد أحدث هذا الغزو أثره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ،وذلك لأن المغول لم يكونوا في بداية حكمهم مهتمين بالجوانب الحضارية لأنهم كانوا مجرد غزاة محتلين هدفهم السيطرة والتوسع ،لكن هذه الأمور مالبثت أن تغيرت بعد استقرارهم ودخولهم في الدين الإسلامي وهذا ما سنلاحظه مع غازان وخلفائه الذين أعلنوا الإسلام ديناً رسمياً للدولة .

فقد حاول غازان أن يعوض بلاد المسلمين بعض ما خسروه بسبب الجرائم التي اقترفها أسلافه"[١]"، وبذلك تحسنت أمور الدولة حيث تركوا العادات المغولية القديمة السيئة التي تنافي الشريعة الإسلامية وبدأوا يتشربون العادات الجيدة وكما برز دور للعلم والعلماء الذين أسهموا في ركب الحضارة وبرز علماء هامين نذكر منهم على سبيل المثال نصير الدين الطوسي صاحب المرصد الفلكي الهام في مراغة إضافة إلى عدد كبير من المؤرخين الذين أرخوا لتلك الفترة نذكر منهم على سبيل المثال عطا ملك الجويني صاحب كتاب تاريخ فاتح العالم جهانكشاي وابن الفوطي صاحب كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة وعبد الله بن فضل الله الشيرازي صاحب كتاب تجزية الأمصار وتزجية الإعصار المعروف بتاريخ وصاف إلى غير ذلك من الكتب التاريخية الهامة التي ألفت في تلك الفترة كما نشط الشعر الصوفي وبرز منهم بعض الشعراء كجلال الدين الرومي وسعدي الشيرازي وسنحاول

١ -كارل بروكلمان :تاريخ الشعوب ،ص٣٩١.

في هذا الفصل أن نلقي بعض الضوء على مظاهر التأثر والتأثير من هذه النواحي على العالم الإسلامي الذي رزخ تحت حكم المغول الإيلخانيين.

أثر سياسة المغول الإيلخانيين من الناحية الاقتصادية:

تأثرت الأوضاع الاقتصادية بدخول المغول إلى العالم الإسلامي حيث أحدث وجودهم خللاً في العالم الإسلامي، وذلك من خلال قيامهم بقتل السكان ونهب أموالهم ، فعلى سبيل المثال عند دخول المغول إلى مدينة تبريز التي هي أصل بلاد أذربيجان فإن المغول طلبوا من أهلها المال والتحف وكل شيء فقام الناس بتقديم هذه الأشياء كلها حتى الخمر وبذلوا لهم الطاعة وقد قرروا عليهم الكثير من المال يقدموه كل سنة"[١]".

وكذلك فعل المغول في جميع المدن التي وصلوا إليها حيث إنهم استنفدوا طاقات المدن من الأموال وهذه الأمور بالطبع أحدثت خللاً في ميزانية هذه البلاد، وذلك نتيجة لاستنزاف قدراتها المالية وبالتالي تدهورت الأوضاع الاقتصادية التي استمرت مع دخول هولاكو إلى بغداد ،ولكن بعد استقرار المغول وتكوينهم دولتهم استقرت الأوضاع الاقتصادية قليلاً ،فقد بدأ هولاكو ومن بعده ابنه أباقا بإسناد إدارة البلاد لوزراء مسلمين ومن بينهم الأسرة الجوينية التي عملت على إنعاش الاقتصاد وتحسين الأوضاع "[٢]".

لكن هذه الأمور لم تتم دفعة واحدة، فبالطبع فرضت ضرائب كثيرة على السكان عند دخول المغول إلى العالم الإسلامي وسنذكر على سبيل المثال بغداد وذلك لأن أغلب المصادر المتوفرة بين أيدينا تركز على بغداد دون غيرها من المدن الواقعة تحت حكم الإيلخانيين. فعندما استقرت أقدام هولاكو في بغداد فرض على أهلها ضريبة الرأس حيث أمر بجمع الناس

---

١ –ابن الأثير :الكامل ،ج١٠،ص٤٩٩.

٢ –خواندمير :دستور الوزراء،ص٣٣٧–٣٣٨،إيمان ذكي :الأسرة الجوينية ،ص٥٧.

في سنة ٦٥٧هـ/١٢٦٠م وإحصاء أسمائهم وقرر على كل شخص منهم مايؤديه كل سنة من الضرائب كل على قدر حاله ماعدا الشيخ الكبير والطفل الصغير وقد استمر الأمر على ذلك حتى ولي الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني العراق فأسقط ذلك عنهم "[١]".

نلاحظ من خلال ذلك أن المغول فرضوا ضرائب على جميع السكان دون تمييز بين مسلمين أو مسيحيين أو يهود وكما نعلم أن الجزية كانت تفرض فقط على أهل الذمة لكن المغول لم يفرقوا بين أحد من المذاهب بل فرضوا الضرائب على الجميع.

بالإضافة إلى ذلك فإن الأوضاع الاقتصادية لم تكن في بداية الدولة الإيلخانية مستقرة وإنما كانت تعاني من بعض المشاكل والدليل على ذلك هو أنه في سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م ضربت في بغداد نقود من النحاس ليتعامل بها الناس ببغداد وغيرها كل أربعة وعشرين فلساً بدرهم وبكل دينار خمسة أرطال"[٢]""[٣]"، هذه الحادثة تشير إلى سوء الأوضاع الاقتصادية في عهد أباقا خان وذلك من خلال صك النقود بالعملة النحاسية والتي تعتبر أقل قيمة من العملة الفضية أو الذهبية وهذا يعني عدم القدرة على إصدار عملة نقدية عالية القيمة وربما قد يعود سبب التدهور إلى التدمير والخراب الذي خلفه الغزو المغولي من قتل للسكان فكانت تلك الأمور سبباً في تدهور الاقتصاد ،وربما يعود الأمر أيضاً إلى الحروب التي حدثت على الجبهتين المغولية المملوكية والتي استنزفت طاقات البلاد وخيراتها فكانت هذه الأمور سبباً في غلاء الأسعار حيث بلغ الكر"[٤]" من الحنطة في سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م مائة وخمسين ديناراً "[٥]"،لكن هذه الأمور تحسنت فيما بعد ونلاحظ ذلك من خلال زيارة أباقا إلى بغداد في سنة

---

١ -ابن الفوطي :الحوادث الجامعة ،ص٣٣٩،جعفر خصباك :العراق في عهدالمغول الإيلخانيين ،ص١١٧.

٢ -هناك اختلاف في تحديد رطل بغداد منهم من يقول أن الرطل مائة وثلاثون درهماً ومنهم من يقول إلى أنه مائة وسبعة وعشرون درهماً وأربعة أسباع دراهم.(القلقشندي :صبح الأعشى ،ج٤،ص٤٢٠).

٣ -ابن الفوطي:الحوادث الجامعة،ص٣٦٦.

٤ -الكر :وهو ثلاثون كارة كل كارة قفيزان فيكون الكر ستين قفيزاً والقفيز مكوكان كل مكوك خمس عشرآق وتختلف الكارة في الغلال فالقمح كارته مائتان وأربعون رطلاً وكارة كل من الشعير والحمص والعدس مائة رطل .(القلقشندي :صبح الأعشى ،ج٤،ص٤٢٠-٤٢١).

٥ -ابن الفوطي :الحوادث الجامعة ،ص٣٦٦.

٦٧٢هـ/١٢٧٣م حيث وجد أن تلك الضرائب أثقلت كاهل السكان فأمر بالإحسان إلى السكان وتخفيف التمغات"[١]" والأثقال عنهم وقد كتب ذلك على حيطان باب جامع المستنصرية"[٢]" وهناك أيضاً ضرائب عديدة فرضت على البيوت والعقارات ففي سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م جاء أمر إلى عطا ملك الجويني باستيفاء خمسين ألف دينار من بغداد وأعمالها فشرع باستيفاء ذلك من الناس بالعسف والجور حيث أمر بإثبات الدور في بغداد فأثبتت جميعها وطالبوا أربابها بالأجرة عنها عن شهرين"[٣]" وكانت هذه الضريبة قاسية على السكان حيث اضطر الرجال إلى الهرب للخلاص من هذه الضريبة فطولبت النساء بما قرر على رجالهن ولم يستثن من هذه الضريبة أي أحد حيث استوفي منهم بالقهروالمضايقة "[٤]".

وأيضاً من الأمور التي أدت إلى سوء الأوضاع الاقتصادية في عهد المغول الإيلخانيين حدوث الكوارث الطبيعية التي أدت إلى إتلاف الزروع والأشجار كما حدث في سنوات ٦٧٢هـ/١٢٧٣م حيث أكل الجراد سائر الغلات والزروع وفي سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م وقع برد شديد أتلف الزروع وفي سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م هبت رياح عاصفة في أكثر بلاد العجم والموصل وبغداد والحلة"[٥]"، والكوفة وواسط والبصرة وجميع نواحي العراق وارتفعت أسعار بعض المواد الغذائية كالعدس والحمص والسلق ودام شهوراً، كما انقطعت الأمطار ومات أكثر المواشي"[٦]" ،كل هذه الأمور التي ذكرت آنفاً كان لها تأثيرها على الاقتصاد في عهد أباقا .

ومن هنا نستنتج أن الأوضاع الاقتصادية في عهد أباقا كانت سيئة جداً والذي ساعد على تحسين الأوضاع الاقتصادية قليلاً عطا ملك الجويني الذي وجه همته في تلك الفترة إلى راحة

---

١ – ضريبة التمغات تبدو أنها مجموعة من الضرائب المفروضة على التجارة الداخلية في المدن .جعفر خصباك:العراق،ص١١٣.

٢ – ابن الفوطي :الحوادث ،ص٣٧٥،جعفر خصباك :العراق ،ص١١٣.

٣ – ابن الفوطي :الحوادث ،ص٣٩٨،جعفر خصباك :العراق ،ص١١٢.

٤ – ابن الفوطي :الحوادث ،ص٣٩٩.

٥ – الحلة:قرية مشهورة في طرف دجيل بغداد من ناحية البرية بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ.(ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج٢،ص٢٩٥).

٦ – ابن الفوطي :المصدر السابق ،ص٣٨١– ٤٠٨.

العباد وتعمير البلاد وخفف كثيراً من الضرائب التي كانت تجبى من الفلاحين"[١]"،وكان قد بذل كافة جهده في إنشاء القرى والمزارع وقنوات الري حيث أن علاء الدين أمر بعمارة موضع في نهر جعفر من أعمال واسط سماه المأمن وبنى فيه ديواناً وجامعاً وخاناً وحماماً وسوقاً وانتقل إليه خلق كثيرون وكان التجار الداخلون إلى البصرة والخارجون منها يضعون أمتعتهم فيها"[٢]"،كما إنه أمر بحفر نهر فرعي من الفرات يبدأ من مدينة الأنبار"[٣]" (غرب بغداد)وينتهي إلى الكوفة"[٤]" والنجف، كما إنه أنشأ مائة وخمسين قرية على امتداد شاطىء ذلك النهر فتحولت المنطقة الواقعة بين الأنبار والكوفة والتي كانت أرض غير خصبة إلى منطقة تكسوها الخضرة"[٥]"،إضافة إلى أمور كثيرة بذلها من أجل تحسين أوضاع بغداد .

كما إن الأوضاع الاقتصادية كانت متأرجحة في عهد أحمد تكودار ٦٨٠-٦٨٣هـ/١٢٨٢-١٢٨٤م حيث ذكر ابن الفوطي أنه في سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م أبطلت النقود النحاسية وضربت عوضاً عنها نقود من الفضة"[٦]"،هذه الحادثة تشير إلى تحسن الأوضاع الاقتصادية في عهد أحمد تكودار، لكن ما لبث أن أبطلت وأعيدت النقود النحاسية في سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م ،وفي عهد أرغون حدث خلل في أمر النقود حيث أبطلت الدراهم وتعطلت أمور الناس وبطلت معايشهم وضربت دراهم غيرها وقرر سعر ثمانية مثاقيل بدينار فغادر أكثر الناس البلاد ثم غلت الأسعار فبلغ الكر من الحنطة مائة وثمانين ديناراً وكر الشعير مائة دينار وبيع الخبز ثلاثة أرطال بدرهم ووصل الأمر بالناس بأن باعوا أولادهم وأكل الناس

---

١ -عطا ملك الجويني : تاريخ فاتح العالم ،ص٣٤.

٢ -ابن الفوطي :الحوادث ،ص٣٧٢.

٣ -الأنبار:مدينة قرب بلخ وهي قصبة ناحية جوزجان فتحت الأنبار في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة ٢١هـ/٦٤١م على يد خالد بن الوليد لما نازلهم وسألوه الصلح على أربعمائة ألف درهم وألف عباءة قطوانية .(ياقوت الحموي :معجم البلدان،ص٢٥٧-٢٥٨).

٤ - الكوفة :وهي إحدى أمهات المدن العراقية المتميزة ،مثوى الصحابة والتابعين وحضرة علي بن أبي طالب أمير المؤمنين.(ابن بطوطة :تحفة النظار ،ج١،ص١٩٩).

٥ - محمد السعيد جمال الدين :علاء الدين عطا ملك الجويني ،ص١٤.

٦ - الحوادث الجامعة ،ص٤٣٠.

ورق الجزر والبصل ونبات الأرض كعروق القصب والبردي واستمر ذلك الأمر إلى سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م حيث تحسنت الأوضاع بعد ذلك "[١]"، كما إن أرغون عرف بشغفه لجمع المال وقد كلف سعد الدولة الطبيب اليهودي لتحصيل الأموال من الناس في بغداد سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م وقد جمع الأموال الطائلة خلال مدة وجيزة وذلك بطريقة ابتزازية صرفة كما قام بظلم الناس في الأقاليم التابعة للإيلخانيين بدرجة فظيعة"[٢]".

أما في عهد كيخاتو ٦٩٠-٦٩٤هـ/١٢٩١-١٢٩٥م فقد ازدادت الأوضاع الاقتصادية سوءاً حيث إنه عرف بأنه رجلاً مبذراً ومحباً للهو وكان يبدد الجواهر والنفائس باعتبارها زينة للنساء وكان يتشبه في عطائه بأوكتاي قاآن وسرعان ماخوت الخزانة من النقود"[٣]"، وكان وزيره في تلك الفترة صدر الدين أحمد الخالدي الزنجاني وقد عرف كذلك بإسرافه وتبذيره"[٤]"، وهنا طلب صدرالدين من كيخاتو إصدار عملة ورقية عرفت بالجاو"[٥]" التي كانت رائجة في بلاد الصين (الخطا)وهي عبارة عن قرطاس مختوم بخاتم الملك يتعامل به جميع بلاد الخطا بدلاً من الدراهم "[٦]"، لكن الناس لم يتعاملوا بها فتأثرت البلاد وتعذرت الأقوات وانقطعت المواد من كل نوع، وكان الرجل يضع الدرهم في يده تحت الجاو ويعطي الخباز والقصاب وغيرهما، ويأخذ حاجته خوفاً من أعوان السلطان "[٧]"، وهكذا أمست تبريز عاصمة المغول كأنها قفراء إذ انهزم أهاليها وتفرقوا واختفوا وغدت أغلب أسواقها مغلقة وحصل فيها

---

١ – ابن الفوطي :الحوادث ،ص٤٣٠حتى ٤٤٩.

٢ – خواندمير :دستور الوزراء ،ص٣٥٩-٣٦٠،برتولد شبولر :العالم الإسلامي ،ص٧٠.(ورد الحديث عن سعد الدولة في الفصل الثاني)

٣ – عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٢٥٦-٢٥٧.

٤ – خواندمير :دستور الوزراء ،ص ٣٥٨،براون :تاريخ الأدب في إيران ،ج٣،ص٥١.

٥- الجاو :هو كاغد عليه تمغة السلطان عوض السكة على الدنانير والدراهم وأمر الناس أن يتعاملوا بها وكان من عشرة دنانير إلى مادون ذلك حتى ينتهي إلى درهم ونصف وربع.ابن الفوطي :الحوادث،ص٤٧٧. كما ذكر ابن العبري أنها عبارة عن رقع من القراطيس ذ ات علامة حمراء ودون فيها لفظة دينار أو دينارين أو ثلاثة أو أربعةحتى العشرة ،تاريخ الزمان ،ص٣٦٩. (ورد الحديث عن صدر الدين الزنجاني في الفصل الثاني).

٦ – رشيد الدين الهمذاني:جامع التواريخ ،مج٢ج٢،ص١٨٠.

٧ – ابن الفوطي :الحوادث ،ص٤٧٧،جعفر خصباك :العراق ،ص١٢٤.

غلاء وجوع بسبب تعطل الأعمال التجارية لأنهم كانوا قد سحبوا الذهب والفضة من التداول ونتيجة لذلك احتشد الأهالي عند صاحب الديوان يضجون ويصخبون ويسبونه ويشتمونه أقبح الشتائم عند ذلك أصدرقراراً ملكياً بإلغاء الجاو"[١]"،وقد كان الجاو أحد الابتكارات الناجحة في الصين لكنه أحدث أزمة مالية كبيرة في إيران"[٢]"، أما في عهد غازان فقد كانت الخزانة عند جلوسه خاوية نتيجة لتبديد الثروات زمن هولاكو ومن جاء بعده من الإيلخانات بسبب الحروب ومانتج عنها من إسراف وتبذير بعضهم مثل كيخاتو وقد بلغ الإفلاس إلى حد عدم توافر اعتمادات لتقديم الهدايا للسفراء فورث غازان دولة يسودها الخراب وغير قادرة على دفع أي نوع من الضرائب على حد وصف غازان نفسه "[٣]"،وبعد عامين من ترتيبه شؤون المملكة وتدبيرها والقضاء على الفتن والثورات اشتغل بتدبير شؤون الولايات وتدبير الأمور المتعلقة بضبط الأموال وتحصيل الضرائب وبذلك انتظمت أمور الولايات وأخذت الأموال تصل إلى الخزانة وصار الدخل يزداد سنة بعد أخرى"[٤]".

وأيضاً كان غازان يدرك تمام الإدراك مقدار الضرائب التي تثقل كاهل الناس وتضطرهم إلى الهرب فقرر إصلاح الأمور التي تتعلق بالشؤون المالية وقرر أن يمنع الإسراف بكل وسيلة وأن يحول دون استيلاء موظفي الدولة على أموال الديوان بطرق غير مشروعة فسن عقوبات صارمة تطبق على كل من يخرج على هذه القواعد كذلك سارع في إصلاح الجهاز الذي يقوم بتحصيل الضرائب وذلك في سبيل الوصول إلى منابع الثروة حتى يتسنى الإنفاق على المشروعات الإصلاحية التي يقوم بها وقرر ألا يسمح بتحصيل الضرائب من الناس أكثر من مرة"[٥]" ،بالإضافة إلى ذلك فإنه عمل على تعديل أوزان الذهب والفضة والأحمال والمقاييس والمكاييل حيث كانت تختلف من ولاية إلى أخرى لذلك كان يقع خلل كبير في محيط الأسعار

---

١ – ابن العبري:تاريخ الزمان ،ص٣٦٩،براون :تاريخ الأدب،ج٣،ص.٥٢

2- Richaard N.Frye:Iran ,p56.

٣- عباس إقبال : تاريخ المغول،ص٢٨٤.

٤ – رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص٢٢١.

٥ –فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص٣١٥.

وكان التجار يقللون من شراء البضائع لأنهم كانوا كل ماحملوا نقوداً من موضع إلى موضع زادت قيمتها وقد ترتب على هذا كساد الأسواق في بعض الولايات فأصدر غازان نتيجة لذلك مرسوماً ينص على تعديل الأوزان بأن تكون متساوية في جميع الولايات "[1]"،كما أن غازان قام بتنظيم الخراج حيث كان يفرض حتى عهده وفقاً لأهواء الحكام من المغول وعمالهم من الفرس فلما آل الحكم إليه أمر بأن تمسح الأراضي كلها من جديد وأن تتخذ نتائج ذلك أساساً في فرض الضريبة وأصدر نفسه قراراً سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م بأن يحاط الرعايا علماً بكل ما يتصل من الضرائب عن طريق تعليق البيانات الوافية حولها عند مداخل القرى أو في المساجد وكنائس النصارى ومعابد اليهود بل بأن يحاط البدو الرحل علماً بها في مراعيهم بواسطة النقش على الخشب أو الحجارة أو المعدن أو الألواح المكتوبة"[2]"،كما إن غازان كان قد حرم التعامل بالربا وذلك أنه أصدر في شعبان سنة ٦٩٨هـ /١٢٩٨م مرسوماً يقضي بألا يتعامل أي شخص بالربا كما أمر المراقبين والحكام بمعاقبة المخالفين فاستقامت بذلك المعاملات وعم الإنصاف بين الناس وبذلك انتظمت الأمور"[3]"،كل هذه الأمور كان لها دورها في إنعاش الاقتصاد وبالتالي في تحسين أوضاع الناس المعيشية بالإضافة إلى ذلك فقد شملت إصلاحات غازان جانب الزراعة حيث إنه نتيجة الغزو المغولي صارت أكثر الولايات خراباً نتيجة الغزو المغولي وأصبحت مساحات شاسعة من الأراضي مهملة فتدارك غازان هذه الأمور فقام بتوزيع الأراضي على الفلاحين وأن يكون للمزارع بلا منازع النصف أو الثلث من الإنتاج وكل ما يزيد عن ذلك يصبح ملكاً له وقد دفعهم الحرص والطمع من أجل الحصول على كسب وفير إلى بذل الكثير من الجد والاجتهاد في باب التعمير والتشييد وعندما تتحسن الزراعة بعد سنتين أو ثلاث سنوات وتستقيم أمورها، عندئذ يعود ريع المحصول إلى الخزانة"[4]"،وعندما قصد غازان خان بغداد سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م أمر بحفر نهر أعلى الحلة

---

١ -رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص٣٢٤.

٢ -كارل بروكلمان :تاريخ الشعوب الإسلامية ،ص٣٩٢.

٣ -رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص٣٥٨-٣٥٩،فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص٣١٨.

٤ - رشيد الدين الهمذاني : تاريخ غازان ،ص٣٨٧،فؤاد الصياد:الشرق الإسلامي ،ص٣١٧.

فحفر وسمي النهر الغازاني "[1]"،وقد امتد هذا النهر إلى مشهد الحسين فأفاد فائدة كبيرة في ري أراضي كربلاء اليابسة وتحولت الأراضي الممتدة على الجانبين إلى أراضي خصبة مليئة بالحدائق والبساتين وزاد إنتاج غلات هذه المنطقة زيادة ملحوظة "[2]".

بالإضافة إلى ذلك فقد اهتم غازان اهتماماً كبيراً بالعمران والبناء حيث بنى مدينة في موضع بتبريز سمي فيمابعد بشنب غازان أو شام غازان إلى الجنوب من تبريز وقد أطلق السلطان على هذه المدينة اسم الغازانية وأمر بأن ينزل فيها التجار ويفرغون أحمالهم فيها وأمرأن تكون المكوس في المدينة الجديدة هي نفسها السارية في مدينة تبريز حتى لايقع الاختلاف "[3]"،وقد زار ابن بطوطة هذه المدينة في عهد أبي سعيد وسجل فيها مشاهداته عندما زار تبريز فقال "فنزلنا بخارجها (تبريز) في موضع يعرف بالشام وهناك قبر غازان وعليه مدرسة حسنة وزاوية فيها طعام للوارد والصادرمن الناس"[4]، ومن خلال ذكر قبر غازان نلاحظ هذا التغير في عادات المغول فكما هو معروف فقد كانت عادة إيلخانات المغول أن يواروا جثمانهم في مواضع سرية بعيدة عن العمران والزراعة ممنوع دخولها فأراد غازان بعد إسلامه أن يتشبه بالمسلمين فبنى مقبرة له في حياته في موضع مكشوف"[5]".

كما إن ابن بطوطة كان قد تحدث عن سوق غازان وقد قال عنه بأنه من أحسن أسواق بلاد الدنيا وأن فيها صناعات مختلفة وإنه زار سوق الجواهرجية وحار بصره مما رآه من أنواع الجواهر"[6]".

١- ابن الفوطي :الحوادث ،ص٤٩٧.

٢ – فؤاد الصياد :الشرق الإسلامي ،ص٣١٧.

٣ – رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص٢٤١-٢٤٢،عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٣٠٦.

٤ – *تحفة النظار* ،ج١،ص٢١٢.

٥ – عباس إقبال :تاريخ المغول،ص٣٠٥-٣٠٦.

٦ – تحفة النظار،ص٢١٢.

هذه الأمور تشير إلى تحسن الأوضاع الاقتصادية بشكل كبير وملحوظ في عهد غازان الذي بذل جهداً كبيراً من أجل تحسين الأوضاع الاقتصادية وذلك نتيجة إسلامه وذلك من خلال اتباع المبادئ الإسلامية في المعاملات وبالتالي أدى ذلك الأمر إلى رفع المستوى الاقتصادي.

ومن المظاهر الحضارية التي تدل على انتعاش الاقتصاد وتطوره هي ظاهرة بناء المدن التي تدلل على ازدهار الحياة الاقتصادية وقد بنيت في عهد المغول مدينة السلطانية وهي مدينة محدثة بناها خدابنده بن أرغون على القرب من جبال كيلان بين نهري زنجان وأبهر وكان قد جعلها عاصمة لمملكته"[١]،وهذه المدينة كان غازان قد شرع في البداية بإنشائها لكنه مات قبل أن يكملها فاهتم خدابنده بعمارتها "[٢]"وقد كان المغول يطلقون على موضع السلطانية الحالي اسم قنغور آلانك وكانت أرضه مرعى لأغنامهم وكان إيلخانات المغول وقوادهم ينزلون به في طريقهم من العراق إلى أذربيجان والعكس "[٣]"،وهي في سهل من الأرض ومياهها قليلة كما إنها قليلة البساتين والفواكه وإنما تجلب إليها الفواكه من البلاد القريبة لها وقد جلب إليها خدابنده الناس من أقطار مملكته واستجلبهم إليها بما بسط لسكانها من العدل والإحسان وقد أصبحت في عهد هذا السلطان عامرة مأهولة بالسكان كأنما مر عليها مئات السنين "[٤]" .

يتضح من خلال هذا الكلام أن المدينة كانت في البداية غير مسكونة من قبل وإنها كانت قليلة الخيرات لكن السلطان محمد خدابنده قام بإعمار وتشييد هذه المدينة حتى أصبحت من المدن الهامة المأهولة بالسكان والعامرة بالنشاطات المختلفة.

وقد أصبحت هذه المدينة من أعظم مدن الشرق الإسلامي وقد أنشيء فيها العديد من العمائر والمساجد والحمامات والأسواق وقد أنشأ فيها أولجايتو ضريحاً لنفسه يعرف بقبة شاه

---

١ – القلقشندي :صبح الأعشى ،ج٤،ص٣٥٩،فاطمة نبهان :مدينة السلطانية ،ص٢٤٣.

٢ – النويري :نهاية الأرب ،ج٢٧،ص٤١٩.

٣ – عباس إقبال :تاريخ المغول ،٣١٠.

٤ –النويري :نهاية الأرب ،ص٤١٩،القلقشندي :صبح الأعشى ، ج٤،ص٣٥٩.

خدابنده ويعد هذا الضريح من أهم نماذج العمارة في العصر المغولي "[1]"،وقد كان السلطان أولجايتو وكبار رجال الدولة يتنافسون جميعاً في تجميل مدينة السلطانية فشيد أولجايتو في هذه المدينة مساجد تزدان بالمرمر والقيشاني وصيدلية وخانقاه ومستشفى ثم أمر بتشييد القصر المعد لإقامته وقد كان قصراً شامخاً مكسواً بالرخام "[2]"،والمنشآت التي شيدها أولجايتو لم يكن لها مثيل في العالم وقد أوقف عليها العديد من الأملاك التي بلغ عائدها في حياته مئة تومان ولما كان قد تم ذلك بإرشاد من وزيره العالم رشيد الدين فقد ولاه نيابته وعين فيها عشرة معلمين وعشرين عابداً ومئة من طلاب العلم وعشرين متصوفاً واثنا عشر حافظاً وثمانية مؤذنين وأربعة مدرسين وحدد لكل مدرس ألفاً وخمسمائة دينار ولكل عابد سبعمائة وخمسين ديناراً وحدد لدار الضيافة ثلاثمائة دينار في اليوم للإنفاق على استضافة الزوار وخصص مايزيد عن مئة ألف دينار للأمراء المقيمين والمجاورين والسعاة وخدام الخانقاه ونفقات الأيتام ودار الأشراف والمستشفى"[3]".

هذا الكلام يدل دلالة كبيرة على ازدهار الحياة الاقتصادية أيضاً في عهد أولجايتو ويتضح ذلك من خلال الأوقاف التي أوقفها للمدارس والرواتب التي حددها للمدرسين والطلاب والعباد والخدام فلو كانت أوضاع الدولة الاقتصادية سيئة لما استطاع أولجايتو أن يصرف كل هذه الأموال على إنشاء المدينة وعلى مدرسيها وموظفيها ،وقد حافظت مدينة السلطانية على ازدهارها في عهد خليفته أبي سعيد حيث احتلت مكانة مرموقة"[4]".

نلاحظ من خلال عرض هذه الأمور أن الأوضاع الاقتصادية تأرجحت في عهد المغول الإيلخانيين فكانت في البداية تعاني حالة من التدهور والانحطاط وذلك لأن المغول كانوا في بداية تشكيل دولتهم مجرد غزاة لم يهمهم شيء سوى التوسع والسيطرة والتخريب بالإضافة

---

١ –عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٣١٠.

٢ –فاطمة نبهان :السلطانية ،ص٢٤٥.

٣ –عباس إقبال :تاريخ المغول ،٣١١.

٤ –فاطمة نبهان :مدينة السلطانية ،ص٢٤٧.

إلى صراعاتهم مع المماليك التي استنزفت الكثير من طاقاتهم ولكن فيما بعد وجـدنا تحسـناً كبيراً في أوضاع البلاد الاقتصادية وخاصة منذ بداية عهد غازان حتى عهد أبى سعيد وذلك بسبب استقرارهم في البلاد ودخولهم في الإسلام وبذلك نالوا رضا الناس الذين تحت حكمهـم فتحسنت الأوضاع ومال السلاطين المغول إلى الاستقرار وبناء المدن .

أثر سياسة المغول الإيلخانيين من الناحية الاجتماعية:

كما ذكرنا في البداية فإن قدوم المغول إلى العالم الإسلامي كان قد أحدث في البداية خللاً من النواحي الاجتماعية وذلك لأنهم من طبيعة تختلف عن طبيعة سكان البلاد المسلمين فكان لهم عادات وتقاليد أثروا بها على المجتمع الإسلامي الذي يختلف بعاداته وتقاليده عن عادات المجتمع المغولي ويتضح ذلك خاصة مع بداية تشكيل دولتهم ثم ينحدر هذا التأثيرتدريجياً إلى أن يصبحوا متأثرين بالعالم الإسلامي وعاداته وتقاليده وخاصة بعد دخولهم في الإسلام، ومن أهم الآثار الاجتماعية السيئة الإباحية الأخلاقية ، فنتيجة عدم الاستقرار الاجتماعي في المنطقة استشرى الفساد الأخلاقي، إذ رافق دخول المغول إلى المنطقة هتك أعراض،فجور ،فساد ،وقد قوبل هذا الفساد بمعارضة شديدة من قبل بعض فئات المجتمع كالعلماء وأهل الدين ،ونتيجة هذا الفساد انتشرت الخمور ودور البغاء وغيرها من الاستباحات الأخلاقية التي مارسها المغول في حق المسلمين"[1]"،فعندما دخل المغول إلى العالم الإسلامي قاموا بسفك الدماء وهتك ستور النساء"[2]".

هذا الكلام يعني أن المغول قد خلفوا آثاراً مدمرة من هذه الناحية فإن قيام المغول بهذه الجريمة قد ترك نساء كثيرات مهدورات الكرامة وهذا ما دفع بعض النساء إلى ممارسة البغاء وذلك نتيجة ما أصابهن من مصيبة هتك شرفهن فقد نبذت بعضهن من مجتمعهن فاضطررن إلى ممارسة البغاء مهنة لهن حتى تستطعن تأمين أمور معيشتهن .

وهذا بالفعل ماقامت به أمريكا في العراق في العصر الحاضر من هتك للأعراض وقتل للناس وتدمير للمراكز الحضارية وكان لهم النصيب الأكبر في انتشار دور البغاء وبالفعل نستطيع تسميتهم بمغول القرن الحادي والعشرين لما عرفوا به من همجية فاقت همجية المغول وللتدليل على الاستباحة الأخلاقية التي خلفها المغول نذكر مافعله غازان خان عندما جاء إلى

---

١ -اكتمال إسماعيل:الآثار الاجتماعية والاقتصادية للحملات المغولية،دارعلاء الدين ،دمشق،د.ت ،ص١٦٣ .

٢ -النسوي :سيرة جلال الدين منكوبرتي،ص١١٥.

دمشق سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م حيث ارتكب جيشه كثير من الأمور الشنيعة في الجامع الأموي كما إنهم قاموا بشرب الخمور وفجروا بالنساء المسلمات إضافة إلى كثير من الأفعال الشنيعة بحق المسلمين"[١]،ونلاحظ أن مافعله في دمشق هونفسه مافعله أجداده المغول في إيران والعراق وذلك عندما دخل المغول إلى مدينة بخارى في سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م حيث دخلوا مسجد بخارى وقاموا بشرب الخمور في ذلك المسجد وارتكاب الفواحش كما أمروا مغنيات المدينة بالرقص والغناء "[٢] .

هذه الأعمال التي قام بها المغول قد أثرت على أوضاع الناس الاجتماعية كما ذكرنا من قبل حيث أحدثت أزمات اجتماعية وذلك من خلال انتشار الفساد الأخلاقي وانتشار الخمور في البلاد لأن المغول بالتأكيد قد أثروا على أوضاع المجتمع الإسلامي فنشروا ظاهرة شرب الخمور بين السكان، بالإضافة إلى انتشار دور البغاء ، وهذا ما أدى إلى حدوث أزمة اجتماعية كبيرة وقد وجدت بيوت البغاء في كل مكان ونلاحظ ذلك عندما أقدم غازان خان على منع الناس من شرب الخمور حيث إن هذه الظاهرة كانت منتشرة بشكل كبير في عهده لذلك فإنه أصدر مرسوماً أرسله إلى أطراف الممالك وذلك بالقبض على كل شخص يجدونه ثملاً في المدن والأسواق وأن يعرى ثم يربط إلى شجرة وسط السوق حتى يمر الناس عليه ويوبخوه فينتبه وينزجر وبذلك لم يجرؤ أحد على أن يخرج إلى الطريق ثملاً "[٣].

وفي هذا دلالة كبيرة على انتشار هذه الظاهرة الاجتماعية السيئة في عهد المغول وبالوقت نفسه تدل على أن غازان بعد أن اعتنق الدين الإسلامي ووجد أن الخمر من الأمور السيئة التي نهى عنها الإسلام وباعتبار أنه كان حريصاً على التمسك بتعاليم الدين الإسلامي لذلك فإنه فرض العقوبات الصارمة على شاربي الخمور لما لها من تأثير على المجتمع ولم يكتف غازان بذلك بل إنه حارب البغاء في كل مكان حيث إن بعض التجار في المدن الكبرى

---

١ – ابن أيبك الدوادار :الدرر الفاخر،ج٩،ص٢٨.

٢ –عطا ملك الجويني :تاريخ فاتح العالم ،ص١١٦-١١٧.

٣ –رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص٣٦٤.

كانوا يكرهون العاهرات على الإقامة بجوار المساجد والخوانق ومساكن الناس وذلك لممارسة الدعارة مع القادمين من الأطراف وذلك قسراً وقهراً حيث إن بعضهن كن يرفضن القيام بذلك الأمر حيث إن هذه الأمور كانت موجودة من قبل لذلك أصدر غازان مرسوماً يقضي بأن كل جارية لاترغب بممارسة الرذيلة في بيوت الدعارة لاتباع إلى جماعة المشرفين عليها ومن ثم تخرج من هذه البيوت وتزوج من زوج تختاره"[١]" .

هذه الحادثة تشير أيضاً إلى أن مهنة البغاء كانت مستشرية بشكل كبير في عهد المغـــول فقام غازان بالعمل على التخفيف منها وذلك بمساعدة من لاترغب بمهنة البغاء من الخـــلاص منها ومن ثم تأمين معيشتها وتزويجها بعد أن تترك هذه المهنة ،وأيضاً فإن السلطان أبو سعيد بهادر خان عندما تولى الحكم قام أيضاً بإصدار أوامره بإراقة الخمور وإبطال الفواحش"[٢]".

وهذه الأمور كلها تشير إلى مدى استشراء هذه الفواحش السيئة في عهدهم حيث أنها كانـــت من مخلفات غزوهم للعالم الإسلامي وكانت من نتاج عاداتهم وتقاليدهم وخاصة أنهم كانوا في البداية شعوب وثنية بعيدة عن الدين وبالتالي فإن هذه الأمور كانت معتادة لديهم ولكن اختلف الأمر بدخولهم الإسلام حيث إنهم عملوا على التخلص من هذه الأمور السيئة وذلك من خلال مقاومة أماكن الاستهتار والفساد ومحاولة إزالة بيوت البغاء من مكانها .

وأيضاً من المظاهر السيئة التي قدم بها المغول هي اللواطة هذه الظـــاهرة الأخلاقيـــة السيئة في المجتمع الإسلامي لم تكن وليدة عصر المغول وإنما كانت موجودة منذ القدم حيـــث وجدت في قوم لوط وذلك في قوله تعالى "أتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العـــالمين " وقال أيضاً "إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون "[٣]" .

---

١ -رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص٤٠٤.

٢ -ابن تغري بردي :المنهل الصافي ،ص٤٤٢.

٣ - القرآن الكريم:سور الأعراف :آية ٨٠-٨١.

وقد أقدم على ارتكاب هذه الفاحشة من المغول السلطان كيخاتو حيث أجمعت جميع المصادر على أنه كان لوطياً حيث أنه كان شديد الحرص على الشهوات وكثير التعدي على نواميس الأخلاق وإنه كان يلوط بأبناء المغول فأبغضه الناس نتيجة لذلك"[١]"،كما عرف عنه أنه كان كثير البذخ والإسراف وهذه الظاهرة السيئة التي وجدت في أحد الإيلخانات المغول لابد وكان لها تأثير على المجتمع الإسلامي أو أنها أدت إلى انتشار هذه العادة في المجتمع الإسلامي حيث أنه باعتبار أن الحاكم يرتكب هذه الفاحشة فلابد أن تؤثر هذه العادة السيئة والخطيرة على أفراد المجتمع الذي كان يعاني في ظل هؤلاء الحكام غير المسلمين من سوء الأوضاع الاجتماعية ومن انتشار الفساد الأخلاقي وذلك لأنهم يحملون عادات وتقاليد تختلف عن عادات وتقاليد الإسلام وبالتالي فإن هذه العادة استشرت في تلك الفترة.

أما من الناحية الدينية، فقد أحدث المغول خللاً في تركيبة المجتمع الدينية فكان المغول منقسمين إلى نساطرة وشامانيين وبوذيين وقد اتبع المغول سياسية دينية في كافة المدن التي احتلوها تقوم على تعيين حكام يخالفون السكان الأصليين من حيث العنصر والمذهب"[٢]".

وهذا مالاحظناه من خلال تتبع الفصول التي ذكرناها من قبل حيث إنهم عزفوا على أوتار الطائفية حيث قاموا بتقريب الأقليات وذلك لإثارة الفتن والمنازعات وهذا يؤدي إلى عدم التماسك الداخلي حيث وجدناهم يتقربون من المسيحيين الموجودين في المناطق التي سيطروا عليها كما إن بعض الإيلخانات كانوا قد تقربوا من اليهود وفضلوهم على غيرهم من الطوائف بالإضافة إلى ذلك أيضاً فإن المغول تقربوا من الشيعة وفضلوهم على أهل السنة .

وقد ولوا النصارى المناصب الرفيعة فكانت هذه الأمور سبباً في تجرؤ النصارى على المسلمين فقد استغل نصارى دمشق دخول المغول إليها سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٨م فتجرأوا على

---

١ -أبو الفدا :المختصر ،ج٤ ،ص٢٦،ابن خلدون :العبر ،ج٥ ،ص٥٤٧،العيني :عقد الجمان ،ص١٠٥،عبد المحمد آيتي :تحرير تاريخ وصاف ،ص١٦١.

٢ -اكتمال إسماعيل :الآثار الاجتماعية ،ص١٨١.

المسلمين حيث قاموا برفع الصلبان أمام المسلمين كما إنهم قاموا برش الخمر على الناس وعلى أبواب المساجد فتضايق المسلمين نتيجة لهذه الأمور كما إنهم ألزموا المسلمين على وضع الصليب في دكاكينهم و من لم يفعل أحدقوا به و أهانوه و فضل دين النصارى ووضع دين الإسلام "[١]" .

و أيضاً عندما دخل المغول إلى بغداد كما ورد سالفاً حيث قاموا بقتل السكان و لم ينج منهم إلا المسيحين حيث عينوا لهم شحان حرسوا بيوتهم"[٢]" ، كما أن هولاكو نفسه شجع المسيحين على بناء الكنائس ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد حيث نجد أن المغول فضلوا المسلمين الشيعة على المسلمين السنة و كل هذه الأمور أحدثت خللاً اجتماعياً من الناحية الدينية حيث خلفت الكثير من الحسد و الضغائن بين صفوف الناس و بالتالي تفتيت التركيبة الداخلية للمجتمع و هذا سهل عليهم السيطرة و التحكم بهذه البلاد و ذلك لعدم تكون الجبهة المتينة القادرة على صد هؤلاء المغول وذلك على مبدأ فرق تسد.

كما إنها أباحت لأهل الذمة حرية الاعتقاد والعبادة و ممارسة الطقوس الدينية كما يريدون بينما كانوا في العهود الإسلامية مقيدين بقيود محددة و ذلك لأنهم كانوا يعيشون ضمن نطاق العالم الإسلامي فكان لا بد من ضوابط تحدد علاقتهم مع المجتمع لكن هذه القيود زالت مع بداية دخول المغول و لذلك نجد أهل الذمة يتجرأون في كثير من الأحيان على المسلمين كما لاحظنا ذلك في عهود المغول الإيلخانيين الأولى، لكننا نقول أن هذه الأمور ما لبثت أن استقرت بعد اعتناق غازان و خلفائه الإسلام حيث فرضوا على أهل الذمة لبس الغيار كما ذكرنا من قبل، وبالتالي استقرت الأوضاع الداخلية قليلاً،وهناك كثير من الأمور السلبية التي ظهرت في المجتمع الإسلامي والتي كنا قد ذكرناها من قبل وهي ظهور البدع والكرامات في المجتمع ،فلقد سبب انشغال الحكومة بالأوضاع السياسية إلى ضعف الوازع الديني لدى بعض

---

١ – ابن تغري بردي : النجوم،ج٧، ص ٨١.

٢ – ابن الفوطي:الحوادث الجامعة، ص ٣٢٩.

أفراد الطبقة العامة الأمر الذي أدى إلى ظهور الكثير من البدع والكرامات أو إلى ادعاء أشخاص بالمكاشفات والكرامات "[1]"، وهذه البدع التي ذكرناها من قبل كدعوة أبي صالح الذي ظهر في سواد الحلة والذي ادعى أنه نائب صاحب الزمان وأيضاً دعوة الشخص الذي يدعى شامي الذي ادعى مادعاه أبي صالح"[2]".

هذه الأمور إن دلت على شيء فإنما تدل على انشغال أفراد الحكومة بإعادة الأوضاع الأمنية إلى المنطقة، إضافة إلى ضعف الوازع الديني عند بعض أفراد العامة ،وعدم اكتمال الشعور القومي الذي أدى إلى انغماس بعض الأفراد بالبدع والتمسك بها والدفاع عنها "[3]"، كما إن هناك الكثير من المشاكل الاجتماعية التي خلفها الغزو المغولي للعالم الإسلامي ولكن كما قلنا من قبل هذا كان في بداية تكون الدولة الإيلخانية، وقبل أن يتأثر الغالبين بحضارة المغلوبين، ولكن بعد أن احتك المغول بالعالم الإسلامي، وبعد استقرارهم في المنطقة، أخذوا يتشربون من العادات الإسلامية، وأخذوا يعيشون حياة اجتماعية راقية بعيدة عما ألفوه من قبل بالإضافة إلى ذلك فقد اقتبس المغول الكثير من المظاهر الحضارية نتيجة احتكاكهم بالمسلمين ومن هذه الأمور أنهم كانوا في البداية كما نعلم لايغسلون ثيابهم حتى تبلى، كما إنهم كانوا لايستحمون في بعض أوقات السنة"[4]"، لكنهم بعد أن دخلوا العالم الإسلامي فإنهم قد غيروا من هذه العادات السيئة وخاصة بعد دخولهم الإسلام، حيث إن الإسلام بطبيعته يفرض على المسلمين النظافة والطهارة وبعد دخول المغول في الإسلام كان لابد من التقيد بالتعاليم الإسلامية وبالتالي الاهتمام بنظافة أجسامهم .

---

١ - اكتمال إسماعيل :الآثار الاجتماعية ،ص٢٠٥.

٢ - ابن الفوطي :الحوادث ،ص٤٤١،محمد رضا الشبيبي : مؤرخ العراق،ص١٥٩،جعفر خصباك، ص٨٧-٨٨، لمزيد من التفصيلات راجع الفصل الثاني.

٣ - اكتمال إسماعيل :الآثار الاجتماعية ،ص٢٠٧.

٤ - شيرين بياني :دين ودولت ،ص١٢.

أما بالنسبة لوضع المرأة في عهد المغول الإيلخانيين فقد كانت في عهدهم تتمتع بقسط وافر من الحرية والاحترام فقد كانت المرأة المغولية تقف مع الرجل على قدم المساواة في تسيير أمور السياسة كما إنها كانت تشارك الرجل مشاركة تامة في كل شيء وكان لها من الحقوق ماله من حقوق حتى إن رئاسة العشيرة والخروج إلى الصيد والحرب كانت المرأة شريكة للرجل فيها بل ويمكن القول إن عمل المرأة لم يكن محدوداً وعمل الرجل هو المحدود"[1]،وقد برزت في عهد المغول نساء كثيرات كان لهن شهرة واسعة بين أوساط المغول ومن هؤلاء النساء سرقويتي بيكي زوجة تولي خان ووالدة منكوقاآن وقوبيلاي وهولاكو التي قال عنها ابن العبري

فلو كانت النساء مثل هذه لفضلت النساء على الرجال "[2]

وقد كانت هذه المرأة مسيحية تفضل المسيحيين على غيرهم من الطوائف كما إنه كان لها دور كبير في حياة أولادها الثلاثة المذكورين إذ شجعتهم على تفضيل النصرانية لأنها كانت مسيحية وكان لها تأثير كبير على أولادها ممادفعهم إلى معاملة المسيحيين بلين ولطف إضافة إلى نساء كثيرات نذكر منهم دوقوز خاتون المسيحية زوجة هولاكوالتي لعبت دوراً كبيراً في التأثير على هولاكو، وكانت تحظى بثقة الخان الأكبر منكو وذلك عندما طلب من هولاكو أن يصطحب معه زوجته دوقوز خاتون أثناء ذهابه إلى العالم الإسلامي وبالرغم من المكانة الكبيرة التي حظيت بها المرأة المغولية فقد كانت هناك مساوئ أصابت كرامتها ولم ينقذها من ذلك سوى إسلام المغول وهي عادة الزواج من" نساء الآباء""[3]"التي كانت موجودة عند المغول والتي ألغيت بعد دخول المغول الإيلخانيين في الإسلام لأن هذه العادة كانت تحط من مكانة المرأة وذلك لأنها تعتبر مشاع لجميع أبناء الخان يتناقلها وارثاً عن وارث وفي هذا إهانة كبيرة للمرأة ولكن مع إسلام المغول ألغيت هذه العادة السيئة وأصبحت المرأة تتمتع بقدر وافر

١ -فاطمة نبهان :المرأة ،ص١١٩.

٢ -ابن العبري :مختصر ،ص٢٤٨،فاطمة نبهان :المرأة ،ص١٢٠.

٣ -ابن حجر العسقلاني :الدرر الكامنة،ج٣ ،ص٢٩٢.

من الحرية ولم يقتصر الأمر على المرأة المغولية بل إن النساء في عهد المغول الإيلخانيين تمتعوا بحرية كبيرة ونذكر على سبيل المثال زوجة عطا ملك الجويني والتي تدعى شمس الضحى أرملة المستعصم حيث تم بأمر منها عمارة المدرسة التي أمرت بإنشائها سنة ٦٧١هـ/١٢٧٢م بجوار مشهد عبيد الله عليه السلام ظاهر بغداد وسمتها المدرسة العصمتية وأوقفتها على الطوائف الأربع وبنت بجوارها تربة لها ورباطاً للمتصوفة"[١]" كما إنها تشددت في وضع شروط على هرون بن شمس الدين الجويني ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م الذي تزوج من ابنتها رابعة بنت أحمد بن المستعصم بالله فاشترطت والدتها عليه قبل الزواج بها ألا يشرب الخمر وأن ينص عقد الزواج على أن أباها وجدها كانا شهيدين"[٢]" كما كان للمرأة دور كبير في التأثير على بعض الإيلخانات في الدخول في الإسلام حيث ذكر أن أولجايتو قد أسلم نتيجة تأثير إحدى زوجاته المسلمات التي رغبته في اعتناق الدين الإسلامي "[٣]"،وأيضاً تبرز أهمية المرأة في التأثير على الإيلخانات وحثهم على قتل بعض الأشخاص الذين كان لهم تأثير على البلاط الإيلخاني ففي عهد أبي سعيد استولى الأمراء الجوبان على السلطة وهذا دفع بدنيا خاتون زوجة أبيه أولجايتو إلى الذهاب إلى أبي سعيد فقالت للسلطان لو كنا نحن الرجال ما تركنا الجوبان وولده على ماهما عليه فشكت للسلطان أبو سعيد تعدي دمشق خواجة بن الجوبان على نساء أبيه فأصدر أبو سعيد أوامره بقتل دمشق خواجه"[٤]"،وأيضاً حظيت بغداد خاتون بمكانة ومنزلة كبيرة لدى السلطان أبي سعيد وكان إذا كتب أمراً يقول فيه عن أمر السلطان والخواتين"[٥]" ،كما حظيت دلشاد خاتون ابنة أخي بغداد خاتون بمحبة شديدة لدى

---

١ -ابن الفوطي :الحوادث ،ص٣٧٣،نوري عبد الحميد خليل ومجموعة مؤلفين :حضارة العراق،بغداد،١٩٨٥م ،ج١٠،ص٢٣٠.

٢ - ابن الفوطي:الحوادث:٣٦٨-٣٧٠،نوري عبد الحميد خليل :حضارة العراق ،ج١٠،ص٢٣٠.

٣ -عبد السلام فهمي :تاريخ الدولة المغولية ،ص٢١٥-٢١٦،محمد أحمد محمد :دخول مغول العراق وفارس في الإسلام،دار الفكر ،القاهرةص٩٢.

٤ -ابن بطوطة :تحفة النظار ،ج١،ص٢٠٨.

٥ -ابن بطوطة :المصدر نفسه ،ج١،ص٢٠٩-٢١٠،فاطمة نبهان :المرأة،ص١٢٤.

السلطان أبي سعيد الذي هجر زوجته بغداد خاتون لأجلها "[1]" ،وقد تميزت بحدة الذكاء والدهاء والبصر بأمور السياسة وكان أبو سعيد لايقطع رأياً دونها ولا يعمل إلا بمشورتها"[2].

نلاحظ من ذكر بعض هذه الأحداث كيف أن المرأة في عهد المغول الإيلخانيين كانت تتمتع بقسط كبير من الحرية والاحترام كما إنها مارست دورها بشكل كبير فبرز دورها في الناحية السياسية والنواحي الاجتماعية وفي كثير من النواحي.

هكذا نجد أن المغول الإيلخانيين كانوا متأثرين ومؤثرين على المجتمع الإسلامي وهذا شيء طبيعي لأنهم من ثقافتين مختلفتين وكل يحمل فكراً مختلفاً عن الآخر وبالتالي لابد من أن تحدث عملية التأثير المتبادل بينهم فكل فرض ثقافته على الآخر وبما أن المغول في البداية كانوا هم الغالبين فحاولوا فرض ثقافتهم على الشعوب التي حكموها لكن بعد استقرارهم ودخولهم في الدين الإسلامي خضعوا للحضارة الإسلامية وتهذبت الكثير من أمورهم نتيجة امتزاجهم بالمسلمين.

---

١ -ابن بطوطة :تحفة النظار ،ج١،ص٢١٠.

٢ -فاطمة نبهان :المرأة ،ص١٢٥.

أثر سياسة المغول الإيلخانيين من الناحية الثقافية:

ترك سقوط بغداد على أيدي المغول سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م أثره على الحياة الثقافية وذلك لأنهم كانوا شعوب بدائية لم يكن يهمها سوى الغزو والانتصار فلم تهتم بالمحافظة على تراث تلك الشعوب التي حكمتها فكسدت العلوم تقريباً في عهدهم ولكن هذا الأمر سرعان ماتبدل بعد أن استقروا في العالم الإسلامي وأخذوا ينهلون من علومه فتابع العلماء المسلمين نشاطهم الثقافي فتحسنت هذه العلوم ورغم أن المغول قد أحدثوا تأثيراً سياسياً وذلك بغزوهم الوحشي للعالم الإسلامي إلا أن العلماء حاولوا أن يحدثوا تغييراً اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً فحاولوا أن يحولوا الهزيمة القاسية إلى نصر وذلك من خلال إحداث التغيير في المغول وجذبهم إلى التطور ،لأننا كما نعلم بأن المغول عندما جاؤوا إلى العالم الإسلامي قاموا بإحراق المكتبات وقتل العلماء والأدباء ودمروا مظاهر الحضارة بتدميرهم لمراكز العلم .

فقد ذكر القزويني في مقدمة كتاب جهانكشاي أن المغول أحرقوا آلاف البشر البريئة وخربوا مراكز العلم وذبح على أيديهم العلماء واختفى من الوجود الكتب والمكتبات كما دمرت مراكز الصناعات والثروات "[١]"، لكن هذه الأمور مالبثت أن تحسنت فيما بعد وأخذ العلماء يمارسون دورهم بشكل كبيرو نشطت بعض العلوم كعلم الفلك والطب كما نشط علم التاريخ وظهر في البلاط الإيلخاني عدد كبير من العلماء وذلك نتيجة قربهم من السلاطين فدونوا أحداث التاريخ المغولي وكان لهم دور كبير في البلاط الإيلخاني وقد وجد في هذا العهد عدد كبير من العلماء لكننا سنقتصر في هذا الفصل على بعض العلماء الذين كان لهم دور كبير في عهد المغول.

نصير الدين الطوسي:محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي الفيلسوف وقد كان عالم في الرياضيات كما إنه كان مشهوراً في علم الأوائل لاسيما في الأرصاد والمجسطي فإنه فاق

---

١ -عطا ملك الجويني :تاريخ فاتح جهانكشاي ،مقدمة القزويني،ص٢٧.

الكبار وقد ولد بطوس سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م"[١]"،وقد كان هو وابنه يشرفان على مدارس بغداد وأوقافها ومنها المدرسة المستنصرية"[٢]"،وقبل أن يقوم المغول بإسقاط دولة الحشاشين الإسماعيلية كان نصير الدين الطوسي قد اشتغل رغماً عنه معهم ثم انتقل إلى خدمة هولاكو وأصبح موضعاً لتكريمه وتشريفه وقد استفاد كثيراً من مصاحبته للجيش المغولي الذي حطم بغداد فاستغل فرصة العبث بالمكتبات وأغنى مكتبته الخاصة "[٣]" ،وكانت خزانته عظيمة فسيحة الأرجاء ملأها بالكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها أكثر من أربعمائة ألف مجلد، ويعد الطوسي من الذين اشتهروا بالتأليف والتصنيف في مختلف العلوم والفنون المعروفة في عصره كالتاريخ والعلوم والأدب والفقه والتفسير والحكمة والفلسفة والأخلاق والهندسة والحساب والجبر والمقابلة والهيأة والنجوم (الفلك) وعلم التقويم والزيج وأحكام النجوم والاسطرلاب والموسيقى وبقية العلوم"[٤]"، وقد قام نصير الدين بمرافقة هولاكو إلى مراغة حيث كلفه بإنشاء المرصد وصدرت الأوامر بتشييد هذا البناء في تل عال شمال مراغة وكان الهدف من إنشائه التعرف على الأحكام النجومية والتحقيق لأرصاد الحوادث المتتابعة، وقد أمر بصرف الأموال لتسديد نفقات البناء وإعداد الوسائل الكافية "[٥]" ،وبعد وفاة هولاكو أصبح نصير الدين منجماً لابنه أباقا "[٦]"،ولم يتوان نصير الدين لحظة عن المطالعة والتدريس على الرغم من كل تلك الأحداث الرهيبة التي شهدها عصره ،والتف حوله كثير من التلاميذ الذين تعلموا منه وكان مغرماً بالبحث والتحقيق لدرجة أنه كلما كان يكتشف إحدى دقائق العلم كان ينهض على قدميه ويدق بهما على الأرض فرحاً ويقول :"لو علم الملوك

---

١ – ابن شاكر الكتبي :فوات الوفيات والذيل عليها،تح:إحسان عباس،دار صادر ،بيروت، ،مج٣،ص٢٥٢،٢٤٦،حسن الأمين :الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي ،ط١،الغدير ،بيروت ،١٩٩٧م ،ص٩،محمد تقي مدرس رضوي:العلامة الخواجة نصير الدين الطوسي،ت:علي هاشم الأسدي،ط١،الناشر النموذجي في معرض طهران ،١٩٩٤م،ص١١.

٢ – ناجي معروف :تاريخ علماء المستنصرية ،ص٩٤.

٣ – براون :تاريخ الأدب (من الفردوسي إلى السعدي)،ص٦١٦.

٤ – حسن الأمين :الإسماعيليون والمغول ،ص٢٠.

٥ – ابن شاكر الكتبي:فوات الوفيات،مج٣ ،ص٢٤٦،محمد تقي مدرس رضوي:العلامة الخواجة نصيرالدين ،ص٣٩..

٦ – ابن شاكر الكتبي :فوات الوفيات ،ص٢٥٢.

بعالمنا الممتع لما أضاعوا هذه النعمة من أيديهم "[1]"،وقد توفي نصير الدين الطوسي في سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م وقد دفن في مشهد موسى بن جعفر عليه السلام في سرداب قديم البناء قيل كان قد عمل للخليفة الناصر لدين الله"[2]"

وكما ذكرنا في فصول سابقة فقد لعب نصير الدين دوراً كبيراً في البلاط الإيلخاني حيث إنه شجع هولاكو على غزو بغداد وحدد له الوقت المناسب للغزو كما إنه حظي بمحبة هولاكو ونال هو وأولاده عناية كبيرة من قبل أولاد هولاكو .

ومن المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ المغول ونالوا شهرة كبيرة عند المغول ***المؤرخ عطا ملك الجويني:*** وهوعلاء الدين أبو المظفر عطا ملك بن الصاحب محمد بن محمد بن محمد بن علي ولد سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م وتوفي سنة٦٨١هـ/١٢٨٣م وهو من أسرة شديدة العراقة وغالب أفراد هذه الأسرة لقبوا بصاحب الديوان وهذا يعني أنه المرجح في الشؤون المالية والإدارية والعلمية وفي مصالح الدولة جميعاً"[3]"، وقد كان الجويني وأسرته من المواطنين الفرس المشهورين في عهد المغول، كما إنه كان حاكماً على بغداد سنوات طويلة"[4]"،وقد تحدثنا في فصول سابقة عن عطا ملك الجويني ولكن من ناحية كونه وزيراً لعب دوراً كبيراً على المسرح السياسي في عهد المغول الإيلخانيين ، وقد كان علاء الدين صاحب كرم وسؤدد وخبرة بالأموال وعدل ورفق بالرعية وعمارة البلاد"[5]"،بالإضافة إلى هذه الأمور كان عطا ملك الجويني مؤرخاً هاماً برز في البلاط المغولي ويتضح ذلك من خلال كتابه الهام تاريخ فاتح العالم جهانكشاي حيث إن كتابه يعد من الكتب الهامة التي تحدثت عن اجتياح المغول وفتوحات جنكيز خان .

---

١ –عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٤٩٤.

٢ –ابن الفوطي :الحوادث ،ص٣٨٠.

٣ –شاكر مصطفى :التاريخ العربي والمؤرخون ،ج٤، ط١،دار العلم للملايين ،بيروت ،١٩٩٣م،ص٣١١.

٤ –أحمد شلبي :موسوعة التاريخ الإسلامي،والحضارة الإسلامية،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة،١٩٧٧م ،ص١٢٨،دونالدولبر: إيران ،ص٧١.

٥ –ابن شاكر الكتبي :فوات الوفيات ، مج٢ص٤٥٢.

وكان عطا ملك الجويني قد أتم تاريخه المعروف في سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م أي إبان انتهاء قوات هولاكو من فتح قلاع الإسماعيلية ومع إن شباب عطا ملك يتزامن مع اجتياح المغول فإن دوره في الديوان يبدأ مع قدوم هولاكو إلى إيران لذا فإن معظم الأحداث التي أوردها الجويني عن عهد جنكيز خان استقاها من المعمرين الذين عاصروا ذلك العهد وسجلها في كتابه كما حصل على بعض المعلومات أيضاً من مسؤولي المغول وربما استفاد كذلك من بعض الكتابات المغولية"[١]،والكتاب يشتمل على ثلاثة أجزاء أو مجلدات الأول منها: يتحدث عن أصل المغول وفتوحات جنكيز خان والثاني :عن ملوك خوارزم والمعروف باسم خوارزمشاه والثالث :عن الحشاشين أو إسماعيلية حصن ألموت وقهستان ومحاربة هولاكو خان لهم "[٢]" ،كما إنه قام بإنشاء مجموعة من المدارس المتداعية كما إنه جلس للتدريس في المدرسة النظامية كما إنه عمل على تدعيم المدرسة المستنصرية فقد أمر بتنظيم وصول المياه إلى بركتها وإنشاء دولاب تحت مسناتها لرفع المياه إليها من نهر دجلة كما جدد فنائها وبيض حيطانها"[٣]"،بالإضافة إلى كتابه المترجم له رسالتان الأولى تسلية الأخوان وقد جعلها الجويني ذيلاً على ما كتبه نصير الدين الطوسي عن واقعة بغداد"[٤]" كما تضم وصفاً للمصائب والمحن التي حاقت بالمؤلف سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م بسعاية مجد الملك اليزدي والثانية غير معروفة العنوان ألفها بعد تسلية الأخوان مباشرة وهي تابعة لها مضموناً وفيها ذكر مالقيه أحمد تكودار من المصائب حتى أصبح سلطاناً وقتل مجد الملك والرسالتان مخطوطتان بباريس وله كذلك بعض الرسائل والكتب والأوامر جمعها له منتجب الدين بديع الكاتب الجويني خال جد أبي

١ –عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٤٧٩.

٢ –براون :تاريخ الأدب (من الفردوسي إلى السعدي)،ص٦٠،شاكر مصطفى :التاريخ العربي والمؤرخون ،ص٣١٣.

٣ – ناجي معروف :تاريخ علماء المستنصرية ،ص٩٨-٩٩.

٤ – شاكر مصطفى :التاريخ العربي والمؤرخون ،ص٣١٤.

المؤلف وهي موجودة في مكتبة إدارة الألسن الشرقية ببطرسبرج وعـددها خمسـة عشـر ورقة"[1]" .

رشيد الدين الهمذاني : الطبيب أبو الفضل الهمذاني وهو حكيم غازان ونديمه بلغ فـي أيـام غازان منزلة كبيرة وولي في أيامه المناصب الجليلية "[2]" ، وقد كان أبوه عطاراً يهودياً"[3]"وقد ولد في مدينة همذان والذي تعود نسبته إلى تلك المدينة "[4]"،وقد كان رشـيد الـدين عالمـاً موسوعياً أحاط علمه بكثير من أنواع المعارف والثقافات ولكن شهرته كمؤرخ كانت تأتي في المقدمة دائماً "[5]"، ومن كتبه الهامة كتاب جامع التواريخ وهو كتاب كبير في دولة جنكيز خان وأولاده ذكر فيه أنه لما شرع في التبييض مات السلطان غازان وجلس مكانه خدابنده فـأمر بإتمامه وإدخال اسمه في العنوان "[6]"، ويعد كتابه جامع التواريخ من أهم الأعمال التاريخيـة الأدبية التي دونت في العصر المغولي ، وقد كان غازان خان يحب التاريخ وكـان محيطـاً بتاريخ أسلافه إحاطة تامة فكلف رشيد الدين بإعداد كتاب في تاريخ المغول ،ونشره بين أمراء التتار حتى لاينسوا تاريخ أجدادهم "[7]"، والكتاب ينقسم إلى أربعة مجلدات :

الأول:في أصل الأمم التركية، وتعداد قبائلها، وذكر الملوك والأمراء والأميرات المعتبرين من كل قبيلة، وشرح أمكنة كل طائفة، وذكر تاريخ أجداد جنكيز خان، ثم تاريخ جنكيـز نفسـه وشرح أحوال أولاده وأحفاده الذين تولوا الحكم في عهد السلطان أولجايتو "[8]"،وكان أولجـايتو

---

١ – عطا ملك الجويني :تاريخ فاتح العالم ،مقدمة القزويني ،ص٣٩،محمد السعيد جمال الدين :علاء الدين عطا ملـك ،٤٣،شاكر مصطفى :التاريخ العربي والمؤرخون،ص٣١٤.

٢ – ابن تغري بردي :المنهل الصافي،ج٨ ،ص٤٠٥.

٣ – الشوكاني :البدر الطالع ،ص٥٤٧.

٤ – رشيد الدين الهمذاني :جامع التواريخ ، مج١مقدمة كاترمير ،ص٥.

٥– رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازاني ،مقدمة الصياد ،ص٧.

٦ – حاجي خليفة :كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ،صححه وطبعه:محمد شرف الدين يالتقايا ،رفعـت بيكلـه الكليسي ،وكالة المعارف ،١٩٤١م ، مج ١،ص٥٣٩.

٧ – عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٤٨١.

٨ – فؤاد الصياد :مؤرخ المغول رشيد الدين ،ص٢٥٩.

قد كلف رشيد الدين بإضافة تاريخ الطوائف التي كان لها ممثلين مقيمين في البلاط الإيلخاني وتضمينه مجلداً آخر في الجغرافيا والمسالك والممالك ملحقاً بتاريخ المغول وبالإضافة إلى جامع التواريخ له مؤلفات أخرى مهمة ككتاب الأحياء والمآثر في بيان البرد والحر وفصول السنة والزراعة والري وأمراض النبات والمعادن وغير ذلك وهو مفقود"[1]"،ومن مؤلفاته أيضاً تفسير القرآن وسماه مفتاح التفاسير فسره على طريقة الفلاسفة والرسائل السلطانية في العقائد ولطائف الحقائق في العقائد"[2]"،إضافة إلى مجموعة مكاتبات رشيدي وهو عبارة عن مجموعة رسائل كتبها رشيد الدين لأبنائه وتشتمل هذه الرسائل على العديد من النقاط الأدبية والتاريخية"[3]".

وقد اتهم رشيد الدين بقتل السلطان المغولي خدابنده وذلك بإعطائه دواءً مسهلاً فزاد إسهاله وقتله فقتل رشيد الدين وحمل رأسه إلى تبريز وطيف به أياماً ثم قطعت أعضاؤه وحمل كل عضو إلى بلد ثم أحرقت جثته وقد ناهز الثمانين"[4]"

ابن الفوطي :٦٤٢-٧٢٣هـ/١٢٤٤-١٣٢٣م عبد الرزاق أحمد بن محمد بن أحمد الصابوني الشيخ الإمام المحدث المؤرخ الإخباري الفيلسوف المعروف بابن الفوطي صاحب الطوسي"[5]"، أسر في واقعة بغداد ثم صار للنصير الطوسي سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م"[6]"والفوطي نسبة إلى بيع الفوط وهو ضرب من الثياب كان أخوال والده يبيعونها ويعرف أيضاً بابن الصابوني "[7]"،وقد تولى خزانة دار الرصد في مراغة أكثر من عشر سنوات ولهج بالتاريخ

١ –عباس إقبال :تاريخ المغول،ص٤٨١-٤٨٢.

٢ –عمر رضا كحالة :معجم المؤلفين ،ج٧،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،ص٧٤.

٣ –عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٤٨٢-٤٨٣.

٤ -ابن تغري بردي :المنهل الصافي ،ج٨،ص٤٠٥.

٥ –ابن شاكر الكتبي :فوات الوفيات ،ص٣١٩.

٦ –ابن تغري بردي :المنهل الصافي ،ج٧، ص٢٥٦.

٧ –ناجي معروف :تاريخ علماء المستنصرية ،ص٨٠.

وصار خازن الكتب المستنصرية "[1]"،كما ألف كتاباً سماه مجمع الآداب في معجم الأسماء على معجم الألقاب في خمسين مجلداً وألف كتاب درر الأصداف في غرر الأوصاف مرتب على وضع الوجود من المبتدأ إلى المعاد يكون مجلداً وكتاب تلقيح الأفهام في المؤتلف والمختلف والتاريخ على الحوادث من آدم إلى خراب بغداد والدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة "[2]"،وكان يكتب وهو نائم على ظهره"[3]".

وصاف الحضرة "شهاب الدين عبد الله الشيرازي":ولد في شيراز سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٤م

واشتغل بتحصيل الأدب والعلوم وتبحر في دراسة اللغة العربية وآدابها وقد التحق بخدمة الديوان في شيراز وبالتدريج صار من خواص صدر الدين أحمد الخالدي الزنجاني "[4]"،وقد نظم وصاف الحضرة مدائحاً وأشعاراً عن الزنجاني الذي تولى وزارة كيخاتو خان وكان الوصاف على علاقة وثيقة برشيد الدين وقد حظي بوساطة منه على عطف بالغ من كل من غازان وأولجايتو وعرض تاريخه على الإيلخان من خلاله"[5]"،وكان قد شرع في تأليف كتابه عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م وقد رتبه على خمس مجلدات وسماه تجزية الأمصار وتزجية الاعصار وفرغ من تأليفه في شعبان سنة ٧١١هـ/١٣١١م"[6]"،وكان قد عرض القسم الثاني من تاريخه على السلطان غازان عام ٧٠٢هـ/١٣٠٢وأما القسم الأول فقد عرضه على السلطان أولجايتو في مدينة السلطانية عام ٧١٢هـ/١٣١٢م "[7]"،وقد ذكر في هذا الكتاب جنكيز خان وأولاده إلى غازان خان "[8]"، ويعد هذا الكتاب تذييلاً لتاريخ جهانكشاي نفسه وتاريخ ملوك وأمراء

---

١ –ابن شاكر الكتبي :فوات الوفيات ،مج٢،ص٣٢٠، ابن تغري بردي: المنهل الصافي ،ص٢٥٦،ناجي معروف :تاريخ علماء المستنصرية ،ص٨٩.

٢ –ابن شاكر الكتبي :فوات الوفيات ،مج٢،ص٣٢٠،عمر رضاكحالة :معجم المؤلفين،مج٥-٦،ص٢١٦.

٣ –ابن تغري بردي :المنهل الصافي ،ج٧ ،ص٢٥٦.

٤ –فؤاد الصياد :مؤرخ المغول ،ص٢٣٢.

٥ –عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٤٨٠.

٦ –حاجي خليفة :كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ،مج١،ص٣٠٩.

٧ – فؤاد الصياد :مؤرخ المغول ،ص٢٣٣.

٨ – حاجي خليفة :كشف الظنون ،ص٣٠٩.

الأطراف منذ سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م حتى سنة٦٩٩هـ/١٢٩٩م ومع إن تاريخ وصاف أدنى مرتبة من تاريخ جهانكشاي من ناحية الأسلوب حيث اتبع مؤلفه طريق التكلف فإنه يعد من أهم مصادر تاريخ المغول في عصر إيلخانات إيران"[١]"،ومن حسن الحظ أن قصته في وصف الأحداث تختلف عما جاء في كتاب معاصره رشيد الدين حيث اعتمد كل منها على مصادر مستقلة عن الأخرى،ومما يشهد له على أنه بالرغم من خدمته للمغول وتمتعه بإنعامهم وقربهم كان لا يستطيع أن يخفي شعوره الذي ظهر بوضوح في أسلوبه حينما تحدث عن ملوك الأطراف البعيدة عن إيران فقد كان كغيره من الناس ناقماً على المغول ويرى فيهم قوم طغاة جبارين سفاكين للدماء نكبت بهم الأمة الإسلامية فكان يتوق إلى أن يرى هذه الأمم تنهض من كبوتها"[٢]" .

ابن المطهر الحلي:حسن بن يوسف بن مطهر الحلي العراقي الشيعي شيخ الروافض"[٣]"،وكان الحلي من أشهر مصنفي الفرقة الإمامية الاثني عشرية ومن علماء المعقول والمنقول ومن تلامذة نصير الدين الطوسي"[٤]"،وله تصانيف كثيرة تزيد على مائة وعشرين مجلداً في الفقه والأصول والفلسفة والرفض وقد قام بالرد عليه الشيخ تقي الدين أبو العباس ابن تيمية في مجلدات"[٥]"،وكان قد لقي الحلي رعاية كبيرة من قبل السلطان أولجايتو وكان له تأثير كبير

---

١ - عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٤٨٠.
٢ - فؤاد الصياد : مؤرخ المغول ،ص٢٣٢.
٣- ابن كثير :البداية ،ج٩ ،ص٣٤٣.
٤- عباس إقبال :تاريخ مفصل إيران ،ص٣١٧.
٥-ابن كثير :البداية ،ج٩ ،ص٣٤٣.

عليه في قبول مذهب التشيع"[1]"،وكان الحلي قد ولد في السابع والعشرين من رمضان سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م وتوفي ليلة الجمعة عشرين محرم سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م"[2]" .

أما في مجال الشعر فقد أحدث المغول ضرراً بالحياة الأدبية وذلك لأن المغول لم يتلذذوا بسماع الشعر كما إنهم لم يحيطوا أنفسهم بالشعراء كما كان يفعل الخلفاء في عهد الازدهار ولكن مالبث الشعر أن تحسن وظهر عدد من الشعراء الذين تحدثوا عن سقوط بغداد وقد تميز شعرهم بالحزن العميق الذي عم العراق وكان الغالب عليه التصوف والزهد الذي ازدهر بسبب ماساور النفوس من الالآم بعد تفشي الظلم فانطوت على الحسرة والألم فاتجهوا إلى العالم الروحي والرغبة في الحياة المعنوية والتأملات والرياضة الصوفية "[3]"،وقد برز في مجال الشعر عدد كبير من الشعراء المشهورين ولكن اثنين منهم كانا أكثر شهرة من غيرهم وهما جلال الدين الرومي وسعدي الشيرازي.

*سعدي الشيرازي:*ولد سعدي سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤ في شيراز ونسب إليها وأمضى بها شبابه دارساً ثم قام برحلة طويلة للاستفادة والإفادة "[4]" ،وهو يعتبر من أكبر شعراء الفارسية كما أنه عرف كصوفي ينظم الغزل الصوفي "[5]" ، وقد استخدم الأسلوب السلس في النظم والنثر في العصر المغولي كما إنه درس بالمدرسة النظامية قبل اجتياح المغول لبغداد وتتلمذ في العلم والأدب على علماء دار الخلافة وأعلامها"[6]"، وله ديوان يعرف بـ (كلستان) أو (روضة الورد) و(بوستان) أو (ورد الحديقة) ومنظومات أخرى صوفية وأخلاقية كثيرة والكلستان هو النموذج الرفيع الذي احتذاه النثر الفارسي في العصور اللاحقة وهو عبارة عن مجموعة من

---

[1] -عباس إقبال : تاريخ مفصل إيران أز استيلاى مغول تا إعلان مشروطيت أز حمله جنكيزتا تشكيل دولت تيموري، تهران،١٣١٢هـ.ش،ج١ ص ٣١٧..

[2] - ابن كثير: البداية، ص ٣٤٣.

[3] - نوري عبد الحميد خليل: حضارة العراق ، ج ١٠، ص ٢٠٠-٢٠٣.

٤ - أحمد شلبي :موسوعة التاريخ،ص١٢٩ .

٥ - شعبان طرطور :من أعلام الشعر والنثر الفارسي في العصرين المغولي والتيموري ،القسم الأول ،١٩٩٥م ،ص٧٦،٧١.

٦ - عباس اقبال :تاريخ المغول،ص٥٢٦

الحكايات المكتوبة نثراً ولكنها تشتمل على مقطوعات من الشعر ،أما البوستان فجميعه من الشعر وهو يمجد العدل والمساواة والتواضع والبساطة والتربية والعبادة والتفكر وغيرها من الموضوعات"[١] وقد أودع كتابيه هذين خلاصة تجاربه بعد أن طاف ببلاد العالم الإسلامي وخالط أهلها "[٢]وقد نصح سعدي كصوفي بالاعتدال على أنه الفضيلة الأولى وأوصى بأن نقنع بنصيبنا في هذه الحياة وأن نعيش ماأمكن عيشة فاضلة عفيفة استعداداً للحياة الأبدية"[٣].

*جلال الدين الرومي:*ولد جلال الدين في مدينة بلخ في خريف سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م وقد هاجر والده من بلخ نتيجة الاضطهاد الذي لقيه من قبل علاء الدين محمد خوارزمشاه حيث كانت العلاقة بين السلطان محمد خوارزمشاه والعارفين والمتصوفة سيئة لذلك فقد جافى والده الذي كان من كبار مشايخ المتصوفة فغادر خراسان ومعه ابنه جلال الدين الذي كان في الخامسة من عمره "[٤]،وقد تنقل جلال الدين من مكان إلى آخر حتى استقربه المقام ببلاد الروم وذلك في قونية عاصمة سلاجقة الروم"[٥]،وكان الرومي شاعراً صوفياً كبيراً ومؤسساً للفرقة المولوية التي تعرف باسم الدراويش الدائرين أو الراقصين وله منظومة طويلة تشتمل على ست كتب وتعرف باسم المثنوي وهو اسم ضرب من الشعر القصصي يتكون من أبيات يكون البيت فيها مقفى بين شطريه ويعتبر المثنوي عملاً من الدرجة الأولى والكتاب الأساسي للتصوف الفارسي وكان الرومي صوفياً فخصص جزء كبيرمن المنظومة لخدمة هدفه الوحيد وهو تقوية الأخلاق "[٦]،وله بالإضافة إلى المثنوي ديوان غزليات كبير يعرف باسم ديوان شمس التبريزي وذلك تكريماً لشيخه وأستاذه شمس الدين التبريزي"[٧].

١ – دونادولبر :إيران ماضيها وحاضرها،ص٧٢.

٢ – أحمد محمود الساداتي :تاريخ الدول الإسلامية ،ص١٥٠.

٣ – دونالدولبر :إيران ماضيها وحاضرها ،ص٧٢.

٤ – براون :تاريخ الأدب (من الفردوسي إلى السعدي)،ص٦٥٤،عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٥٢٢.

٥ –عباس إقبال :المرجع نفسه ،ص٥٢٢.

٦ – دونالدولبر :إيران ،ص٧٢،أحمد محود الساداتي :تاريخ الدولة الإسلامية ،ص١٤٩.

٧ – عباس إقبال :تاريخ المغول ،ص٥٢٤.

وهناك العديد من العلماء الذين برزوا في هذا العصر ولكننا اقتصرنا على بعض الأشخاص الذين كان لهم دور كبير ومؤثر في عهد المغول ،كما ذكرنا أهم الشعراء الذين برزوا في تلك الفترة .

ومن هنا نجد أن الحركة العلمية في عهد المغول لم تتوقف بل استمرت رغم الظروف السياسية السيئة التي عانى منها العالم الإسلامي ،وهذه الظروف لم تؤثر على نتاجه العلمي بل على العكس برز في عهدهم علماء كبار يعتبرون من أعلام الحضارة الإسلامية ،وبدلاً من أن يظن الغرب الأوربي أن النتاج العلمي قد توقف وأن الازدهار الحضاري قد خبى مع زوال الخلافة العباسية في بغداد وجدوا عكس ذلك فقد استمرت الحركة العلمية واستمر دور العلماء الذين استقى منهم الغرب الكثير فهذا العلامة نصير الدين الطوسي الذي كان يعتبر من العلماء العظام في علم الفلك وغيره كثير.

وفي نهاية هذا الفصل نجد أن المغول الإيلخانيين كانوا مؤثرين ومتأثرين بالعالم الإسلامي فكان لهم دور كبير في التأثير على العالم الإسلامي لأنهم حملوا معهم ثقافة تختلف بطبيعتها عن ثقافة العالم الإسلامي ،لكن هذا التأثير سرعان ماخبى بعد دخولهم الإسلام وأصبحوا متأثرين بالعالم الإسلامي .

الخاتمة:

من خلال دراسة موقف المغول الإيلخانيين من العقائد والمذاهب الدينية ،استعرضنا عقيدة المغول وتدرجهم في العبادة وتنقلهم من عبادة الأشياء التي ترهبهم ولايملكون القــدرة علــى فهمها ،ثم عبادة الإله الواحد مع عبادة أشياء أخرى إلى جانبه كالجبل والشمس والقمــر ،ثــم تأثرهم بالخليط الكبير من البوذية والمسيحية والإسلام ،وكيف إنهم لم يملكوا أي تعصب ديني ولم يفرقوا بين دين أو آخر أو حتى أن يحاولوا فرض دينهم على حساب ديــن آخــر وقــد سارعت مختلف الطوائف الدينية لمحاولة كسبهم إلى صفهم وإدخالهم في دينهم ،ولاحظنا كيف نال رجال الدين من مختلف الطوائف الود والاحترام من قبل المغول وكيف حصــلوا علــى امتيازات كبيرة وذلك حسب مانصت عليه ياسا جنكيز خان ،كما استعرضنا انقســام المغــول الإيلخانيين إلى قسمين قسم كان يدين بالوثنية وقسم آخر دان بالإسلام ،ولاحظنــا أيضــاً أن المغول الإيلخانيين في كلا القسمين اعتمدوا على الوزراء المسلمين وولوهم المناصب الهامــة ،لكننا وجدنا أن أغلب الوزراء المسلمين تعرضوا للقتل على يد المغول الإيلخانيين ،وأيضاً من الأمور التي أثارت الاهتمام استمرار العادات المغولية السيئة رغم إسلام المغول ومــن هــذه الأمور إصرار غازان على الزواج من زوجة أبيه التي كاد أن يرتد عن دينه من أجلها لــولا أن قام بعض الشيوخ بإفتاء هذه القضية لصالح غازان على اعتبار أن أبوه كان كافراً ويعتبر زواجه منها سفاحاً فطلبوا منه أن يعقد عليها كي يصبح زواجــه منهــا صــحيحاً ،وأيضــاً ممارستهم لأمور سيئة لاتعبر عن إسلامهم وهي إقدام السلطان أبو سعيد على تطليــق بغــداد خاتون من زوجها لحبه لها وشغفه بها ، وهذه كلها أمور تدلل على ضــعف الإســلام لــدى المغول وعدم تمكنه من قلوبهم وربما يكون السبب في إسلامهم لخدمة إغراض سياسية تفيــد مصالحهم والذي يدلل على ذلك إقدام غازان أيضاً على القيام بأعمال قتل وانتهــاك حرمــات المساجد عند دخوله دمشق ،فلو كان مسلماً حقاً لما أقدم على سفك دماء الأبرياء وانتهاك بيت الله المقدس لدى المسلمين ،وأيضاً من خلال البحث برز لدينا دور واضح للمرأة وكيف أنهــا

كانت تتمتع بقدر كبير من الاحترام والحرية وكيف كان لها دور واضح وهام في الأمور السياسية ،فعلى سبيل المثال برز دور كبير لسرقويتي بيكي والدة هولاكو ومنكوقاآن وقوبيلاي ،وأيضاً دور مميز لدوقوز خاتون المسيحية والتي أرسلها منكوقاآن مع الجيش المتوجه إلى العالم الإسلامي ،وطلب من هولاكو مشاورتها في جميع القضايا والشؤون وهذا يدلل على مدى ثقة المغول بالمرأة وحنكتها وقدرتها على التصرف في الأمور السياسية الخطيرة ،إضافة إلى كثير من النساء اللواتي لعبن دوراً هاماً في بلاط المغول الإيلخانيين ،ولكن هذا لاينكر أنها عوملت قبل إسلام الإيلخانيين كمتاع شأنها في ذلك شأن جميع النساء في الشعوب القديمة حيث تنتقل من الأب إلى الابن وهذه من الأمور المهينة للمرأة ولكن هذا الأمر انتهى بدخول المغول الإيلخانيين في الإسلام ،وأيضاً ممايثير الاهتمام في هذا البحث هو الصراع بين المسلمين السنة (الشافعية والحنفية) في عهد أولجايتو وذلك من أجل الحصول على المناصب السياسية وهذا مادفع أولجايتو إلى اختيار مذهب التشيع وذلك نتيجة استيائه من ذلك الصراع ،وهنا نتساءل هوكيف يقدم المسلمون على هذا العمل فبدلاً من أن يسارع المسلمون السنيون إلى تحبيب أولجايتو في الإسلام نجدهم يتصارعون في بلاط أولجايتو لأسباب واهية بعيدة عن طبيعة الإسلام السمحة ،وأيضاً نلاحظ في هذا البحث أمراً هاماً هو ميل المغول الإيلخانيين المسلمين إلى المذهب الشيعي وتفضيله على المذهب السني ، وهنا يتبادر إلى ذهننا سؤال هو ماهي الأسباب التي دفعت المغول الإيلخانيين إلى تفضيل المسلمين الشيعة وسك أسماء الأئمة على النقود وزيارة لأضرحة الأئمة العلويين ،بالإضافة إلى ذلك ميلهم الشديد لهم ،وأيضاً كيف نصت الياسا على تفضيل العلويين على غيرهم من أصحاب الطوائف الأخرى ، وأيضاً نلاحظ في هذا البحث انتصار الإسلام على الطوائف الدينية التي كانت تتصارع من أجل كسب الإيلخانات إلى صفها ومن ضمن هذه الطوائف المسيحيين والبوذيين الذين فشلوا أمام الإسلام الذي حقق انتصاراً كبيراً على هذه الطوائف الدينية وهذا يدلل على صدق الإسلام ووسطيته وسماحته وقدرته على التغلغل في قلوب الناس ،وأيضاً نلاحظ في هذا البحث أنه رغم أن المغول الإيلخانيين لم يكونوا أصحاب حضارة وكيف وجدناهم يرتكبون المجازر الرهيبة في

حق الإسلام والمسلمين وكيف دمروا مركز الحضارة بغداد وإغراقهم الكتب في مياه دجلة التي تحولت مياهها إلى لون أزرق لكثرة الكتب التي ألقيت في مياه هذا النهر ،بالإضافة إلى إحراقهم مكتبة الإسماعيلية الضخمة كل هذه الأموردللت على أنهم كانوا أعداء للعلم وأن مركز المسلمين الثقافي بدأ في الزوال والانهيار ،إلا أننا لاحظنا على العكس من ذلك نشاط الحركة العلمية في عهدهم وبروز دور العلماء واستمرار نشاطهم العلمي ،فبرز في عهدهم علماء مشهورون نذكرمنهم على سبيل نصير الدين الطوسي العالم الفلكي المشهور الذي نال شهرة كبيرة في بلاط المغول الإيلخانيين والذي لعب دوراً كبيراً في دخول هولاكو إلى بغداد وأيضاً من ضمن العلماء الذين برزوا في عهدهم الجويني صاحب كتاب تاريخ فاتح العالم جهانكشاي ورشيد الدين الهمذاني صاحب كتاب جامع التواريخ ،وأيضاً نلاحظ تهذب عادات المغول بعد دخولهم في الإسلام واحتكاكهم بالعالم الإسلامي وتشربهم بعاداتهم وتقاليدهم ،فتحولوا من شعوب بدوية جاهلة إلى شعوب متحضرة نوعاً ما فعلى سبيل المثال كان المغول لايعرفون النظافة نتيجة عدم استحمامهم لكن هذه الأمورمالبثت أن تغيرت بعد دخولهم في الإسلام، فقد فرض عليهم الإسلام بصلواته الخمس الاهتمام بالنظافة والاستحمام من أجل الصلاة والعبادة ،كل هذه الأمور السالفة الذكر جعلت المغول الإيلخانيين متأثرين بمظاهر الحضارة الإسلامية ،لكن هذا الامتزاج والاندماج كان له آثار إجتماعية سيئة ،فقد انتشرت العديد من المظاهر السيئة في المجتمع التي افقدته شيئاً من قيمته الإجتماعية وذلك نتيجة الاختلاط بين مجتمعين مختلفين في العادات والتقاليد وخاصة في عهد المغول الإيلخانيين غير المسلمين لكن هذه الأمور مالبثت أن تغيرت في عهد المغول الإيلخانيين المسلمين الذين قاموا بالعديد من الأمور لإصلاح المجتمع.

الملاحق

فى أبواب البر التى أنشأها سلطان الإسلام فى تبريز وهمذان والبلاد الأخرى والأوقاف التى وقفها وتنظيم هذه المنشأت

جرت رسوم المغول وعاداتهم منذ عهد جنگيز خان حتى الآن أن تكون قبورهم فى مواضع مجهولة بعيدة عن العمران؛ بحيث لا يكون لأى مخلوق علم بها. وكانوا يخلون ما حولها، ويعهدون إلى الثقات بالاشراف عليها؛ حتى لا يدعوا أحدا قط يقترب منها.

فلما أسلم السلطان، وسما بشئون الدين وأوصلها إلى نجم العيوق، قال: ولو أن هذه هى عادة آبائنا، وحتى لو اعتنق أحدهم الإسلام، ويريد ألا يكون قبره معلوما، فإنه لا يخالف الدين بتصرفه هذا. لكن ليست هناك فائدة أيضا من وراء ذلك. وحيث إننا اعتنقنا الإسلام، ينبغى أن يكون شعارنا كذلك مطابقا لطريقة المسلمين؛ ولا سيما أن الرسوم الإسلامية أفضل بكثير من تلك العادات.

وفى بادئ الأمر ذهب السلطان إلى خراسان وقصد طوس لزيارة المشهد المقدس رضى الله عن ساكنه، وزار كذلك مقابر السلطان بايزيد وأبى الحسن الخرقانى والشيخ أبى سعيد ابن أبى الخير وغيرهم من الأولياء هناك. روح الله رموسهم، وشاهد الأضرحة فى تلك البقاع، وتفقد أحوال المجاورين لها. وبعد دخوله فى الإسلام، تشرف بزيارة المشهد المقدس لأمير المؤمنين "على" رضى الله عنه والمشاهد الأخرى ومزارات الأولياء قدس الله أرواحهم، وذلك فى بغداد. وذات يوم صرح قائلا: إن من مات على هذا النحو، ومشهده ومزاره على هذه الوتيرة، كيف يمكن أن نعده من الأموات؟! والحال أن موته هذا أفضل من حياة الآخرين. ومع أنه ليست لنا مرتبة الصالحين، ولكن تشبها بهم عمدنا إلى إنشاء أبواب البر كى تكون مثوى لآخرتنا. وبذلك تصير لنا خيرات وصدقات جارية. وببركات تلك الخيرات تأخذ بيدنا رحمة الله تعالى، ويدخر لنا ثواب دائم. وإنه من المفضل إلى أقصى حد أن نسرع فى إنجاز هذه المؤسسات فى الوقت الذى منحنا الحق تعالى القدرة، وهيأ لنا (١)

رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص٢٤٣

ولما كان السلطان مقيما فى حاضرة ملكه تبريز، اختار أن يبنى قبره هناك خارج المدينة فى الجانب الغربى فى موضع "شنب". والآن وهم مشغولون منذ عدة سنوات ببناء هذا القبر[1] الذى تعلوه قبة أفخم من قبة السلطان سنجر السلجوقى فى مرو التى كانت تعد أعظم عمارة فى العالم. وكان قد شاهدها بنفسه. وإن تصميم تلك البقعة الشريفة ليبدو على هذا النحو الذى نسجله ونفصله فيما يأتى:

نفقات أوقاف أبواب البر المذكورة وسائر الخيرات والمبرات التى تعد من ملحقاتها بموجب شروط الواقف غازان خان تقبل الله منه حسب تفصيلات الوقفية المباركة، وذلك بطريق الإجمال

حرف ما يتعلق بالقبة العالية وسائر أبواب البر التى تحيط بها

(١) القبة العالية

إضافات	مرتبات
الفرش والتخطيط وثمن الشمع المذاب والعطر، وتهيئة الحلوى فى ليالى الجمع باسم الحفاظ.	المرتزقة من الحفاظ والعمال.

(1) رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص٢٤٤.

(٢) المسجد الجامع

مرتبات	إضافات
المرتزقة من الخطباء والأئمة والوعاظ والمؤذنين والمكبرين والعمال.	الفرش والتخطيط، وثمن الشمع المذاب والعطر.

(٣) مدارس الشافعية والحنفية

مرتبات	إضافات
المرتزقة من المدرسين والمعيدين والفقهاء والعلماء.	الفرش والتخطيط ونفقات الإضاءة والعطر، والمعدات الخزفية وغيرها.

(٤) الخانقاه

مصالح	إضافات
طعام الإفطار والعشاء، والحفلات العامة بواقع مرتين فى الشهر.	الفرش والتخطيط، وأدوات المطبخ، ونفقات الإضاءة والعطر.
صدقات	جرايات
مخصصة للفقراء والمساكين لسداد ثمن الكرباس والأحذية وفراء الأكتاف.	المرتزقة من المشايخ والأئمة والمتصوفة والمنشدين والخدم وأصناف العمال الآخرين.

(٥) دار السيادة

معاشات	إضافات
السادة من النقباء المقيمين هناك. والسادات القادمين والذاهبين.	الفرش والتخطيط، وثمن الشمع المذاب والعطر.

رشيد الدين الهمذانى :تاريخ غازان ،ص٢٤٥.

وظيفة	مرتبات
مرتب المشرف الذى يقوم بمهمات دار السيادة، والذى يؤدى الخدمة للسادات بمقتضى شرط الواقف.	الخدم والطهاة والعمال الآخرين الذين يقيمون هناك.

(٦) المرصد

إضافات	معاشات
الفرش والتخطيط، وثمن الشمع المذاب والبذور والعطر.	المرتزقة من مدرسى العلوم الدينية والمعيدين والمتعلمين والخزنة والمناولين وسائر العمال.
إصلاح	
وترميم الآلات وأدوات الساعات والمرصد، وتلك التى تصلح للاستعمال.	

(٧) دار الشفاء

إضافات	مصالح
الفرش والتخطيط، وثمن الشمع المذاب والبذور والعطر والآلات الخزفية.	الأدوية والأشربة والمعاجين والمراهم والكحل والحساء الخفيف وثياب النوم وملابس المرضى.
مرتبات	تجهيز
المرتزقة من الأطباء والكحالين والجراحين والخزنة والخدم وسائر العمال.	الأموات الذين يتوفون هناك.

رشيد الدين الهمذانى :تاريخ غازان ،ص٢٤٦.

(٨) دار الكتب

مصالح	إضافات
إصلاح الكتب وترميمها، وسداد ثمن الكتب الضرورية.	الفرش والتخطيط، وثمن الشمع المذاب.

(٩) دار القضاء

مصالح	إضافات
نفقات إعداد القوانين ونسخها وتجديدها.	الفرش والتخطيط، وثمن الشمع المذاب والبذور.

(١٠) بيت المتولى

مرتب مخصص لأحد البوابين حسب ما هو مقرر.

(١١) دورة المياه

جراية	مصالح
مخصصة لفراش واحد قائم بالخدمة.	الشمع المذاب والبذور والعطر ،الأباريق والجرار والأباريق والدنان والأكواز.

(١٢) حمام السبيل

جرايات	مصالح
العمال من الحمامى والدلاك وحارس الملابس والوقاد.	المآزر والدلاء والعطر والمصابيح والمساحات والمجارف والحطب ووقود موقد الحمام.

رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص٧: ٢.

حرف

(١٣) ما يذكر من ملحقات وتوابع أبواب البر

مصالح

الطعام الخارجي في جوسق العادلية الذي يقدم إلى أمراء المغول والنازيك والأشخاص الذين يجيئون إلى هناك إذ إنهم عند زيارتهم يقصدون ذلك الجوسق، ويأكلون هذا الطعام.

ما يحتاج إليه الطعام الذي يصرف كل يوم، وإضافة الفرش والتخطيط وأدوات المطبخ ولوازم دار الشراب وثمن الشمع المذاب.

مصالح

الوليمة التي يقيمها الواقف شكر الله سعيه كل سنة في اليوم الذي يحدده بشرط أن يجتمع المجاورون في البقاع المذكورة والأئمة والأعيان والمستحقون في تبريز وغيرهم ممن يجيئون إلى هنا ويختمون القرآن ويتناولون الطعام ويعطون الصدقات المخصصة لذلك اليوم.

جرايات

العمال من الطهاة والمتعهدين بشراء ما يحتاج إليه، والسقاة والخزنة وبقية فئات العمال هناك.

مصالح

الحلوى التي تقدم في ليالي الجمعة برسم أهل المسجد والخانقاه والمدارس وملاجئ الأيتام، بالإضافة إلى ما تعين صرفه على حدة في القبة العالية بمقتضى التفصيلات المنصوص عليها في السجل.

ما يحتاج إليه صدقة

الطعام المذكور الذي يصرف في هذا اليوم.

رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص٢٤٨

(١٤) نفقات العيدين
والأيام والليالى المباركة من عاشوراء وليلة القدر وغيرها
مدرسة

الأيتام البالغ عددهم دائما مائة يتيم يدرس لهم القرآن

وجوه الإنفاق	هدية
السنوية، وتقديم العيدية لمائة طفل يكونون قد حفظوا القرآن الكريم، ويعملون بالسنة، ثم يحضرون بدلا منهم أشخاصا آخرين.	مائة مصحف جديد تشترى كل سنة.

مرتبات	إضافات
لخمسة معلمين ولخمسة رقباء يلازمون الأطفال، ولخمس من النسوة يقمن على رعايتهم.	الفرش وإعداد المكتب، وما تدعو الحاجة إليه.

(١٥) للمستحقين

شراء ألفين من فراء الكتف المصنوع من فرو الخروف وذلك كل سنة، وتقديمها إلى المستحقين.

(١٦) الإشراف على تربية

الأطفال اللقطاء الذين يلقى بهم فى الطريق، فهؤلاء يؤخذون وتدفع أجور المرضعات وما يحتجن إليه حتى يبلغ هؤلاء الأطفال سن الرشد.

(١٧) تجهيز

ودفن الغرباء الذين يموتون فى تبريز، ولم يكونوا يملكون تركة تفى بدفنهم.

رشيد الدين الهمدانى: تاريخ غازان، ص٣٤٩.

(١٨) الحبوب

التى تلتقطها أنواع الطيور فى أشهر الشتاء الستة عندما تشتد البرودة وينزل الثلج، فينثر القمح والجاورس (الدخن) مناصفة على الأسطح ولا يصطاد أحد هذه الطيور. وكل من يقصدها بسوء، تحل عليه لعنة الحق تعالى وسخطه. وعلى المتولى وسكان تلك البقاع أن يمنعوا المعتدين ويردعوهم، وإلا يكونوا آثمين.

(١٩) للأرامل

الفقيرات اللائى يصرف لهن القطن كل سنة، ليكون راس مال لهن؛ على أن تمنح كل واحدة من الأرامل البالغ عددهن خمسمائة أرملة، أربعة أمنان من القطن المحلوج.

(٢٠) عوض

الأوانى الفخارية والكيزان التى يكسرها الغلمان والجوارى والأطفال فينصب متول أمين فى مدينة تبريز، حتى إذا ما أرادت تلك النئة نقل الماء، وانكسرت أوانيهم، ويخشون عقاب ساداتهم؛ فإن ذلك المتولى يعوضهم عنها بعد أن يتحرى الحقيقة.

(٢١) بخصوص

تنظيف الطرق من الأحجار، وإقامة القناطر على النهيرات ابتداء من مدينة تبريز إلى مسافة ثمانية فراسخ من المناطق والجوانب المحيطة بها وذلك على النحو المفصل فى السجل.

(٢٢) مرتبات

النواب وعمال ديوان أوقاف البر المذكورة والمسماة "الأوقاف الخاصة" وذلك بموجب شرط الواقف خارج أعمال الولايات والمواضع.

(٢٣) نفقات

عمارة القبة العالية وأبواب البر بأضلاعها الاثنتى عشرة، وكذلك جوسق العادلية الذى أنشأه أرغون خان بموجب شروط الواقف المنصوص عليها فى الوقفية المباركة.

رشيد الدين الهمذانى تاريخ غازان ص٢٥٠.

أملاك الأوقاف، وعلى أساس ارتفاعها من الحبوب والعقار والأراضي المستغلة المتعلقة بأبواب البر المذكورة في كل ولايات المملكة، حيثما وجد شيء منها بمقتضى شرط الواقف.

وحيث إن الحضرة المباركة قد اقتضت أن يستنبط أكثر أصناف الحق من هذه الخيرات ومن أبواب البر كانت حسب شروط معينة أوقف عليها على هذا كما كان يمتلكه شرعاً فيه حقه المطلق وملكه المطلق بطريقة لا يمكن أن تتيح مجالاً لأى طاعن للاعتراض عليه. وقد قطع أصحابها جميع منتهى وأخذت [illegible] الكبار وقضاة الإسلام. ثم أمر بكتابة سبع نسخ من تلك الوقفية، وتسجيلها كلها؛ حيث تكون واحدة منها في يد المتولى والثانية في الكعبة والثالثة [ص٤٢٤] في دار القضاء [illegible] تلك تبريز والرابعة في دار القضاء بمدينة السلام بغداد. أما الخامسة والسادسة والسابعة فتحفظ في السجلات. وبعد كل مدة يجدد الشهادة عليها قضاة بغداد وتبريز. وعلى كل قاض يتقلد منصب القضاء أن يبادر بتسجيلها فور جلوسه على مسند القضاء. ثم أمر بأن يسكن ويتوطن أبواب البر المذكورة الجماعة الذين هم أهل الفضل وكسب أهل العلم، وأن يكونوا ملازمين لها.

كذلك شيد السلطان الخانقاه كبيرة في ولاية همدان على حدود سفيدكوه في قرية وزينجرد، وأوقف عليها أوقافاً كثيرة؛ بحيث إن الصوفية المقيمين بتلك الخانقاه أو القادمون إليها في راحة تامة بسبب تلك الخيرات كما يشاهد الجميع.

مأثرة أخرى للسلطان هي أنه في كل ولاية حل بها، وورد إليها، وعن له مراد، ومسته حاجة مستترة، لجأ في الحال إلى حضرة الحق، وأفضى إليه بسره، والتزم النذر، وأدى صدقة. وعندما هزم جيش مصر، وجلس على عرش السلطنة في دمشق، وفى بعدة نذور كان قد نذرها إبان زحفه على تلك البلاد، بعضها في هذه الممالك، وبعضها في تلك الممالك (أى ممالك إيران). وأحد هذه النذور كان لقبر سيف الله خالد بن الوليد – رضي الله عنه – حيث دارت المعركة في تلك المنطقة وكان هذا النذر عبارة عن قناديل ذهبية ومعدات ومفروشات مناسبة [illegible] المشرفين على المقبرة. كما [illegible] آخر [illegible] بأن وقف عدة قرى من أعمال دمشق على [illegible] عليه.

رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص٢٥١.

وقد لاحظ أن ملوك مصر والشام كانوا ينفقون ريع أوقاف الحرمين وسبيل الحجاج في أغراض تتعلق بتصريف مصالح الجيش والديوان وكانوا يجيزون صرفها بفتاوى تأويلية، ولم يكن ذلك بجائز في الحقيقة. ولهذا نذر أيضا أن تصرف أموال هذه الأوقاف في الأغراض التي خصصت لها، وقال في هذا الشأن: حيث إن الحق تعالى وهب لي هذا الملك، ينبغي أن يصرف ريع كل تلك الأوقاف والأراضي التي أسبل زرعها في وجهها الصحيح، وألا يصرف قطعا في الإنفاق على الجيش والديوان. ثم صرح قائلا: إن هذه المملكة تحت تصرفنا الآن. وعندما نعود ... سوف نترك جيشا مجهزا تماما للمحافظة عليها، وإن نية الخير التي كنت قد أقدمت عليها، يجب أن تخرج إلى حيز التنفيذ.

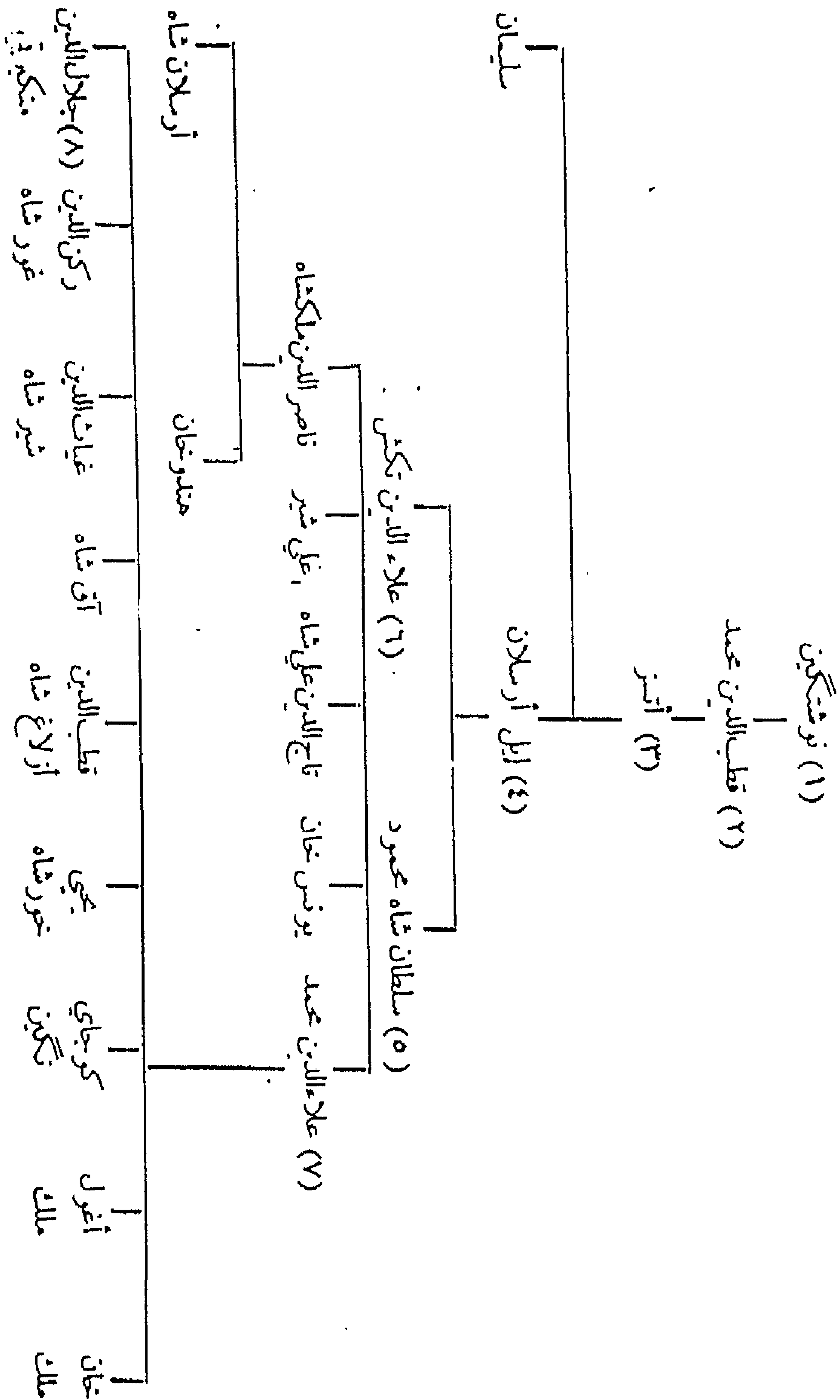
ثم أصدر فرمانا فيما يتعلق بأبواب البر هذه. وقد نذر في هذه البلاد أن يصرف مبلغ عشرين تومانا من الأموال من ريع أملاكه الخاصة، وذلك على سبيل الإدرار والوقف والصدقة والإنعام على جماعة من الأمراء والزعماء والشرفاء والأثرياء والفقراء والجند الذين يجتمعون كل عام في مجلس الشورى (القوريلتاى).

وبعد عودته وفى بذلك النذر، وخلع على كل طائفة وجماعة – على قدر مراتبهم – خلعا كانت عبارة عن أحزمة مرصعة وغير مرصعة وملابس متنوعة. ونذر أيضا عشرين تومانا ذهبيا على سبيل الإدرارات والصدقات. ولا تزال هذه الصدقات تصرف حتى الآن وتنفذ في كل ولاية سنة بعد أخرى. وفضلا عن ذلك أمر بأن يستقطع من كل الأموال التي يؤتى بها إلى الخزانة دينار واحد من كل عشرة دنانير، وثوب من كل عشرة أثواب وعشر من كل صنف من الأصناف الأخرى. ثم تودع هذه الأموال لدى المشرفين على القصر الذى يعين لهذه المهمة، وليكون خازنا لتلك الأموال، ويتولى توصيلها دائما إلى الفقراء والمستحقين. أما الشخص غير المستحق، فلا يعطيه شيئا منها، وتعاد إلى الخزانة الأصلية. وأمر أيضا بأن ترسل في كل عام الستائر والشمعدانات والقناديل إلى الأضرحة المباركة. وكان السلطان يسر دائما إلى الحق تعالى بحاجته، وهو متأكد – دون أدنى شك – من أن حاجاته مقضية لدى الحضرة الإلهية بفضل الخيرات والصدقات والنذور. ولا يضيع أجر ذلك أبدا، ولا شك أن أى مخلوق لم ير في أى عصر، ومن أى سلطان مثل هذه الخيرات الكثيرة والمبرات والإنعامات والإدرارات والصدقات الجارية.

فليمنح الحق جل وعلا هذا السلطان العادل الكريم مزيدا من التوفيق على هذه

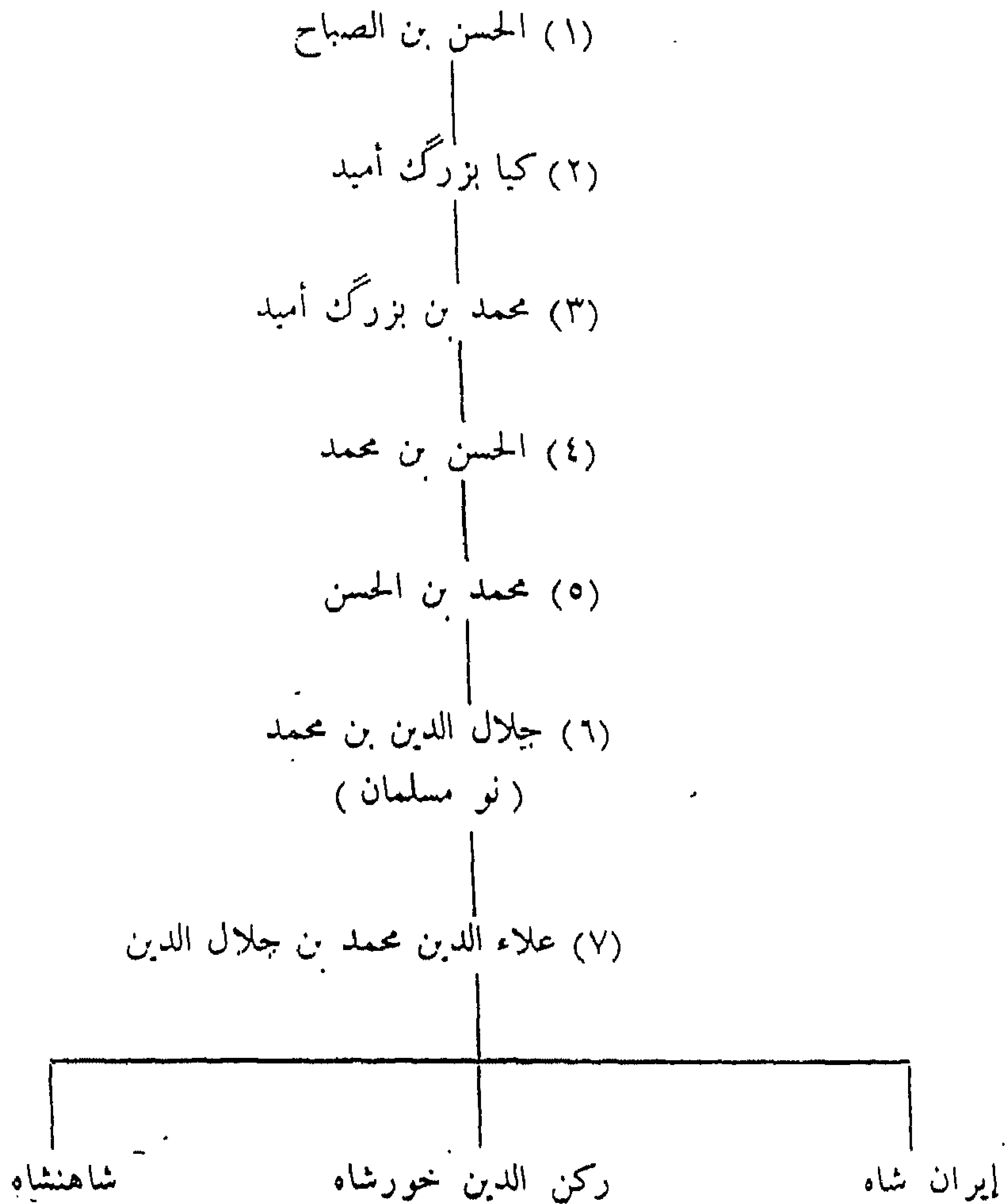
رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص٢٥٢.

سلاطين خوارزم



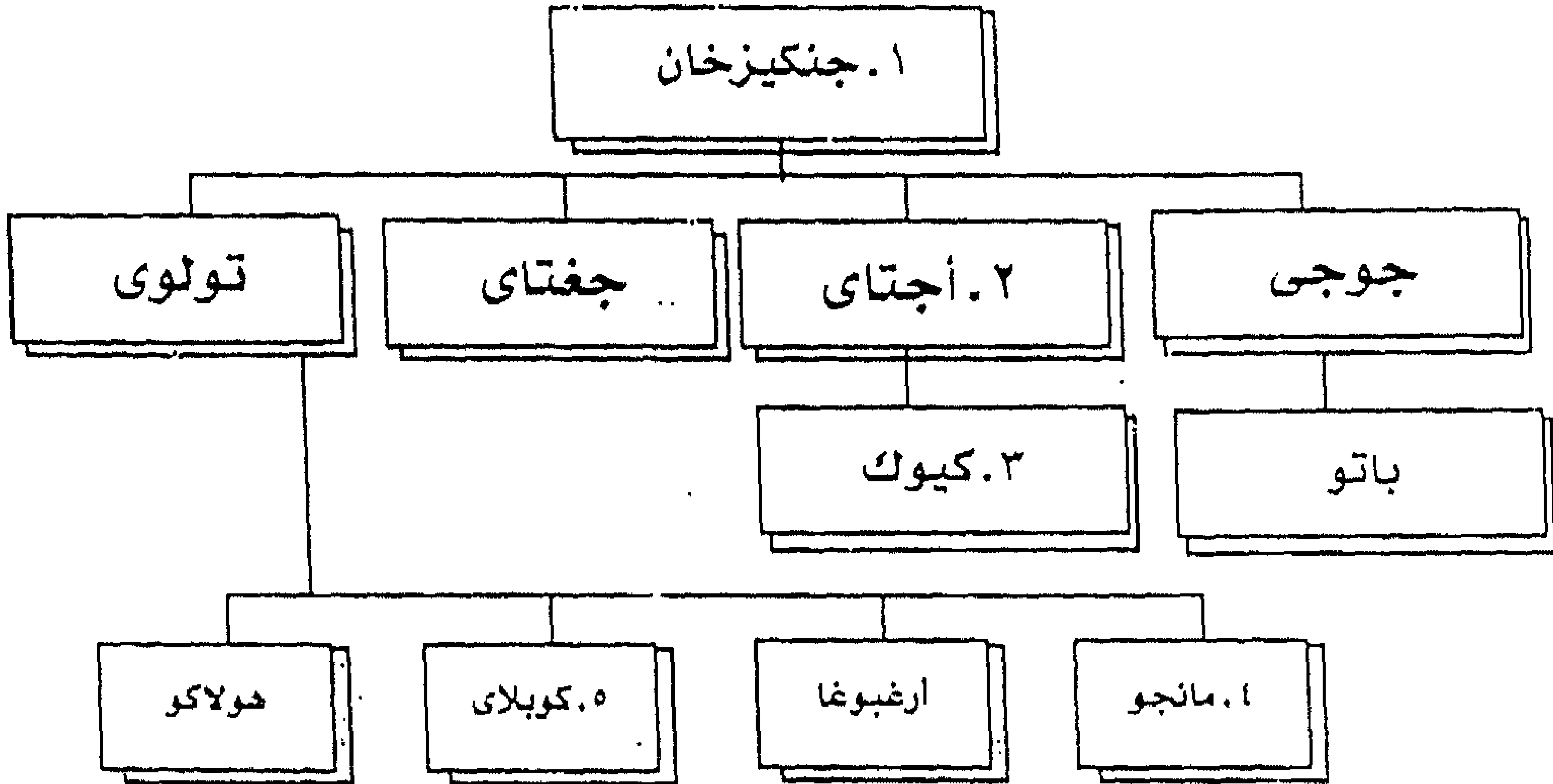
فؤاد الصياد :المغول في التاريخ ،ص٣٨٣.

حكام الاسماعيلية في ايران



فؤاد الصياد :المغول في التاريخ ،ص٣٩١.

١٩/٢ خانات المغول منذ جنكيزخان حتى كوبلاى خان(١)



١ ـ جنكيزخان : ٦٠٣ - ٦٢٤ هـ = ١٢٠٦ - ١٢٢٧ م.
٢ ـ أجتاى : ٦٢٤ - ٦٣٩ هـ ١٢٢٧ - ١٢٤١ م.
٦٣٩ - ٦٤٤ هـ = ١٢٤١ - ١٢٤٦ م.
حكم تركينا Turakina أرملة أجتاى.
٣ ـ كيوك : ٦٤٤ - ٦٤٦ هـ = ١٢٤٦ - ١٢٤٨ م.
٤ - مانجو : ٦٤٦ - ٦٥٨ هـ = ١٢٤٨ - ١٢٥٩م.(*)
٥ ـ كوبلاى : ٦٥٨ - ٦٩٥ هـ = ١٢٥٩ ١٢٩٥ م.

---

(١) يلاحظ أن خانات المغول كانوا يتولون الحكم في الفترة التى نتحدث عنها بطريق الانتخاب لا بطريق الوراثة؛ ولذا كانت تمر فترة من الوقت قبل أن يجتمع كبار القواد والأمراء المغول المنتشرون فى أطراف الإمبراطورية المغولية لانتخاب الخاقان الجديد. فإذا ما تكامل عددهم أجريت عملية الانتخاب فى مجلس عام يعقد لهذا الغرض يسمى الكورلتاى (القورلتاى) Kuriltai . وقد درجنا فى الجدول نسبق على اعتبار الفترة التى تمر بين وفاة الخاقان وانتخاب الخاقان الجديد ضمن حكم ثانيهما. ويمكننا ترتيب هذ الجدول حسب تاريخ انتخبهم، وعلى هذا الأساس يرتب كما يأتى:
١ ـ جنكيزخان : ٦٠٣ - ٦٢٤ هـ = ١٢٠٦ - ١٢٢٧ م.
٢ ـ أجتاى : ٦٢٦ - ٦٣٩ هـ = ١٢٢٩ - ١٢٤١ م.
٣ ـ كيوك : ٦٤٤ - ٦٠٠ هـ = ١٢٤٦ - ١٢٤٨ م.
٤ ـ مانجو : ٦٤٩ - ٦٥٨ = ١٢٥ - ١٢٥٩ م.
٥ ـ كوبلاى : ٦٥٩ - ٦٩٥ هـ = ١٢٦٠ - ١٢٩٥م.

حافظ أحمد حمدي :الشرق الإسلامي ،ص١٦٠.

٢٧ - موتوكن . . . . ٨٥٧ هـ

٢٨ - مانداغول ٨٦٢

٢٩ - دايان خان ٨٧٥

القبائل منقسمة :

تودي ٩٥١

قودانغ ٩٦٤

ساساقتو ٩٦٤

سيجن ١٠٠١

ليغدان ١٠١٣

[illegible] ١٠٤٣

٢٣٠ - إيلخانات فارس

(بنو هولاكو)

١ - هولاكو [1]		سنة ٦٥٤ هـ
٢ - آباقا ، (توفي في ٢٠ ذي الحجة سنة ٦٨٠)	ربيع الثاني	٦٦٣
٣ أحمد تكودار [2]	ذو الحجة	٦٨٠
٤ - أرغون ، (توفي في ٧ ربيع الأول سنة ٦٩٠)		٢٧ جمادى الأولى ٦٨٣
٥ - كيخاتو ، (إرينچين تورجى) [4]	ربيع الأول	٦٩٠
٦ بايدو [5]	جمادى الآخرة	٦٩٤
٧ - غازان محمود [6]	ذو الحجة	٦٩٤
٨ - أولجايتو خدابنده محمد [7]	شوال	٧٠٣
٩ - أبو سعيد [8] بهادر	منتهى شوال	٧١٦
١٠ - آربا كاون (معز الدين)		٧٣٦
١١ - موسى		٧٣٦

المتنافسون :

١٢ - محمد	وفاة سعيد قبيلة الجلائري	٧٣٦ — ٧٣٨
١٣ - طغاتيمور [9]		٧٣٨ — ٧٥٢
١٤ - جهان تيمور		٧٣٩ — ٧٤١

(١) استولى على بغداد في ٢٨ المحرم سنة ٦٥٦ ، توفي في ١٩ ربيع الثاني سنة ٦٦٣

(٢) [illegible] في ٣ رمضان سنة ٦٦٣

(٣) اغتاله أرغون في ٢٦ جمادى سنة ٦٨٣

(٤) كان بوذيا . أصدر في سنة ٦٩٣ عملة ورقية اسمها (چاو) .

(٥) قتله غازان في ١٣ ذي القعدة سنة ٦٩٤

(٦) كان بوذيا ثم اعتنق الإسلام عند اعتلائه العرش ، وقد استحدث تقويما جديدا اسمه التقويم الإيلخاني يبدأ من ١٣ رجب سنة ٧٠١

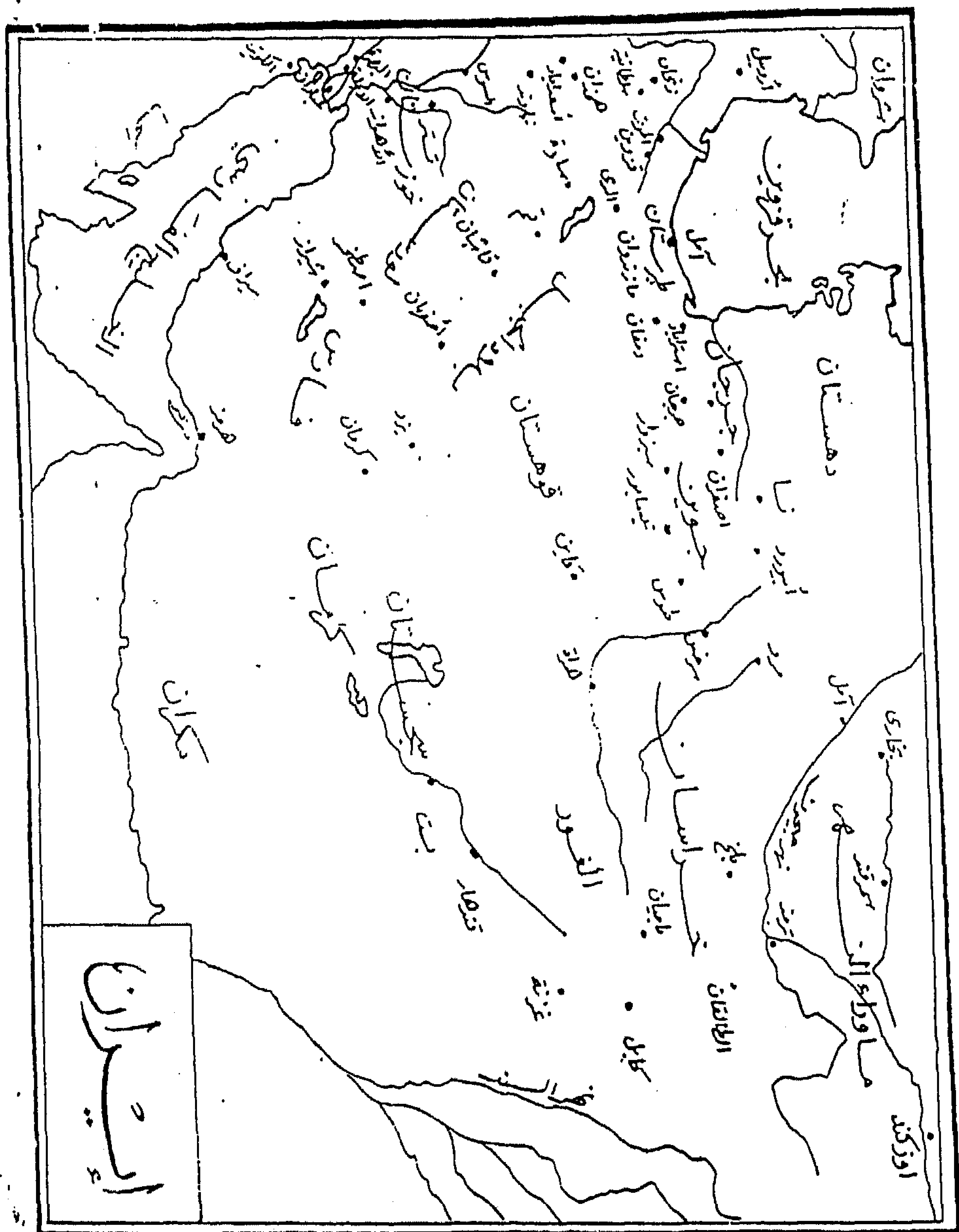
(١٤ مارس سنة ١٣٠٢) ، [illegible] توفي في شوال سنة ٧٠٣

(٧) توفي في ٣٠ رمضان سنة ٧١٦

(٨) [illegible] سنة ٧١٦ [illegible] سنة ٧١٦ إلى ٧٢٧ ، توفي في ١٣ ربيع الآخر سنة ٧٣٦

(٩) [illegible] سنة ٧٣٢ ، توفي سنة ٧٥٤

زامباور :معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، أخرجه زكي محمد حسن بك مطبعة فؤاد الأول ،القاهرة ،ج٢ ،١٩٥٢م،ص٣٦٢.



فؤاد الصياد :المغول في التاريخ ،ص٣٩٦.

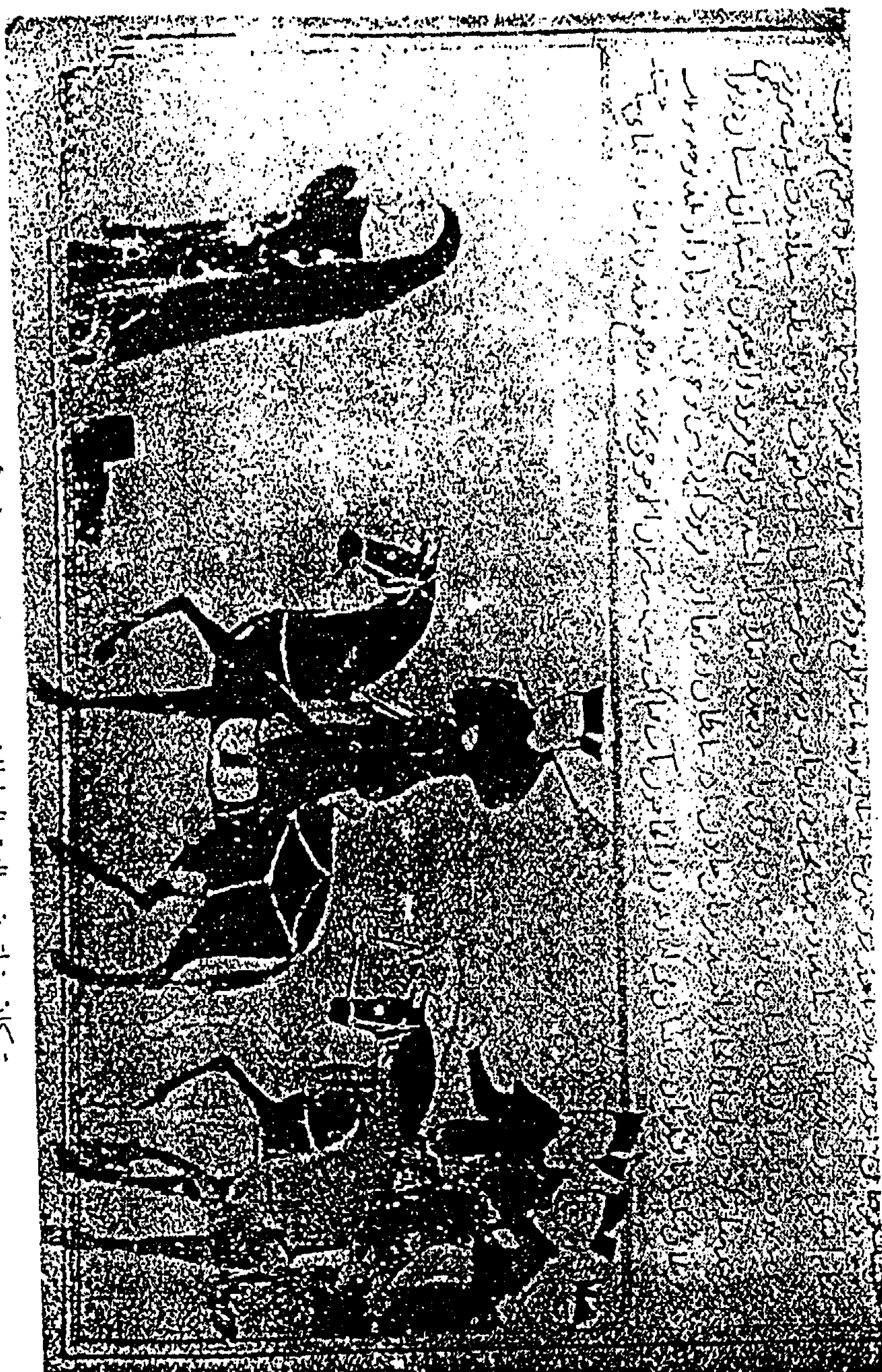
شوقي أبوخليل :أطلس التاريخ العربي والإسلامي ،دار الفكر ،دمشق ،٢٠٠٥م،ص٦٥.

شوقي أبوخليل :أطلس التاريخ العربي والإسلامي ،ص٦٦.



محاربة السلطان جلال الدين للكرج

فؤاد الصياد :المغول في التاريخ ،ص ٤٠٧.



تركان خاتون والدة السلطان محمد خوارزمشاه في أسر المغول

فؤاد الصياد :المغول في التاريخ ،ص٤٠٨.



انعقاد القوريلتاى لانتخاب منكو خاناً أعظم للمغول-

فؤاد الصياد :المغول في التاريخ ،ص٤٠٩



(أعلى الصورة) أبناء تولوي الثلاثة
منكو – توبيلاي – هولا كو

فؤاد الصياد: المغول في التاريخ، ص٤١٥.



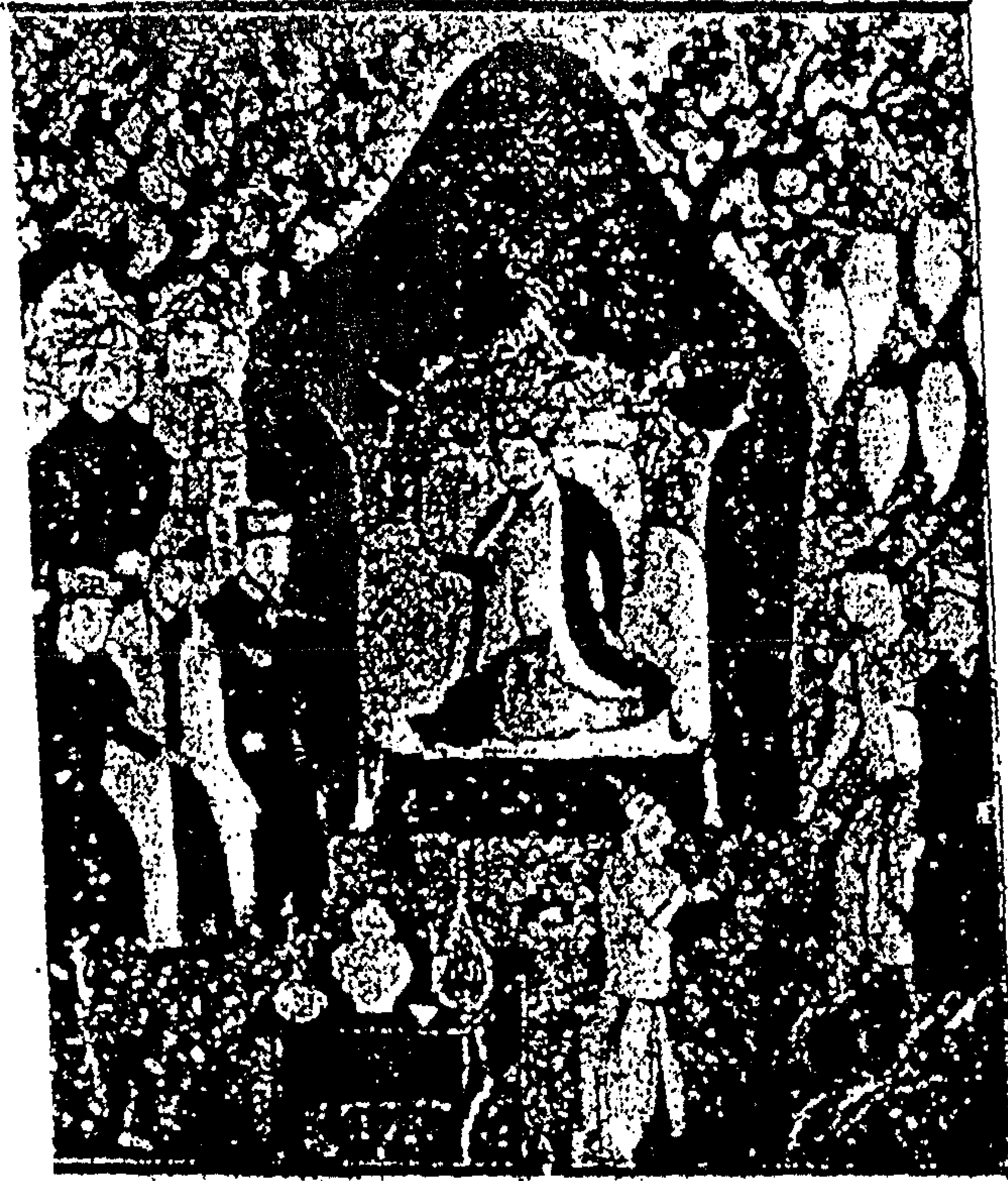
حفل تولية أوكتاي قا آن
عرش المغول

حافظ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص ٢١٤.



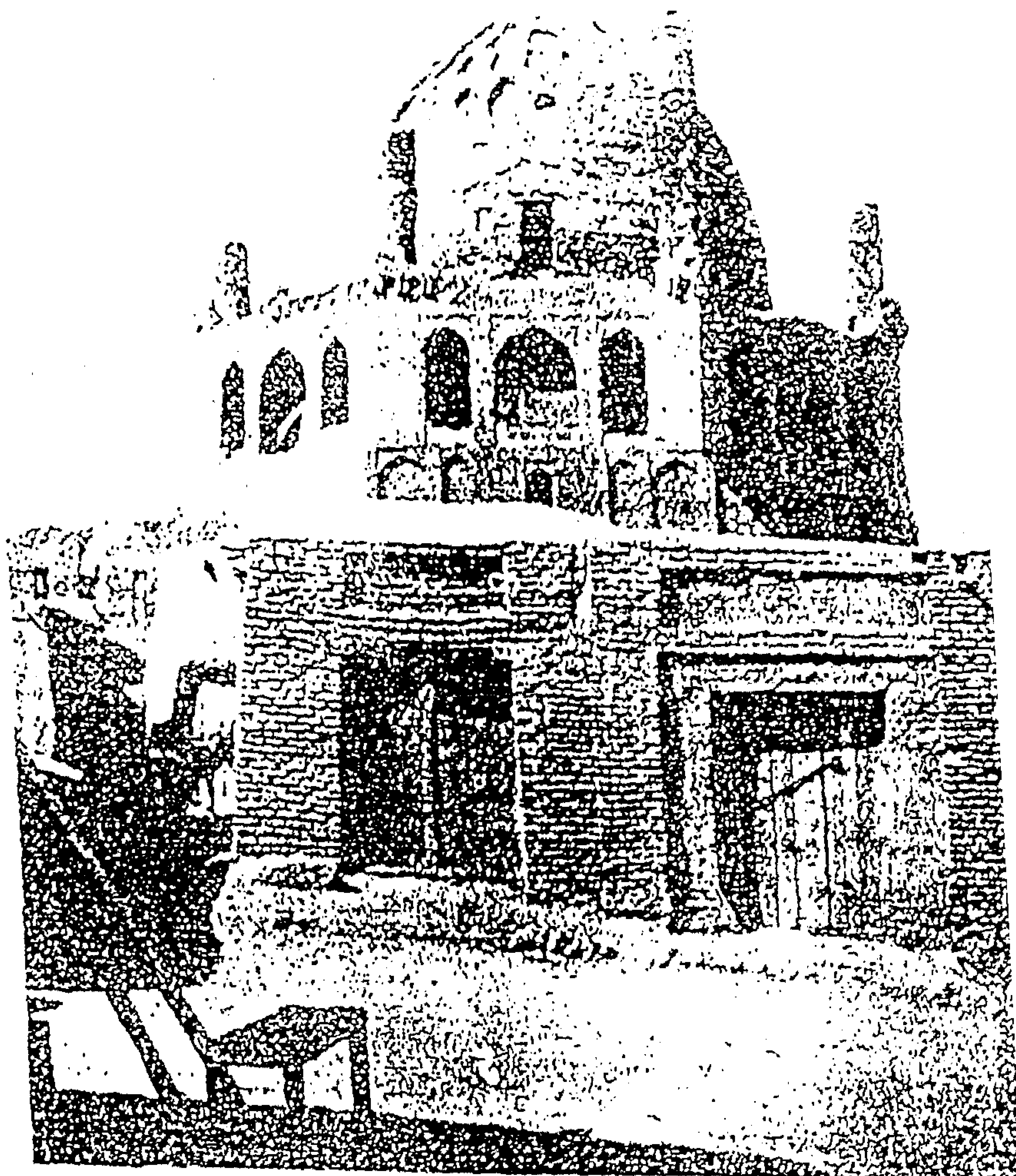
منظر لمعركة لجيوش المغول فى مخطوط من كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين يرجع إلى نهاية القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ومحفوظ فى المكتبة الأهلية بباريس .

حافظ حمدي :الدولة الخوارزمية ،ص٢٤٧.



رسم يمثل اجتماع زعماء المغول للمناداة بجنكيزخان خاقانا عليهم .
في مخطوط من كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين .

حافظ حمدي : الدولة الخوارزمية ،ص١٣١.



بازمانده مقبره و سلطان محمد خدابنده مغول » در شهر «سلطانیه»

أطلال بقايا مقبرة السلطان المغولي محمد خدابنده في مدينة السلطانية

حبيب الله شاملوئي، تاريخ ايران، ص ٣٠١.

إسلام غازان وكيف تمّ ذلك

كان غازان المبارك النظر الميمون المقدم يتشاور مع الأمراء فى تدبير القضاء على الأعداء وقهرهم وقمعهم، وبأية وسيلة يمكن ذلك حتى يصبح الخصم قرينًا للبوار ومقضيًا عليه بالفناء. وكان كل أمير يدلى بدلوه فى هذا الشأن بقدر وسعه وطاعته. وبحكم أن الأمير نوروز سبق أن قدّم هدية لغازان – إجلالاً وتعظيمًا – عرض على رأى السلطان ملجأ العالم قائلاً:

(شعر فارسى، ترجمته)

هكذا قال: أيها الملك السعيد المقدم

بعدئذ يصير الجو ربيعًا فى شهر "ردى"[١].

فلتبق دائمًا موفقًا فى العالم

وليكن هذا العالم مثلى عبدًا مطيعًا لك

لقد أثر عن علماء الإسلام والمنجمين وأرباب التقويم أنه سوف يظهر خلال سنة ستمائة وتسعين هجرية (١٢٩١م) سلطان عظيم يكون ظهيرًا للدين الإسلامى، فيصير الإسلام – بفضل رعايته وعنايته – ناضرًا مزدهرًا بعد أن كان مندرسًا. وبسبب عدل هذا السلطان فى ملكه تصير الشاه آمنة ومستريحة من بطش الذئب، ويتخلص الغزال من جور الفهد. ولشمول إنصافه تسلم الصعوة[٢] الضعيفة من صلابة الصقر، وينجو (القبج) من شوكته ومهابته ويظل التاج وعرش الملك لسنوات عديدة فى مكانهما اللائق بهما. وأحيانًا كان يجول بخاطر العبد أن يكون ذلك العاهل هو غازان خان إذ أن أمارات هذه العلامات ومخايل هذه الشمائل تبدو فى صورة الحال وصفحة آثار الجبين المبين للأمير النجل المانح الدر.

---

(١) ردى: الشهر العاشر فى السنة الإيرانية. فيه يشتد البرد، وهو يقابل شهر ديسمبر وأيامًا من شهر يناير فى السنة الميلادية.

(٢) الصعوة والصعوة واحد، وهو طائر صغير احمر الرأس.

رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غازان ،ص٤١٤ -

وإنه لظاهر وواضح أنه لو تقلد الأمير النجل قلادة الإسلام، والتزم عقائد الإيمان وطرائقه، فلا بد وأن يكون ممثلاً لأولى الأمر فى عهده فيمنح رعاياه المسلمين – الذين ظلوا قابعين فى حضيض المذلة وهبوط الوبال – نشو الإيمان ونماء الرعاية؛ حتى يتيسر لهم بعد ذلك نصر الموالى وقهر الأعداء عن طريق نشر الدين وبسط العدل بعد بذل الطاعة التى لا مفر منها، والتى تكون فى الأعماق فرض عين، بل عين فرض. ويصير جميع المسلمين مريدين ومحبين. وبسبب صدقه وإخلاص همته وتوجه القلوب إليه ينصره الحق سبحانه وتعالى. وإن الدين الإسلامى الذى اندرس وانطوى بسبب تغلب كفار التتار واستيلاء الظالمين والفاسقين ليحيا بيمن تقوية الأمير النجل.

وحيث إن الحق سبحانه وتعالى كان قد زين وأنار فى الأزل قلب الأمير النجل بنور التوحيد، وصارت ذاته الشريفة مخزن أسرار القدس وحاملة المعرفة، وطلع عليه صبح السعادة الأبدية، ورفع عن بصيرته غشاوة العيوب والريب – أثر فى قلبه المبارك كلام نوروز المعقول، وتفتحت زهرة قلبه لحديثه، وظهرت "يد موسى البيضاء من جيب الغيب"، وأزال عن عينه وأذنه حجاب الظلمة وغطاء الغفلة، واختار النور بدلاً من الظلمة، فقال: إن حديث هذا الداعية وشعشعة هذا الباحث كانا نصب عينى وضميرى إذ كيف يقتضى العقل أن يسجد رجل عاقل لجماد مصنوع موضوع على الأرض ولا يتوسل إليه مباشرة، بل يستمد الهمة من شخص آخر يرمز إليه بهذا الصنم. وإن الخضوع أمام جماد وشروط لثمه ومراسم تقبيله لأمر مستنكف.

وإذن فعبادة الأصنام والسجود للأوثان كلاهما أمر فى غاية الضلالة والجهالة ومادة للاحتقار والاستهزاء. وإن الدين الإسلامى هو زبدة جملة الأديان وخلاصة النواميس الإلهية؛ لكن العلائق والعوائق المتواترة والمتوالية كانت حائلة دون هداية نور الإيمان. وحيثما يوجد الماء قريبًا لا تدعو الحاجة إلى حبل طويل.

وهكذا صار اقتراح نوروز مسموعًا ومقبولاً. ثم طلب إحضار قطعة اللعل التى كان قد أودعها خزائنه. وفى اليوم الرابع من شعبان سنة أربع وتسعين وستمائة (١٢٩٤م)، فى جوسق كان يوجد فيه عرش أرغون "بمرغزار لار دوماند" أعدوا حفلاً كبيرًا. ثم اغتسل الأمير النجل وفق الشريعة الإسلامية، ولبس ملابس نظيفة. بعد ذلك صعد فوق قصر مرتفع

رشيد الدين الهمذانى: تاريخ غازان، ص٧٥.

ووقف على درجة العرش، مظهرًا الخضوع لحضرة المربى. ثم لقنه كلمة الشهادة الشيخ "صدر الدين إبراهيم" خلف صدق الشيخ صدر الدين حمويه – رحمه الله –.

وهكذا أخذ غازان بعزم صادق ينظم من صميم قلبه الصادق كلمة الإخلاص. وقد ردد عدة مرات كلمة التوحيد بلفظ التكبير.

(بيت من الشعر الفارسى ترجمته)

رفع ذلك الأمير النجل إصبعه
فذكّره بوحدانية الله

وقد أسلم معه جميع الأمراء والجنود، وعددهم يقرب من "مائة ألف مشرك متمرد. ورغم أن اللامات (بخشيان) قد علموه أيام الصبا وزمان الطفولة عبادة الأصنام وتقديس الأوثان، وكان ثابتا وراسخًا فى هذه العقيدة فإنه عندما دخل فى الدين الإسلامى، أصغى بأذن العقل وسمع الرضا إلى أمة الإسلام والدين الحنيف، فاستقر فى سكينة صدره. وكان فى الإخلاص أصدق من أويس وسلمان، وصار الجمع مشغولين بهذه الأفراح والمسرات الكثيرة وإقامة الحفلات والمآدب. وكان كل الأمم من الترك والعجم ينثرون على عرشه المبارك الدراهم والدنانير ونفائس الجواهر ورغائب النفائس. وكانو ينشدون.

(شعر فارسى ترجمته)

ليظل باقيا باقيًا فى ملكك على الاستقرار والدوام...
المال والحال والزمن والفأل والأصل والنسل والحظ والعرش
وليبق المال الوافر والحال الحسن والفأل السعيد والسنة المباركة
وليدم للأصل – ثلاثين نسلاً – الحظ الباسم والعرش المطاع

ثم وقف الأمراء والقواد (نوينان) والأئمة والمشايخ. واقتداء بسلطان الإسلام، وباعتقاد صادق مبرءًا من شوائب الكدر ومصفى من الرياء، دخلت – فى دين الإسلام أفواجًا – طوائف التتار من الأطراف والنواحى والبوادى والضواحى؛ من الكافر والكافرة ابتداء من سن السابعة إلى سن السبعين، وذلك بدافع الرغبة ومحض الاختيار، وشرفوا بتشريف هداية

رشيد الدين الهمذانى: تاريخ غزان، ص١٦٠.

نور الإيمان، ليظل توالدهم وتناسلهم مؤمنين ومؤمنات حتى نفخ الصور، وصار اعتقاد الموحدين بإعجاز أمة محمد وإظهار دين محمد عليه الصلاة والسلام أكثر تثبيتًا. كما صار صدق إخلاص المؤمنين أكثر تأكيدًا.

وفي ذلك اليوم أمر جماعة الأئمة والمشايخ والسادات بالإدرارات والإنعامات والمرتبات والمناصب. كذلك بذل النذور والصدقات في حق الفقراء والمساكين. ثم توجه إلى قبور الأولياء ومزارات "الأبدال"[1]. وكان يطلب بتضرع وابتهال من – حضرة ذي الجلال – القوة للانتقام من الأعداء ودفع الحساد. كذلك أنشأ الخوانق والقبور.

بعد ذلك سيّر – بهذه البشرى – العدائين وسعاة البريد إلى أطراف البلاد وأرجائها وأنحائها. وإن حلاوة هذه السعادة التي هي أصل الحياة وثمرة شجرة التوفيق لخالدة باقية. وهكذا أوصل هذا النبأ إلى سكان الآفاق. فتوجه إلى حضرة غازان من أطراف العراق وخراسان المشايخ والأئمة في خضوع تام. ثم استقبل شهر رمضان وكسر الصيام بدلاً من الأصنام، وكل ليلة كان خلق الكثيرون من التازيك والترك والأمصار يتناولون طعام الإفطار على بساط سماطه.

وهكذا فإن عروة حبل الدين المتين التي كانت قد وجدت الانفصام والانصرام عادت إلى التنظيم والقوة، وصارت همة غازان مقصورة على تأسيس قواعد الدين وتمهيد مباني اليقين، وتقوية أساس الشرع ورعاية قوانين الأصل والفرع. وكانت همته باعثة على التزام طريق الورع ونهمته متجهة إلى العفة والتقوى.

جعل الله سبحانه وتعالى الوجود المبارك لسلطان الإسلام غازان خان – في طوفان الطوارق والحدثان – كفيلاً لمصالح العباد ونجاحهم وسببًا لأمن الخلق وأمانهم

---

(١) الأبدال جمع بدل. وعند المتصوفة أن الحق تعالى جعل الأرض سبعة أقاليم واختار لكل إقليم من عباده الصالحين وليًا فيه يسمى "بدلاً" ليحفظه. وقال إنهم صور روحانية محضة يبدون فيها. وهم أولياء إذا مات أحدهم خلفه غيره فكان بدلاً منه. كما أن حجاب ظلمة الحواس مرفوع عنهم. ولذلك يبدون في شكول مختلفة متباينة، وهم معروفون باستقصاء الورع وتصحيح الإرادة وسلامة الصدر للخلق والنصيحة لهم.

رشيد الدين الهمذاني: تاريخ غازان، ص٢٤٧.

حتى تصان آلاف النفوس الطاهرة من أذى العذاب والخوف من مخالب انتثار الكفار؛ فلا جرم أن صار صيت أيام معدلته وسمعة سوق مكرمته طنين آذان العالم.

وصفوة القول أنه بعد ذلك صارت طاعته واجبة ولازمه على ملوك الإسلام وسلاطينهم بموجب قوله تعالى: ﴿...وأولي الأمر منكم﴾[1].

(١) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ (سورة النساء الآية ٥٩).

رشيد الدين الهمذاني :تاريخ غزان ،ص٤١٨.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المخطوطات

١- رشيد الدين الهمذاني: (فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير بن موفق الدولة ت٧١٨هـ/١٣١٨م) ، تاريخ الغازاني ويسمى "جامع التواريخ"،مخطوط رقم ٢٢٨٨٠ح،دار الكتب المصرية،القاهرة ،ج٣.

٢- ابن الشحنة: (أبو الوليد محمد بن محمد بن محمود الحلبي الحنفي ت٨١٥هـ/١٤١٢م)،روضة المناظر في علم الأوائل والأواخر(تاريخ تيمور)،مخطوط رقم ١٥١١،دار الكتب المصرية ،القاهرة.

ثانياً: المصادر العربية:

٣- القرآن الكريم

٤- ابن الأثير: (أبو الحسن علي بن أبي الكرم , ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ , تحقيق،خيري سعيد , المكتبة التوفيقية , القاهرة .

٥- الإدريسي : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت٥٤٦هـ /١١٥٥م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ,ط١، مكتبة عالم الكتب ،بيروت،١٩٨٩م .

٦- الاصطخري : (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي ت٣٠٩هـ /٩٥١م)، مسالك الممالك , طبع مدينة بريل , ليدن , دار صادر، بيروت ،١٩٣٧ م.

٧- ابن إياس: (محمد بن أحمد , ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣م)، بدائع الزهور قي وقائع الدهور , تحقيق،محمد مصطفى ,ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة.

٨- ابن بطوطة : (محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي أبو عبـد الله , ت ٧٧٩ هـــ / ١٣٧٧م) ، رحلة ابن بطوطة المعروفة بتحفة النظار في غرائب الأمصــار وعجائــب الأسفار ,علق عليه محمد السعيد محمد الزيني ،المكتبة التوفيقية ،القاهرة .

٩- البنداري: (الفتح بن علي ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) ، تاريخ دول آل سـلجوق ,ط٣، دار الآفاق الجديدة , بيروت , ١٩٨٠م.

١٠- ابن تغري بردي :(جمال الدين أبي المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)

أ- الدليل الشافي على المنهل الصافي , تحقيق مهيتم محمد شلتوت , مكتبـة الخـانجي , القاهرة .

ب- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة , الهيئة العامة لقصور الثقافة ,

القاهرة، ٢٠٠٨ م .

ج- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي , ج١، دار الكتب المصرية , القاهرة ,

١٩٥٦،ج٢،ج٣، تحقيق، نبيل محمد عبد العزيز , الهيئة المصرية للكتاب , القـاهرة , ١٩٨٥م.

١١- الجبرتي: (عبد الرحمن حسن , ت؟) ،تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل , بيروت .

١٢- حاجي خليفة : (ت١٠٦٧هـ /١٦٥٦م) ،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنـون , صححه وطبعه محمد شرف الدين يالتقيا , رفعت بيكله الكليسي , وكالة المعارف، ١٩٤١م.

١٣- ابن حجر العسقلاني: (شهاب الدين أحمد ين علي بن محمد بن علي ت ٨٥٢هـــ / ١٤٤٨م)،الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة , دار الجيل ، بيروت،١٩٩٣م.

١٤- الحسيني :(صدر الدين علي بن أبي الفوارس ت ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م) ، زبدة التواريخ تحقيق , محمد نور الدين , دار اقرأ , بيروت , ١٩٨٥م.

١٥- الحميري : (عبد المنعم ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) ،الروض المعطار في خبر الأقطار , تحقيق،إحسان عباس , بيروت ،١٩٧٨م.

١٦- الحنبلي : (أحمد بن ابراهيم ت ٨٧٦هـ / ١٤٧١م) ،شفاء القلوب في مناقب بني أيوب تحقيق،مديحة الشرقاوي , مكتبة الثقافة الدينية القاهرة،١٩٩٦م .

١٧- ابن حوقل :(أبو القاسم بن حوقل النصيبي ت٣٦٧هـ /٩٨٧م) ،صورة الأرض , مكتبة الحياة , بيروت .

١٨- ابن خلدون: (عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المغربي ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)،العبر وديوان المبتدأ والخبر , تقديم عبادة كحيلة , الهيئة العامة لقصور الثقافة , القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٩- الدواداري : (ابن أيبك أبو بكر بن عبد الله ت ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)

أ- كنز الدرر وجامع الغرر"الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية ",تحقيق:أولرخ هارمان، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني , القاهرة،١٩٧١م ،ج٨.

ب- كنز الدرر وجامع الغرر"الدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر"،تحقيق:هانس روبرت رويمر، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني ,القاهرة،ج٩.

٢٠ – الدواداري : (بيبرس المنصوري , ركن الدين بن عبد الله ت ٧٢٥هـ /١٣٢٤م)

أ- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة , تحقيق زبيدة محمد عطا أمين ,عين للدراسات والبحوث , القاهرة, ١٩٩٥م.

ب- التحفة المملوكية في تاريخ الدولة التركية ،نشره وصحح فهارسه:عبد الحميد صالح حمدان ،ط١،الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة ،.١٩٨٧

٢١- الديار البكري : (حسين بن محمد بن الحسن ت ٩٩٠ هـ م ١٥٨٢م) ،تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس , مؤسسة شعبان للنشر , بيروت .

٢٢- الذهبي: (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)

أ- تاريخ دول الإسلام ,ط١، دار صادر، بيروت ،١٩٩٩م .

ب- .... العبر في خبر من غبر ،تحقيق،صلاح الدين المنجد ،الكويت ،١٩٨٤م.

٢٣- الرمزي : (م . م)، تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار ،علق عليه ابراهيم شمس الدين ,ط١، دار الكتب العلمية , بيروت، ٢٠٠٣ م.

٢٤- ابن الساعي : (أبي طالب علي بن أنجب تاج الدين ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م)، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير،تعليق، مصطفى جواد ،المطبعة السريانية الكاثوليكية ،بغداد ،١٩٣٤م.

٢٥- السبكي : (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م) ،طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو،محمود محمد الطناحي، ،ط١،مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤.

٢٦- السيوطي: (عبد الرحمن بن أبي بكر , ت ٩١١هـــ / ١٥٠٥م)

أ- تاريخ الخلفاء ,تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد , دار الجيل , بيروت .

ب- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة , تحقيق , محمد أبو الفضل ابراهيم , دار الفكر العربي , القاهرة.

٢٧- الشهرستاني: (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر ت ٥٤٨هـ / ١٢٥٠م) ،الملل والنحل , تحقيق أمير مهنا , دار المعرفة ، بيروت .

٢٨- الشوكاني: (محمد بن علي ت ١٢٥٠ هـــ / ١٨١٤م)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ,تحقيق:حسين بن عبد الله العمري ،ط١،دار الفكر ،دمشق،١٩٩٨م.

٢٩- الصفدي: (صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـــ / ١٣٦٢م)،الوافي بالوفيات ,ط٢، دار صادر، بيروت ،١٩٨٢.

٣٠- ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقي: (محمد بن علي ت ٧٠٩هـــ / ١٣٠٩م)

الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية , راجعه محمد عوض إبراهيم بـــك , دار المعارف , القاهرة .

٣١- الطوسي:(نصير الدين ت ٦٧٢هـــ / ١٢٧٣م)، رسالة في قواعد العقائـــد , تحقيـــق، علي حسن حازم , دار الغربة , لبنان , ١٩٩٢م

٣٢- ابن العبري :(غريغورس أبي الفرج هارون الملطي , ت ٦٨٥هـــ / ١٢٨٦م)

أ- تاريخ مختصر الدول , تصحيح الأب أنطوان صالحاني اليسوعي , دار الرائد اللبنـــاني , بيروت , ١٩٨٣ م.

ب- تاريخ الزمان , ترجمة الأب اسحق أرملة , دا رالمشرق بيروت ، ١٩٨٦ م.

٣٣- العكري الدمشقي(عبد الحي بن أحمد،ت) ، شذرات الذهب في أخبار مـــن ذهـــب،دار الكتب العلمية ، بيروت، د.ت.

٣٤- ابن العماد الحنبلي: (أبو الفلاح عبد الحي ت ٤٥٢هـــ / ١٠٨٩م) ،شذرات الـــذهب في أخبار من ذهب , مكتبة القدسي , القاهرة , ١٣٥١هـــ.

٣٥- العيني: (بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد ت٨٥٥هـــ / ١٤٥١م) ،عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان , تحقيق محمد محمد أمين , الهيئـــة المصـــرية القـــاهرة ,ج٣ ١٩٨٩م،ج٤،١٩٩٢.

٣٦- الغزالي : (أبو حامد ت ٥٠٥هـــ /١١١٢م) ،فضائح الباطنية ,راجعـــه محمـــد علـــي القطب ،المكتبة العصرية , بيروت , ٢٠٠١م.

٣٧- أبو الفدا : (الملك المؤيد عماد الدين ت ٧٣٢هـــ / ١٣٣١م) ،المختصر في أخبـــار البشر مكتبة المتنبي , القاهرة .

٣٨- ابن الفرات : (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ت٨٠٧هـــ /١٤٠٤م)،تـــاريخ ابـــن الفرات , تحقيق , قسطنطين زريق , المطبعة الأمريكانية , بيروت ،١٩٤٢م

٣٩- ابن الفوطي: (عبد الرزاق أحمد بن محمد بن أحمد الصابوني ت٧٢٣هـــ/١٣٢٣م).

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة , بغداد ,١٩٣٢م.

٤٠- القرماني: (أبو العباس أحمد بن يوسف ت١٠١٩هـ / ١٦١٠م)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ , تحقيق , أحمد حطيط , فهمي سعد ,ط١، عالم الكتب , بيروت ١٩٩٢م .

٤١- القلقشندي: (أحمد بن عبد الله ت ٨٢١هـ / ١٤١٩م) ،صبح الأعشى في صناعة الإنشا , تعليق , محمد حسين شمس الدين ,ط١، دار الكتب العلمية , بيروت , ١٩٨٧م.

٤٢- ابن شاكر الكتبي: (محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن ,ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)
أ- فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق:إحسان عباس،دار صادر ،بيروت.

ب- عيون التواريخ ،تحقيق:فيصل السامر،نبيلة عبد المنعم داود،منشورات وزارة الثقافة،العراق،.١٩٨٤

٤٣-ابن كثير: (اسماعيل بن عمر ,ت ٧٧٤ هـ /, ١٣٧٢م) ،البداية والنهاية , تحقيق عماد زكي البارودي , خيري سعيد , المكتبة التوفيقية ، القاهرة.

٤٤- ماركو بولو: (ت٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، رحلات ماركو بولو , ترجمه للعربية عبد العزيز جاويد , مكتبة الأسرة , القاهرة ٢٠٠٤م .

٤٥- المدائني: (ابن أبي الحديد , ت٦٠٦هـ/١٢٥٨م) ،حملات الغزو المغولي للشرق , ٥٨٩-٦٥٦هـ / ١١٩٠- ١٢٥٨م" فصل على شرح نهج البلاغة" , ترجمة مختار جبلي , دار لارماتون , باريس، ١٩٩٥م.

٤٦- المقريزي : (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي , ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)،السلوك لمعرفة دول الملوك , نشره:محمد مصطفى زيادة، , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر , ١٩٣٩م .

٤٧- النسوي: (نور الدين محمد بن احمد بن علي بن محمد,ت؟)،سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي , تحقيق: حافظ أحمد حمدي , دار الفكر العربي , القاهرة ١٩٥٣م.

٤٨- النوبختي: (أبو محمد الحسن بن موسى ت أوائل القرن الرابع الهجري)، فرق الشيعة , المطبعة الحيدرية , النجف , ١٩٣٦م

٤٩- النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب , ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م)،نهاية الأرب في فنون الأدب , تحقيق سعيد عاشور , الهيئة المصرية للكتاب , القاهرة ١٩٥٣م.

٥٠- ياقوت الحموي : (شهاب الدين أبي عبد الله ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)،معجم البلدان , دار الفكر، بيروت.

٥١ى- اليونيني: (قطب الدين أبي موسى بن محمد ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م)، ذيل مرآة الزمان مطبعة مجلس , دائرة المعارف العثمانية , حيدر آباد الدكن،ج١،١٩٥٤م، ج٢،ج٤،١٩٦٠م.

ثالثاً:المراجع العربية والمعربة:

١- أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام , مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية .

٢- أحمد محمود الساداتي ، تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها , دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩م.

٣- أحمد السعيد سليمان ، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة , دار المعارف , مصر , ١٩٦٩م.

٤- أحمد شلبي ، أديان الهند الكبرى , مكتبة النهضة المصرية , القاهرة , ١٩٨٤م.

٥- .... : موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية , مكتبة النهضة المصرية , القاهرة، ١٩٧٧م.

٦- اسماعيل عبد العزيز الخالدي ،العالم الإسلامي والغزو المغولي , مكتبة الفلاح , الكويت ١٩٨٤م.

٧- اكتمال اسماعيل، الآثار الاقتصادية والاجتماعية للحملات المغولية , دار مؤسسة علاء الدين , دمشق،د.ت .

٨- بارتولد ، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي , نقله من الروسية صلاح الدين عثمان هاشم ,ط١، الكويت , ١٩٨١م.

٩- بطروشوفسكي ، الإسلام في إيران , ترجمة , السباعي محمد السباعي , دار الثقافة , القاهرة،د.ت .

١٠- براون، تاريخ الأدب في إيران (من الفردوسي إلى السعدي)،ج٢،د.ت.

١١- ......: تاريخ الأدب في إيران (من السعدي إلى الجامى)،نقله إلى العربية :محمد علاء الدين منصور ،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ، ٢٠٠٥م ،ج٣.

١٢- برنارد لويس : الاسلام في التاريخ , ترجمة مدحت طه , تقديم أحمد كمال الدين أبو المجد ,ط١، المجلس الأعلى للثقافة , القاهرة ٢٠٠٣م.

١٣- برتولد شبولر : العالم الاسلامي في العصر المغولي , ترجمة خالد أسعد عيسى , دار إحسان ,دمشق , ١٩٨٢م .

١٤- جعفر حسين خصباك : العراق في عهد المغول الايلخانيين , مطبعة العاني , بغداد , ١٩٦٨م .

١٥- جفري بارندر : المعتقدات الدينية لدى الشعوب , ترجمة إمام عبد الفتاح إمام , سلسلة المعرفة , الكويت , ١٩٩٣م.

١٦- حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول , دار الفكر , القاهرة , ١٩٤٩م.

١٧- .... : الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ,ط١، دار الفكر العربي , القاهرة , ٢٠٠٠م.

١٨- حامد زيان غانم :العلماء بين الحرب والسياسة ،دار نشر الثقافة ،القاهرة ،١٩٧٨م.

١٩- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي , مكتبة النهضة المصرية , القاهرة .

٢٠- حسن الأمين : الاسماعليون والمغول ونصير الدين الطوسي ,ط١، الغدير , لبنان , ١٩٩٧م.

٢١- ....: المغول بين الوثنية والنصرانية والاسلام , دار المعارف للمطبوعات , بيروت، ١٩٩٣م.

٢٢- حسن الباشا :الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ،النهضة العربية ،القاهرة ،١٩٧٨م.

٢٣- دونالدولبر، إيران ماضيها وحاضرها , ترجمة عبد النعيم محمد حسين , ابراهيم أمين الشواربي , القاهرة , ١٩٥٨م.

٢٤- رجب محمد عبد الحليم ،انتشار الاسلام بين المغول , دار النهضة العربية , بيروت.

٢٥- زامباور،معجم الأنساب و الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه زكي محمد حسن بك، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة، ١٩٥٢م.

٢٦- سعد بن حذيفة الغامدي ، سقوط الدولة العباسية , ودور الشيعة بين الحقيقة والاتهام ,ط٣، دار ابن حذيفة , الرياض , ٢٠٠٤ م.

٢٧- .... ، المجتمع المغولي ,ط١، الرياض , ١٩٩٩م .

٢٨- سعيد نفيسي ،الأجزاء المفقودة من تاريخ البيهقي ،ترجمة: محمد حسن العمادي ،مكتبة الثقافة ،القاهرة ،٢٠٠٨م.

٢٩- سليمان الدخيل، الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، تقديم ،محمد زينهم محمد عزب،ط١،دار الآفاق العربية ،القاهرة،٢٠٠٣م.

٣٠- سهيل زكار : تاريخ الدولة العربية في العصر العباسي الثاني , ط٤،منشورات جامعة دمشق , سورية ١٩٩٨ م .

٣١- .... : الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية , دمشق , ٢٠٠٤م .

٣٢-السيد الباز العريني : المغول , دار النهضة العربية , بيروت , ١٩٦٧م.

٣٣- السيد عبد الرزاق الحسن ،العراق قديماً وحديثا ،د.ت .

٣٤ – شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون ,ط١، دار العلم للملايين بيروت , ١٩٩٣م ,.

٣٥- شكران خربوطلي ، سطور منسية في تاريخ الحجاز , ط١،مؤسسة علاء الدين , دمشق , ٢٠٠٥م.

٣٦- شعبان ربيع طرطور، من أعلام الشعر والنثر الفارسي في العصرين التيموري والمغولي , ١٩٩٥م.

٣٧- ....موجز تاريخ إيران في العصر المغولي , القاهرة , ١٩٩٧م.

٣٨- شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ الإسلامي ،دار الفكر ،دمشق ،٢٠٠٥م.

٣٩- صبري عبد الطيف سليم، الأتراك الخوارزميون في الشـــرق الأدنـــى الاسلامي , مكتبة الثقافة العربية , القاهرة , ٢٠٠٠م.

٤٠- .... :الصراع السياسي والمذهبي بين الشيعة والسنة في عصر سيطرة إيلخانات المغول في إيران،رسالة دكتوراة ،كلية دار العلوم ،القـــاهرة ،١٩٩٦م.

٤١- طه ندا ، فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية , دار النهضة العربية , بيروت ،د.ت.

٤٢- عادل اسماعيل محمد هلال ، العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها علـــى العالم الإسلامي , عين للدراسات والبحوث الإسلامية ,ط١، القاهرة , ١٩٩٧م.

٤٣- عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين , مطبعة بغداد , ١٩٣٥م.

٤٤- عبد السلام عبد العزيز فهمي ، تاريخ الدولة المغولية في إيـــران , دار المعارف , القاهرة , ١٩٨١م.

٤٥- عصام عبد الرؤوف الفقي ، الدول الإسلامية المستقلة قي الشـــرق , دار الفكر العربي , القاهرة , ١٩٨٢م.

٤٦-عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين , دار احياء التراث العربي , بيروت .

٤٦- علي حسني الخربوطلي ،بين المغول واليهود ،المجلس الأعلى للثقافـــة ،القاهرة ،١٩٦٩م.

٤٧- فلاديمير ستوف ، حياة جنكيـــز خـــان , ترجمـــة ســـعد بـــن حذيفـــة الغامدي،د.ت.

٤٨- فؤاد الصياد : الشرق الاسلامي في عهد المغول الايلخانيين (أسرة هولاكو) , منشورات مركز الوثائق , قطر، ١٩٨٧م.

٤٧- فؤاد الصياد ، مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني ,ط١ دار الكتاب العربي , القاهرة , ١٩٦٧م .

٤٨- .. . . . . السلطان محمود غازان خان المغول واعتناقه الاسلام ,ط١، مكتبة الانجلو المصرية , ١٩٧٩م.

٤٩-. . . .. المغول في التاريخ , دار النهضة العربية ، بيروت .

٥٠- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية , ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ,ط٧، دار العلم للملايين , بيروت.

٥١ - كامل سعفان، معتقدات آسيوية (العراق , فارس , الهند , الصين , اليابان) , ط١،دار الندى , القاهرة , ١٩٩٩م.

٥٢- كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية , ترجمة , بشير فرنسيس وكركيس عواد , مؤسسة الرسالة، بيروت .

٥٣- محسن الأمين ، أعيان الشيعة ,ط٢، مطبعة الانصاف , بيروت , ١٩٦١م.

٥٤- محمد أحمد محمد ، دخول مغول العراق وفارس في الاسلام , دار الفكر القاهرة.

٥٥- محمد أحمد موسى هياجنة،محاضرات في تاريخ المغول والمماليك،مكتبتي الحرمين والعلوم والتكنولوجيا ،إربد.

٥٦- محمد تقى رضوى،العلامة الخواجة نصير الدين الطوسي ،تعريب :علي هاشم الأسدي،ط١،الناشر النموذجي في معرض طهران،١٩٩٤م.

٥٧- محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون في مصر , دار الفكر العربي , القاهرة،د.ت.

٥٨- محمد رضا الشبيبي، مؤرخ العراق ابن الفوطي , مطبعة المجمع الغلمي , القاهرة , ١٩٥٨م.

٥٩- محمد السعيد جمال الدين : دراسات في تاريخ المغول والعالم الاسلامي ,ط١، القاهرة .

٦٠- . . . . . : علاء الدين عطا ملك الجويني (حاكم العراق), ط١،١٩٨٢م

٦١- . . . . . : دولة الاسماعيلية في إيران , مؤسسة سجل العرب , القاهرة , ١٩٧٥م

٦٢- .... موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الإسلامي ،وزارة الأوقاف ،القاهرة ،٢٠٠٧م .

٦٣- محمد سهيل طقوش ، تاريخ المغول العظام والايلخانيين , ط١،دار النفائس , بيروت.

٦٤- .... ، تاريخ المماليك في مصروبلاد الشام،ط٢،دار النفائس ،بيروت ،١٩٩٩م .

٦٥- محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية , تحقيق إحسان حقي , دار اللغات , بيروت.

٦٦- محمد نصر مهنا ، انتشار الاسلام في آسية ,ط٢، المكتب الجامعي , الاسكندرية , ١٩٩٧م.

٦٧- محمود سعيد عمران ، المغول وأوربا , دار المعرفة , القاهرة .

٦٨- مصطفى طه بدر ، محنة الاسلام الكبرى(أو زوال الخلافة العباسية في بغداد على أيدي المغول) ,ط٢، الهيئة المصرية للكتاب , القاهرة , ١٩٩٩م.

٦٩- ....، مغول إيران بين الوثنية والمسيحية والاسلام،دار الفكر العربي ،القاهرة .

٦٩- نافع توفيق العبود ، الدولة الخوارزمية , مطبعة جامعة بغداد , ١٩٨٧م,ط١.

٧٠- ناجي معروف، تاريخ علماء المستنصرية،ط٢،مطبعة العاني ،بغداد

٧١- نعمان الطيب سليمان ، جهود المماليك في تصفية الوجود المغولي في الشام , مطبعة الحسين , القاهرة , ١٩٨٨م.

٧٢- يوسف رزق الله غنيمة ، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق , مكتبة الثقافة الدينية , القاهرة , ٢٠٠١م.

رابعاً: المقالات

١- أليساندرو سكارلاتي ، الشامانية ,ط١، الموسوعة العربية , ترجمة الصاحب بن عباد, مج١١.

٢- حسين محمود عطية ، سفارات الأرمن إلى المغول وأثرها على العلاقات الأوربية المغولية , المجلة التاريخية المصرية , مطبعة الجبلاوي , ١٩٨٩م، مج٣٦.

٣- سهام محمد المهدي ، الدنانير الإيلخانية في متحف الفن الاسلامي , القاهرة , ١٩٩٥م .

٤-شيرين بياني، التاريخ السري للمغول , مقالة ترجمها عن الفارسية محمد حسن عبد الكريم العمادي , كلية الانسانيات , جامعة قطر.

٥ - شيرين عبد النعيم حسنين، الثقافة العربية الاسلامية في بلاد الفرس بعد العصر العباسي وحتى بداية العصر الصفوي , معهد البحوث والدراسات العربية , العلاقات العربية الايرانية , ١٩٩٣.

٦- صبري عبد الطيف سليم ، نشأة دولة المماليك في مصر بين الصليبيين والمغول , مجلة كلية دار العلوم , جامعة القاهرة , العدد الخامس , ٢٠٠١م.

٧-عبد المنعم رشاد ، الرعب الذي أحدثه الغزو المغولي , مجلة آداب الرافدين , بغداد , العدد الثاني , ١٩٧٠م.

٨- فاطمة نبهان ، المرأة في العصر المغولي , حوليات كلية الآداب , جامعة عين شمس , مج ٢٤,ج٣, يونيو٢٠٠٢م.

٩ - .... يهود إيران في العصر الايلخاني من خلال كتاب تاريخ يهود إيران , تأليف حبيب سوى , حوليات كلية الآداب ،جامعة عين شمس , مج٢٦, ١٩٩٨م.

١٠- .... مدينة السلطانية ودورها في الحضارة الاسلامية ، حوليــات كليــة الآداب ، جامعة عين شمس ، مج٢٤ ، ج١، ١٩٩٥-١٩٩٦م.

١١- محمد ثابت الفندي وآخرون ،دائرة المعارف الاسلامية ،العدد٣ ،١٩٣٣م.

١٢- محمد حسن عبد الكريم العمادي : المعتقدات الدينية عند المغول حتــى نهايــة عــصر جنكيز خان،مجلة الدراسات الشرقية،جامعة القاهرة،١٩٩٦م،مج٥ .

١٣- محمد حسين محاسنة و محمد سالم الطراونة : دور الظاهر بيبرس في إحياء الخلافــة العباسية في القاهرة ، حوليات كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ٢٠٠٣م.

١٤- محمد سالم بكرباعمر : الصراع بين الإسلام والوثنية في إيلخانية مغول إيران على عهدي نكودار خان وأرغون خان ، مجلــة جامعــة الملــك عبــد العزيز ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،٢٠٠٧م ،مج١٥ .

١٥- محمد عبد الغني الأشقر ، اعتناق هولاكو إيلخان التتار الإســلام ،المجلــة التاريخيــة المصرية ، ٢٠٠٢م ، مج٤١.

١٦- مهاب درويش البكري، العملة الاسلامية في العهد الايلخاني ، مجلة سومر ، بغــداد ، مج٢٢، ج ١-٢، ١٩٩٦م.

١٧- نوري عبد الحميد خليل ومجموعة مؤلفين ، حضارة العراق،بغداد ،١٩٨٥م.

١٨- ....، الصراع العراقي الفارسي منذ سقوط بغداد حتــى القــرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي،بغداد ،١٩٨٣م .

خامساً: المصادروالمراجع الفارسية

أ-المصادر :

١- الجوزجاني (أبوعمر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين):طبقات ناصري،جلد دوم،كابل ،تهران ،١٣٤٣هـ.ش.

٢- الجويني (عطا مالك ٦٨١ هـ / ١٢٨٣م) ، تاريخ فاتح العالم جهانكشاي , ترجمة محمد التونجي ,ط١، دار الملاح , دمشق ١٩٨٥م.

٣- خواندمير (غياث الدين محمد بن همام الدين الحسيني) : حبيب السير في أخبار أفراد البشر،جلد سوم از انتشارات كتابخانه خيام خيابان ناصر خسرو ١٣٣٣هـ. ش،مج٣ ،ج١.

٤-........ دستور الوزراء , نقله إلى العربية حربي أمين سليمان ,ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٠م.

٥- رشيد الدين الهمذاني (فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير بن موفق الدولة) جامع التواريخ ،تاريخ المغول ،مج٢ ،ج١ ،تاريخ هولاكو مع مقدمة كاترمير،نقله عن الفارسية :فؤاد الصياد ،القاهرة ،١٩٦٠م .

٦- .... جامع التواريخ تاريخ المغول ،مج٢ ،ج٢ ،تاريخ أبناء هولاكو الإيلخانيون من آباقا خان إلى كيخاتو" ترجمة محمد صادق نشأت وفؤاد الصياد , الجمهورية العربية المتحدة ,١٩٦٠.

٧- .... التاريخ الغازاني من جامع التواريخ (تاريخ المغول) ،تحقيق : سهيل زكار، دمشق ،٢٠٠٥م .

٨-عبد المحمد آيتي تحرير تاريخ وصاف , انتشارات بنيات فرهنك إيران , تهران سنة ١٣٤٦. هـ .ش .

٩- القاشاني (أبو القاسم عبد الله بن محمد): تاريخ أولجايتو , تاريخ باد شاه سـعيد غيـاث الدنيا والدين أولجايتو سلطان محمد , به اهتمام مهين همبلي , بنجاه ترجمة ونشر كتاب تهران , ١٣٤٨ هـ . ش.

ب-المراجع

١٠- حبيب الله شاملوئى ،تاريخ إيران ،ازمادنا بهلوى ،ازانتشارات به روح باك جون ناكام ،سهريا ،سيادت (تقديم مكيتم)

١١- شيرين بياني،دين ودولت درإيران عهد مغول ،جلدأول ،أز تشكيل حكومت منطقـى اى مغولان،ت تشكيل حكومت إيلخان ،جابه دوم،تهران ،١٣٧٠هـ.ش.

١٢- عباس إقبال ، تاريخ إيران بعد الإسلام , ترجمة محمد علاء الدين مضور , دار الثقافة , القاهرة , ١٩٨٩م.

١٣-......... تاريخ مفصل إيران أز إستيلاى مغول تا اعلان مشروطيت , أز حمله جنكيز تا تشكيل دولت تيموري , تهران ١٣١٢هـ . ش .ج١ .

١٤-..........تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية،ترجمة :عبـد الوهاب علوب ،المجمع الثقافي ،أبوظبي ،٢٠٠٠م.

سادساً: المراجع الأجنبية

1- David Morgan: Medieval Persia 1040-1797,Longman M, London and New York.

2- E. D.Phillips: The Mongols. London.Thames and Hodson.

3- Felicitas Schmieder:Cristians,Jews,Muslims,and Mongols:FitingAForeign People into The Western Christian Apocalyptic Scenario,Koninklije,Brill,NV.Leiden,2006.

4-Gesta Die Per:Notes and Documents,1979.

5- J.A. Boyle: The Cambridg, History Of Iran, volume 5,Cambridg, 1968.

6- Reuven Amital- preiss: Ghazan, Islam and Mongol, Hadition, Hebrew university of Jerusalem.

7- Reuven Amital-Preiss: Sufis And Shamans : some remarks on the islamization of the Mongols in the ilkhanate, koninklijke Brill NV, Leiden, 1999.

8- Richard N. Frye: Iran, London, 1954.

9- Sir Percy syhes: A History of Persia, Third edition, London.

10- Thomas Haining:The Mongols and Religion ,ThisArticle is a Lecture Prepared for The Royal Army Chaplains College at Bagshot Park,2001.

11- Valentin A Riasanovsky Fundamental Principles Of Mongol Law, Indian University Publications, 1965.

سابعاً: الرسائل العلمية

١- أحمد عبد العزيز بقوش ، المجتمع المغولي في عصر الإيلخانيين ، رسالة دكتوراة، كلية الآداب ،جامعة عين شمس ،٢٠٠٤م.

٢- إيمان محمد زكي ، الأسرة الجوينية ودورها في الحياة الادارية والثقافية زمن العصر المغولي , رسالة ماجستير , كلية الآداب , جامعة عين شمس، ٢٠٠٨م.

٣- صبري عبد اللطيف سليم ، الصراع السياسي والمذهبي بين الشيعة والسنة في عصر سيطرة إيلخانات المغول في إيران , رسالة دكتوراة , كلية دار العلوم , جامعة القاهرة , ١٩٤٦م.

٤- عثمان محمود مهنى محمد ، فن القصيدة الفارسية في العصر الإيلخاني ، رسالة دكتوراه ، ،كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ٢٠٠٨م.

٥- فتحية حلمي أمين الدالي، تاريخ كزيده حمد الله المستوفي القزويني , رسالة ماجستير , جامعة الأزهر , فرع البنات ١٩٩٤م.

٦- محمد صالح داود القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية , رسالة دكتوراة , كلية الآداب , جامعة عين شمس , القاهرة , ١٩٦٨م.

embraced Shiism and sectarian conflicts among Muslims in his reign . finally this chapter illustrated the last Muslim Ill khan Abou Saied Bahader Khan , his tent , problems he encountered and his situation towards Mumelukes and princes of El Higgaz .

The fourth chapter : this chapter under title " Effects of Ill khan Mongols policy from economic , social and cultural dimensions " . this chapter threw the light on economic effects when Mongols invade Islamic World , and these economic effects in the reign of each of them . after then , this chapter illustrated social life and its effects on countries ruled by those Ill khans , as non Muslim Ill khans had passive effects on social life , whereas Muslim Ill khans had positive effect on social life , as they influenced by Islamic civilization .

Finally , this chapter investigated cultural dimension and cultural activity in the reign of Ill khans Mongols , although they were described that they were savage , but we will see the activity of cultural movement in their reign because they assimilated Islamic civilization , which melt all invader peoples in its crucible .

Conclusion contained main results of the Thesis .

Abaga , his religion and his situation towards religious beliefs , Gounian Family and his alliance with European Christians against Muslims .

On one hand thesis investigated Ahmad Tegouder , who inspite he was Muslim , thesis preferred to categorize him under non-Muslims Ill khans Mongols , as his reign fall inside period of their reign . his reign was short period and did not see any effect in beliefs dimension , also explained his Islam and his efforts to advocate and patronage Islam , his situation towards Gounian Family , and his relation with Mamelukes who ruled Egypt and Syria at this period .

This chapter investigated Arghoun –Khan , his efforts to put and end to Gounian Family , his situation towards religious beliefs and protrude of Jewish activity represented by the minister Saad El Dawla , who had a high position in the reign of Arghoun Khan , also examined the activity of European embassies and Shiite in his reign .

On the other hand , this chapter investigated Kughatou , and his situation towards religious beliefs . finally this chapter explained Baidou and his situation towards religious beliefs .

The third chapter : this chapter under title " The situation of Muslims Ill khans towards religious beliefs " . this chapter explained Muslims Ill khans , the first of them Sultan Ghazan Khan , how he embraced Islam and announced Islam as an official religion for his state , his works to patronage of Islam and Muslims , how he got rid of some important persons , his relations with Mumelukes , wars against them and his situation towards Christian West .

On the other hand , this chapter threw the light on Oljadiou and his situation towards common Islamic tents , then explained how he

Summary

This thesis under title " The situation of Ill khans Mongols from religious tents and beliefs from death of Houlagou till the end of Abou Sayed Bahader Khan reign (663-736 / 1265-1335 AD).

This thesis is composed of an introduction , preface , four chapters and conclusion .

In the preface, thesis dealt with political review of Mongols and their invasion to Islamic World . firstly , thesis explained disjointed condition of Islamic World before Mongol invasion of Islamic World , origins of Mongols , completing invasion of Islamic world in the reign of his successors , put an end to Ismaillias , fall of Abassiyan State then defeat of Mongols at Ain Galout battle .

The first chapter : this chapter under title " Mongols' religious beliefs and the situation of the first Mongols Khans towards these beliefs . then thesis investigated " Mongols Shaman tent " , the situation of Genghis Khan and his successors towards these beliefs (those successors are Oktai Q'an , Kouk Q'an , Menko Q'an) who had various situations towards these religious beliefs prevailed under their control . after then thesis explained efforts exerted by Western Europeans to Christianize Mongols .

The second chapter : this chapter under title " The situation of non-Muslim Ill khans towards religious beliefs . In this chapter , thesis explained Ill khans Mongols , and causes of denominating them with this name , boundaries of their state they controlled . also investigated Houlagou , his religion and his situation towards various sects and European Embassies in his reign . then thesis illustrated



Ain Shams University
Faculty of Arts
Department of History

Mongols Alaikhaniin Position of Religions Beliefs And Doctrines of Hulagu Death to the End of Abu Saeed Bahadir Khan Rule 663-736/1265-1335

A Thesis Subitted to:
Faculty Of Literature Of Ain Shams University
For Master Degree In Islamic History

By:
Narges Assad Kadro
Assistant Lecturer In Aleppo University

Under Supervision Of:

Dr.Ahmad Ramdan Ahmad
Professor of Islamic History
History Department_ Ain Shams

Dr.Fathy Abduelfatah Abu Seif
Professor of Islamic History
History Department _ Ain Shams

Cairo
2009



Ain Shams University
Faculty of Arts
Department of History

Mongols Alaikhaniin Position Of Religions Beliefs And Doctrines Of Hulagu Death To The End Of Abu Saeed Bahadir Khan Rule 663-736/1265-1335

A Thesis Submitted to
Faculty Of Literature Of Ain Shams University
For Master Degree in Islamic History

By
NARGES ASSAD KADRO
Assistant Lecturer In Aleppo University

Under supervision of

Dr. Ahmad Ramdan Ahmad
Professor of Islamic History
History Department – Ain Shams

Dr. Fathy Abduelfatah Abu Seif
Professor of Islamic History
History Department – Ain Shams

Cairo
2009